

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي - البليدة 2 -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التوازن الصوتي والإفرادي والتركيب في سورتي "المؤمنون والأحزاب"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور:

رتيمة محمد العيد

إعداد الطالبة :

نهمار فاطمة الزهراء

السنة الدراسية : 2016/2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة لونيبي علي - البليدة 2 -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التوازن الصوتي والإفرادي والتركيب في سورتي "المؤمنون والأحزاب"

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إعداد الطالبة :

نهمار فاطمة الزهراء

أمام اللجنة المشكلة من :

أ.د. عمار ساسي - جامعة البليدة 2 - رئيسا

أ.د. محمد العيد رتيمة - جامعة الجزائر 2 - مشرفا ومقررا

أ.د. أحمد حساني - جامعة الجزائر 2 - عضوا مناقشا

د. محمد خليفاتي - جامعة المديّة - عضوا مناقشا

د. محي الدين بن عمار - جامعة البليدة 2 - عضوا مناقشا

د. حسيبة حسين - جامعة البليدة 2 - عضوا مناقشا

السنة الدراسية : 2016/2015



قال عزّ من قائل في كتابه المحكم :

﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ^ج وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (: 82)

شكر الرحمن

الحمدُ لله الذي أنزلَ الفرقانَ ، وعَلَّمَ حُسْنَ البيانِ ، وفضَّلَ بالعلوم والعِرفانِ ،
ولَهُ المِنَّةُ على ما أُولَى ، ويسَّرَ وأعطَى ، وأسبغَ ظاهراً وباطناً وربَّى ، وأكملَ
واجْتَبَى ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(النحل: 18)

تقدير وعرفان

انطلاقاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يشكرُ الله من لا يشكرُ الناس " أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد العيد رتيمة الذي لم يألُ جهداً في توجيهي وإرشادي طوال البحث ، و قام برعايته من الفكرة حتى استوى ، فقد تعب معي الشيء الكثير الكثير، وتحمل مشاق البحث من بدايته إلى نهايته دون وهن ، فجزاه الله عني خيراً الجزاء وبارك فيه وفي صحته وعلمه وأهله ، وجعل جهده ذاك في ميزان حسناته .

إهداء

- ❖ إلى والديّ الحبيبين إلى قلبي اللذين سانداني ماديا ومعنويا طوال مشواري الدراسي، حفظهما الله وزاد في أعمارهما ليريا ثمار غرسهما.
- ❖ إلى كلّ أساتذتي الأفاضل في المرحلة الابتدائية والإكمالية والثانوية والجامعية، فهم الذين علّموني ونفعوني بعلمهم الغزير وخلقهم الرفيع، وحثّوني على طلب المزيد من العلم والمعرفة ، جزاهم الله عنيّ خير الجزاء، وجعلهم ذخرا للأجيال الصاعدة.
- ❖ إلى محبّي اللسان العربي المبين، الذي به أنزل القرآن الكريم، وبه بلغّ رسوله البشير النذير رسالة ربّ العالمين، وبه تعبّد المسلمون لأداء شعائر الدين المتين.
- ❖ إلى وطني الحبيب الذي ارتوى بدماء أكثر من مليون ونصف مليون شهيد «الجزائر» .

أهدي ثمرة جهدي

وعمل المتواضع

ملخص باللغة العربية

يعالج البحث قضية التوازن في سورتي المؤمنون والأحزاب ، ومشكلة الدراسة هي : ما هي مظاهر التوازن في سورتي المؤمنون والأحزاب ؟ بالإضافة إلى إشكاليات فرعية منها : ما المقصود بالتوازن ؟ وما نظرة القرآن له ؟ وما موضع المصطلحات التي تقاربه في المعنى ؟ وإلى أي مدى تعكس أصوات فواصلهما القرآنية و مفرداتهما و تراكيبهما لمقصدتهما وجوهما الخاص ؟ فهذا الموضوع هام ولافت للنظر ، لم أجد - حسب اطلاعي - دراسة تناولت التوازن من حيث المصطلح والمفردة والتركيب وأُفردت له البحوث ، وإن وُجدت فهي تركز على جانب من جوانبه .

ولأنّ المنهج ضروري لكلّ بحث علمي أكاديمي فإنّي زاوجت بين المنهج الوصفي الوظيفي ، والمنهج التحليلي الاستقرائي .

اعتمدت في دراستي على مصادر ومراجع ودراسات منها : المعاجم اللغوية والتفاسير القرآنية ، بالإضافة إلى كتب أخرى لها علاقة بالبحث .

خُتم البحث بعرض للنتائج كشفت عن أهم مظاهر التوازن الصوتي والإفرادي والتركيب في السورتين ، وبيّنت أنّ مصطلح التوازن هو الأدقّ في وصف النظم القرآني .

فهذا البحث هو انطلاقة وبداية لبحوث أخرى ، لأنّ مظاهر التوازن في نظم السورتين واسع ، لذلك أقترح مواصلة البحث لاكتشاف مظاهر أخرى للتوازن ثمّ توسيع المجال إلى باقي السور .

ملخص باللغة الأجنبية

The research treat the thesis of balance in surat Al Mu'minuun and AlAhzab, and the problem of the study are : what are appearances of balance in surat Al Mu'minuun and AlAhzab ? in addition to the subproblems such as : what is the balance ? and what is the vision of the koran to him ? and what is the place of words in terms of that meaning ? and to what extent reflect the vioces Quranic separators and vocabulary and their structures for the purpose in general ?

This topic is important and strikingly, I did not find my studing by study of balance in terms of the term and the individual , stracture and devoted its research , though I found it focused on the side of its aspects .

Because the curriculum is necessary for each scientific academic research , I paired between the descriptive approach career, and inductive analytical approach .

I adopted in my studies on the sources and references and studies including : dictionaries and language books interpretations of the koran , in addition to other books related to the research .

the research is finished to avalue result wich discovered an important appearence of balance vioce and individual and stracture in two surat and this study demonstrates that the term of balance is more precisly .

this research is the start and the beginning of another researches , because the appearence of balance in the system of the two surat is large , so I suggest to continue research to discover other aspects of the balance and the expand the field to the other surat.

مقدمة

الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وأصحابه الأتقياء أما بعد:

فقد خلق الله تعالى هذا الكون وفق نظام موزون فلا يمكن أن يحدث فيه أي تغيير أو تبديل إلاّ بمشيئته، وإلاّ وقع خلل واضطراب فيه.

وقد وردت آيات عديدة تظهر دلائل قدرته في خلق هذا الكون وإحكام سيره وحركاته، وفي تدبير حياة المخلوقات فيه، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾¹، وقوله أيضا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾² وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنَاقِرِ³ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْتِاعُوكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾².

فمن نعمته وحكمته أن أنزل القرآن أيضا بنظام وميزان دقيق لا يقدر عليه الإنس ولا الجن، هداية للإنسان عبر الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾³.

فالقارئ المتدبر لسوره وآياته يجد فيها توازنا على أكثر من صعيد، وهو موضوع هام ودقيق في آن واحد لم أجد - حسب اطلاعي - دراسة تناولت موضوع التوازن في القرآن من حيث المصطلح والصوت والمفردة والتركييب وأفردت له البحوث، وإن

¹ الحجر: 16

² الروم: 21 . 22 . 23

³ الشورى: 17

وُجِدَتْ فهي تُركِّزُ على جانب من جوانبه، كعبد القاهر الجرجاني (471هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" الذي يُعدُّ زبدة أفكاره وخلاصة رحلاته العلمية.

فيه دافع عن دلائل الإعجاز القرآني مُبيناً أنَّ النظم وسيلة لفهم البيان القرآني، مستغلا في ذلك طاقات اللغة والفنون البلاغية في ضوء الانضباط النحوي لتشكيل مادة فنية ألا وهي النظم، وفي هذا السياق يرى أنَّ كلَّ كلمة وكلَّ تركيب بعناصره سواء كان اسماً أو فعلياً وُضع لأداء معنى معين لا يمكن لغيره أن يؤديه، وقد طبَّق ذلك على بعض الشواهد القرآنية والشعرية¹، وكلامه هذا يمسُّ هذا الموضوع من حيث التركيب.

ما قيل عن عبد القاهر يقال عن سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن" إذ يرى أنَّ القرآن اتبع طريقة فنية مميزة في تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صور حسية مثل: مشاهد القيامة، والحوادث الماضية، والأمثال القصصية، وصور النعيم، وهذا يتوافق وموضوعات السور وأغراضها².

أمَّا الباحث المغربي أحمد أبو زيد فقد تناول في كتابه "التناسب البياني في القرآن" فكرة التناسب و وحدة النسق وجعلها باباً ثالثاً، إذ يرى أنَّ اختيار الألفاظ والتراكيب جاء وفق روح السورة وسياقها، كما تحدَّث عن التوازن في الفصل الثالث من الباب السادس³، وجعله يشمل ما بين آيتين أو أكثر من تعادل في عدد الكلمات وأوزانها العروضية والصرفية وفي عدد المقاطع الممدودة والمقصورة، أو ما بين الكلمات من تناظر في المكان أو تشابه في الوزن، وكأنَّ المصطلح مقصور فقط على الجانب الصوتي والايقاعي، إلَّا أنَّ ما ورد في القرآن الكريم غير ذلك، فهو

¹ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص من 80 إلى 454 .

² سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص من 239 إلى 252

³ ينظر: أبو زيد أحمد: التناسب البياني في القرآن ، ص من 171 إلى 211

أوسع بكثير منه إذ أنزل هذا الكتاب بميزان دقيق، وقد صرّحت به الآية السابعة عشرة (17) من سورة الشورى.

لذلك آثرت أن يكون موضوع بحثي: "التوازن الصوتي والإفرادي والتركيبى في سورتي "المؤمنون والأحزاب" " رغبةً في الكشف عن أسرار ذلك البناء المحكم في النظم القرآني من خلال السورتين.

يعالج هذا الموضوع إشكالية كبرى تتمثل في: ما هي مظاهر التوازن الصوتي والإفرادي والتركيبى في سورتي "المؤمنون والأحزاب"؟ بالإضافة إلى إشكاليات فرعية منها: ما المقصود بالتوازن؟ وهل هو مقصور على الجانب الصوتي فحسب؟ وما نظرة القرآن له؟ وما موضع المصطلحات التي تقاربه في المعنى كالانسجام والتماسك والترابط والتلاحم والتناسق؟ ثم ما المقصود بالمستويات اللغوية؟ وهل يمكن أن يكون ما بينها توازن؟ وما مدى تطابق معاني الأحرف الأخيرة للفواصل القرآنية مع محتوى السورتين ومعاني آياتهما؟ وإلى أي مدى تعكس مفرداتهما وتراكبيهما لمقصدتهما وجوهما الخاص؟ ثم متى يحدث اختلال التوازن فيهما؟

للإجابة على كلّ ذلك قُسم البحث إلى بابين: الأول نظري تناول التوازن في المستويات اللغوية منقسماً إلى فصلين: الفصل الأول تحدّث عن مفهوم التوازن ودقته منقسماً إلى مبحثين: المبحث الأول تناول المفهوم ، والثاني فرق بينه وبين المصطلحات المتقاربة معه في المعنى ، أمّا الفصل الثاني فقد خُصّص الحديث فيه عن التوازن في المستويات اللغوية، وانقسم إلى ثلاثة مباحث، الأول خاصّ بالمستوى الصوتي، والثاني خاصّ بالمستوى الإفرادي ، والثالث عني بالمستوى التركيبى، وكلّ هذه المباحث تفرّعت إلى مطالب توضيحاً وبياناً.

أمّا الباب الثاني فهو تطبيقي تطرّق إلى دراسة تطبيقية على سورتي "المؤمنون والأحزاب"، وانشطر إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول: التوازن الصوتي في السورتين وتألّف من مبحثين: الأول: في سورة "المؤمنون"، والثاني في سورة "الأحزاب"، وكلّ منهما تفرّع إلى مطلبين: المطلب الأول: خواتم الفواصل القرآنية، والثاني: وظيفة الحرف الأخير للفاصلة القرآنية.

أمّا الفصل الثاني فقد كان له حديث عن التوازن الإفرادي في السورتين، واحتوى على مبحثين: المبحث الأول خاصّ بسورة "المؤمنون"، والثاني متعلّق بسورة "الأحزاب"، وتفرّع كلّ منهما إلى مطلبين: المطلب الأول: نماذج من الكلمات ومفهومها اللغوي والاصطلاحي، والثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة.

بينما الفصل الثالث فقد عنون بـ التوازن التركيبي في السورتين، وانشطر إلى مبحثين: المبحث الأول: في سورة "المؤمنون"، والثاني: في سورة "الأحزاب"، وكلّ منهما احتوى على مطلبين: الأول: التحليل النحوي لبعض التراكيب القرآنية، والثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة، وختم البحث بعرض لأهم النتائج المتوصل إليها مع جملة من المقترحات .

ولأنّ المنهج ضروري لكلّ بحث علمي أكاديمي فإنّي زاوجت بين المنهج الوصفي الوظيفي والمنهج التحليلي الاستقرائي، أمّا الأول فقد وُظف في نفي الترادف وربط النحو بالبلاغة حين الحديث عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتوازن، وتبيان مدى دقّته وتقريظه عن المصطلحات التي تقاربه انطلاقاً من الشواهد القرآنية ، وكذا عند التطرّق إلى التوازن في المستويات اللغوية و وظيفة كل مستوى، أضف إلى ذلك يُستعان به أيضاً مع المنهج الثاني في تحليل سورتي " المؤمنون والأحزاب " صوتاً وإفراداً وتركيباً بعد استقراءهما.

فأثناء إنجازي للبحث صادفتني عقبات أهمها ثلاث: الأولى تمثلت في صعوبة الموضوع لأنه يتطلب الاطلاع على كل الدراسات التي أنجزت في القرآن ونظمه لتحديد ما يجب البحث فيه، والثانية في كوني لم أجد - حسب اطلاعي - دراسة تناولت التوازن في سورة من السور وحللتها صوتياً وإفرادياً وتركيبياً لتعين في البحث، وإن وجدت فهي تقتصر على جانب دون آخر، أما الثالثة فقد تمثلت في فهم السورتين والإحاطة بجميع معانيهما ومقاصدهما، فاقضى هذا قراءة أشهر التفسير التي تُعين على ذلك وتوظيفها في الجانب التطبيقي.

ورغم هذا فقد حاولت بقدر المستطاع أن أستجمع كل ما له علاقة بموضوع البحث من مصادر ومراجع ودراسات من أهمها: المعاجم اللغوية مثل: "معجم الصحاح" للجوهري، و"مقاييس اللغة" لابن فارس، و"لسان العرب" لابن منظور، و"معجم مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني، وكذا كتب التفسير مثل: "الكشاف" للزمخشري، و"حاشية العلامة الصاوي لأحمد الصاوي"، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، و"تفسير المراغي" لأحمد مصطفى المراغي، و"التحرير والتنوير" لابن عاشور، و"صفوة التفسير" للصابوني، و"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" لوهبة الزحيلي، بالإضافة إلى كتب أخرى مثل: "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، و"البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"التناسب البياني في القرآن" لأحمد أبي زيد.

وفي آخر المطاف أحمد الله العليّ القدير الذي منّ عليّ بفضلته ونعمه في إعانتني وتسخير سبل إنجاز هذا البحث، فلولاه لما وصل إلى الصورة التي هو عليها الآن قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾¹.

وختاماً يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدي أولاً الذي لم يبخل عليّ بعلمه و وقته في تحفيزي وإنارة بحثي، وإلى أستاذي المشرف الدكتور محمد العيد رتيمة ثانياً الذي لم يألُ جهداً في إرشادي على مدى مراحل البحث، وقام برعايته من الفكرة حتّى استوى، وإلى أستاذي الدكتور عمار ساسي ثالثاً الذي هو الآخر له فضلٌ عليّ من قبلُ وفي نصحي ودفعي إلى بذل المزيد من الجهد.

كما يطيب لي أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الأجلاء الذين تجشّموا عناء قراءة هذا البحث، وقبلوا مناقشتي فيه، فقد منحوني فرصةً لأنهل من مخزونهم العلمي، وأتزود من خبرتهم، هذا ولا أدعي الإحاطة فيما كتبت، فهذا ما توصل إليه بحثي واجتهادي، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، ولكن أسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم أولاً، وخدمة للسان العربي المبين ثانياً وللبحث العلمي ثالثاً، فمهما كانت مدارك الإنسان ومعارفه ودراساته وأبحاثه ومستجدات عصره فإنّه لن يصل إلى الكلمة النهائية في الإعجاز القرآني بأوسع شعبه، والله الموفق للسداد و الصواب وإليه المرجع والمآب.

تمهيـد

لقد كان للقرآن الكريم منذ نزوله تأثير فيمن تلقاه ، إذ تحيرت ألباب العرب وهم آنذاك أهل فصاحة وبلاغة ، وكثرت الأحاديث عنه ، فإذا هي غامضة لا تعطينا أكثر من صورة المسحور المبهور الذي لا يعرف موضع السحر من ذلك النظم العجيب ، وإن كان في أعماقه ذلك التأثير العجيب ، ويستوي في ذلك المؤمنون والكافرون ، فهؤلاء يُسحرون فيهربون ، وأولئك يُسحرون فيؤمنون .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فيما رواه عطاء ومجاهد عن إسلامه: « فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام »¹ ، ويقال عنه في رواية أخرى إنه قال : « ما أحسن هذا الكلام أكرمه »².

وهذا الوليد بن المغيرة يقول بعدما سمع ما تلى عليه النبي (ص) : « والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يُعلَى ، وإنّه ليحطم ما تحته!!...إن هذا إلّا سحر يُوثر، ألم تروا أنّه يفرّق بين الرجل وأهله ، والولد ووالده »³ ، وغيرها من الأقوال التي تُظهر مدى الانبهار والإعجاب بسحر القرآن ، وتلك مرحلة التدوق الفطري للفنون كما يسميها سيد قطب⁴.

وبنتابح الأزمنة أخذ النظر في القرآن بُعداً آخر وهو البحث عن أوجه إعجازه عبر مسيرة تاريخية طويلة أعرضها على سبيل الإيجاز والتمثيل :

¹ ابن هشام عبد الملك: السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط(2) ج،(1)، 1375هـ/1955م، ص347.

² ابن هشام عبد الملك: السيرة النبوية لابن هشام ، ص345.

³ أبو شهبه محمد بن محمد: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ط(8) ، ج(1) ، 1427هـ، ص309.

⁴ ينظر: سيد قطب: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط(14)، 1413هـ /1993م ، ص26.

أولاً: جهود القدماء:

كان لعلماء اللغة والنحو والبيان والكلام والأصول مساهمة في بناء صرح الإعجاز ولمحات مفيدة ، فمن أقدم الكتب التي أشارت إلى ذلك إثنان: أحدهما: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ، و الثاني: "معاني القرآن" للفراء ، بعدها وصلت إلينا رسائل منها : رسالتان كانتا الأساس لما كُتب فيما بعد وهما لإمامين من علماء القرن الرابع الهجري، الأولى : "النكت في إعجاز القرآن" للرماني، و الثانية : "بيان إعجاز القرآن" للخطابي .

وقد أنتجت في تلك المرحلة كتب أهمها : " إعجاز القرآن" للباقلاني ، و"المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار الهمداني وفيه خصص الكلام عن إعجاز القرآن، و"الرسالة الشافية" و "دلائل الإعجاز" للعبد القاهر الجرجاني ، و "الكشاف" للزمخشري ، و"بيان البرهان في إعجاز القرآن" لابن أبي الإصبع القيرواني ، و"البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن" لحازم بن محمد القرطاجني¹ .

ثانيا: جهود المحدثين:

من أشهر من كتب في هذا المجال: مصطفى صادق الرافعي في " إعجاز القرآن"، و محمد عبد الله دراز في " النبأ العظيم " ، و سيد قطب في " التصوير الفني في القرآن " ، ومحمد متولي الشعراوي في " معجزة القرآن " ، ومحمد سعيد رمضان البوطي في " من روائع القرآن " ² .

¹ ينظر: الحمصي نعيم: فكرة الإعجاز القرآني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(2) ، 1400هـ/1980م ، ص من 35 إلى 47 / حريز سامي محمد هشام : نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، عمان ، ط(1) ، 2006م ، ص25.

² ينظر: الحمصي نعيم: فكرة الإعجاز القرآني، ص من 329 إلى 403.

فما قيل قديماً وحديثاً يُظهر الاهتمام بنظم القرآن البديع ونسقه الرفيع، حتّى إنّ التصوير الفني الذي جاء به سيد قطب يمكن عدّه من أبواب النظم، إذ لا يستقيم بدونه، فكلّ مشهد من مشاهد القرآن لا يتمّ إلّا في إطار منظوم¹.

ولعلّ عبد القاهر الجرجاني هو من أعطى للنظم بُعداً آخر يميّز عمّا قاله سابقوه ، فقد حدّد موضوعاته تحديداً كاملاً ، وكشف عن حقيقته ، و« جعله علماً قائماً بذاته ، بعدما كان فرقاً وشذرات متناثرة في مصادر شتّى ، في بيئات علمية مختلفة ، فاستحقّ بذلك أن يكون مبتكراً حقيقياً لنظرية النظم ، كأصل لعلم المعاني. والابتكار هنا ليس معناه إيجاد هذه النظرية من عدم ، بل إنّ الجرجاني قد أفرغ في كتابه "دلائل الإعجاز" نظرية النظم ، مستخدماً في تأصيلها بما أُعطي من قوة في استقصاء جهود السابقين فيها ، ليثبت أنّ الشّأن في الكلام للنظم ، وهو في هذا الكتاب لم يكتفِ بالتقرير النظري، ولكنّه جاء بكثير من الدراسات التطبيقية ، التي ضرب لها كثيراً من الأمثلة² .

فقد أثبت أنّ القرآن معجز بالنظم لأنّه الوجه الكامل له من بدايته إلى نهايته ، فهو وسيلة لفهم البيان القرآني ، والنظم ما هو إلّا توخي معاني النحو وفروقه ووجوهه فيما بين معاني الكلم فيقول: « ما أظنّ بك أيّها القارئ لكتابنا ، إنّ كنت وفّيته حقّه من النظر وتدبرته حقّ التدبّر، إلّا أنّك قد علمت علماً أبى أن يكون للشكّ فيه نصيب ، وللتوقّف نحوك مذهب ، أن ليس النظم شيئاً إلّا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم³ .

¹ ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ، ص36 و37 و38.

² يوسف الحاج علي جمال رفيق : النظم القرآني في سورة يوسف عليه السلام (رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير)، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2000م، ص16 .

³ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، ص525.

وفي موضع آخر يربط النظم بالإعجاز قائلًا: « فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مَرِية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن ، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه ، ولم يعلم أنها معدنه ومعانه ، وموضعه ومكانه ، وأنه لا مستتبط له سواها ، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها ، غار نفسه بالكاذب من الطمع ، ومُسَلَّم لها إلى الخُدَع »¹. وهذا يظهر مدى النضج الفكري في عصر عبد القاهر (القرن الخامس الهجري) ، أو كما يسميه بدوي طبانة ب « مرحلة النضج والرشد الفكري »² .

ومن هنا يمكن القول : إنَّ النظم أكثر تعلقًا بالقرآن الكريم ، إذ به يُكشف عن إعجازه وأسراره اللغوية، ومكوناته البلاغية وقيمه الجمالية، ودلالاته الفنية وإشاراته الإبداعية وعلاماته البيانية ، فمهما تباينت دراسات الباحثين فيه على اختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم وثقافتهم ومعارفهم فلا تخرج عن الإطار المنظوم الذي جاء به القرآن الكريم .

¹ المصدر السابق ، ص526

² طبانة بدوي :البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط(2) ، 1377هـ ، 1958م ، ص116

الباب الأول

التوازن والمستويات اللغوية

توطئة:

لقد كان النظم القرآني ولا يزال محل اهتمام كثير من الباحثين والعلماء على اختلاف أزمنتهم ومشاربهم ومناهجهم وتخصصاتهم ومقاصدهم ، للكشف عن خبايا تفوّقه على الكلام البشري رغم أنّه جارٍ على النهج العربي المألوف، فظهرت مصطلحات تصف ذلك النظم العجيب الذي أبهر كل البلغاء، وحير عقل الحكماء وهي: التناسق، والانسجام، والتلاحم، والتناسب، فما المقصود بها لغوياً؟ وما هي الفروق بينها؟ وهل تعكس فعلاً ذلك النظم البديع؟ .

وفي مقابل ذلك يوجد مصطلح "التوازن"، فما هو مفهومه اللغوي؟ وما هي حدود استعماله الاصطلاحية؟ وما مصدره؟ وإلى أي مدى يمكن أن يكون مرآة عاكسة لذلك البناء المحكم للنظم القرآني ونسيجه المتلاحم؟ هذه الأسئلة وغيرها يجيب عنها الفصل الأول من هذا الباب.

فالقرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين، وهذا اللسان له نظام يشمل مجموعة من القوانين والقواعد التي تحكمه، وتخضع لها أصواته وكلماته وعباراته¹.

فدراسة أية لغة دراسة شاملة لا بد من معرفة مستويات نظامها اللغوي، فالمتفق عليه أنّ هناك تداخلاً فيما بينها، فكل مستوى له ارتباط وثيق بما قبله وما بعده²، فهي تعمل مجتمعه في وقت واحد، والفصل بينها فصل صناعي تقتضيه الدراسة ودقة التحليل³.

¹ بنظر: دهاني نصر الدين: اللغة العربية، دار العربية، دار الكندي، الأردن، ط(1)، 1999م، ص 15.

² ينظر: بشير كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، 2005، ص 84.

الراجحي عبده: فقه اللغة في كتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993م، ص 21.

³ ينظر: البدرابي زهران: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، ط(2)،

1993م، ص 119.

أما الاختلاف فيكمُن في عدد هذه المستويات، فمنهم من جعلها ستة بناءً على العلم الذي يُدرس فيه كل مستوى، وتتمثل في: المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، والكتابي، والبياني (البلاغي)¹.

وهناك من قسّمها إلى خمسة وهي: المستوى الصوتي، والصرفي، والمعجمي، والتركيبى، والدلالي²، بينما كمال بشر وعبد الرّاجحي، فقد أدرجاها في مستويات أربعة وهي: المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبى، والدلالي³، أمّا محمود سمران فقد كان له رأي في التقسيم إذ جعلها على ثلاثة: المستوى الصوتي، والنحوي، والدلالي⁴.

ما يلاحظ على هذه التقسيمات أنّها تختلف باختلاف وجهات النظر والزوايا التي يُنظر منها، فمن الممكن أن يُختصر المستوى الصرفي والمعجمي في مستوى واحد وهو: مستوى المفردات لأنّه يضم الصيغ الصرفية للكلمات ومعناها المعجمي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا كان مجال المستوى الصوتي هو الأصوات والحروف، ومجال المستوى الصرفي هو الكلمات، ومجال المستوى التركيبى هو الجمل والعبارات، فما هو محور المستوى الدلالي؟⁵

فالمجمع عليه، أنّه يتمحور على المعنى اللغوي، وهو أشد ارتباطاً بالمضمون والفكر منه بالشكل، لذلك لا يمكن أن تُجعل الدلالة مجرد مستوى لغوي، فهي أكبر من

¹ ينظر : دهاني نصر الدين: اللغة العربية، ص من 15 إلى 17.

² ينظر: عوجان عائشة: أوليات علم الدلالة في الفكر اللغوي العربي القديم (رسالة أعدت لنيل شهادة

الماجستير)، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية، وآدابها، 1998/1999م، ص11.

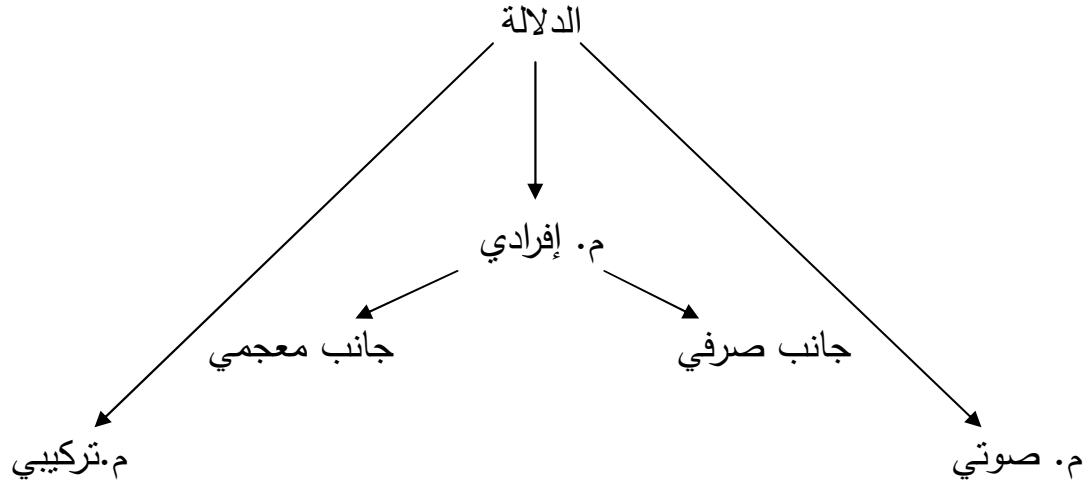
³ ينظر: بشر كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص 484 و 485.

الراجحي عبده: فقه اللغة في كتب العربية، ص 20.

⁴ ينظر: سمران محمود: علم اللغة، دار النهضة، بيروت، (د، ت)، ص 85 و 205 و 261.

⁵ ينظر: عوجان عائشة: أوليات علم الدلالة في الفكر اللغوي العربي القديم، ص 12.

ذلك بكثير، إذ توجد في كل المستويات سواء بانفرادها أو باجتماعها، والشكل الآتي يوضح ذلك:¹



وعليه يمكن اعتماد التقسيم الثلاثي للمستويات اللغوية كما جاء عند الدكتور جعفر دك الباب ، وهذا ما أكدّه أستاذنا الدكتور محمد العيد رتيمة في محاضراته ومقالاته معتبراً المستوى الدلالي مستوى مرافقاً مندمجاً مع المستويات الثلاثة وهي:

- المستوى الصوتي
- المستوى الإفرادى
- المستوى التركيبى

والفصل الثاني من هذا الباب هو توضيح لذلك، والسؤال المطروح: ما علاقة التوازن بالمستويات اللغوية؟.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 13 و 14.

الفصل الأول

مفهوم التوازن ودقته

المبحث الأول: مفهوم التوازن لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريفه اللغوي

التوازن في اللغة من "وزن"، قال الجوهري (ت 393هـ): «المِيزَانُ معروف، وأصله مِوزَان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها .. وقام مِيزَانُ النَّهَارِ، أي: انْتَصَفَ. ووزنْتُ الشيءَ وزناً وزنةً ويقال: وزنْتُ فلاناً ووزنتُ لفلان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾¹... ووزنتُ بين الشيئين مُوازنةً ووزناً. وهذا يُوازنُ هذا، إذا كان على زنته أو كان مُحاذيه². فالمِيزَانُ عنده الآلة التي تُوزنُ بها الأشياءُ، وكذا الانتصافُ والمُحَاذَاةُ.

ويُضيف أحمد بن فارس (ت 395هـ) إلى ذلك معنى العدل والاستقامة فيقول: «الواو والزاء والنون: بناءٌ يدل على تعديل واستقامة، ووزنتُ الشيءَ وزناً، والزَّنةُ قدرُ وزن الشيء والأمل وزنه. يقال: قام ميزانُ النهارِ، إذا انتصفَ النهارُ، وهذا يُوازنُ ذلك، أي مُحاذيةً، ووزينُ الرأي: مُعتدلهُ. وهو راجحُ الوزنِ، إذا نسبوه إلى رجاحةِ الرأي وشدةِ العقل»³.

أمّا عند الراغب الأصفهاني (ت 503 هـ) وابن منظور (ت 711 هـ) فيعني زيادة على المعاني السابقة القدرُ والمُقابلة والعدلُ والاعتدالُ، جاء في معجم الأصفهاني: «الوزنُ معرفةُ قدرِ الشيءِ، يقال وزنُهُ وزناً وزنةً، والمتعارف في الوزنِ عند العامة ما يُقدَّر بالقسط والقبَّان...»

¹ المطففين: 03.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار للملايين، بيروت، ط(4)، ج (6)، 1407هـ/1987، ص 2013 و 2014.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج (6)، 1399هـ/1979م، ص 107.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾¹ ... إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحرّاه الإنسان من الأفعال والأقوال. وقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾² ...، فقد قيل هو المعادن كالفضة والذهب، وقيل بل ذلك إشارة إلى كل ما أوجده الله تعالى وأثّه خلقه باعتدال»³.

قال ابن منظور: «الوزن: رَوْزُ الثَّقَالِ والخِفَّةِ، الليث: الوزنُ ثَقُلُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ كَأَوْزَانِ الدَّرَاهِمِ ... قال أبو منصور: ... الأوزانُ التي يوزنُ بها التَّمَرُ وغيره المُسَوَّاةُ من الحجارة والحديد الموازين، واحدها ميزان وهي المتأقيل واحدها مِثْقَالٌ ويُقال لَلَّالَةِ التي تُوزَنُ بها الأشياءُ ميزانٌ أيضاً. وقال بعضهم: الميزانُ الكتابُ الذي فيه أعمالُ الخلق ... وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾⁴، قال أبو العباس: قال الأعرابي: العرب تقول ما لفلان عندي وزنٌ أي قَدْرٌ لِحِسَّتِهِ ... والميزان: المِقدَارُ ... وأوزانُ العرب: ما بنتُ عليه أشعارها واحدها وزن، وقد وزنَ الشَّعرَ وزناً فائِزاً، كل ذلك عن أبي إسحاق، وهذا القول أوزنٌ من هذا أي أقوى وأمكن ... والميزان: العدلُ. ووَازَنَهُ: عَادَلَهُ وَقَابَلَهُ»⁵.

هذا عن المعاجم القديمة، أما المعاصرة منها فلا تخرج عن المعاني السابقة لـ "وزن"، بل هناك من يجعلها في إطار علم من العلوم اللغوية، ففي معجم الرائد: «ج موازين وميَازين، 1- آلة يوزن بها الشَّيْءُ ويعرف مقداره من الثَّقَلِ والحرارة والضغط الجوي

¹ الرحمن: 09.

² الحجر: 19.

³ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (4)، 1434 هـ - 2013 م، ص 594.

⁴ الكهف: 105.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط (3)، ج (13)، 1414 هـ، ص من 446 إلى 448.

ونحوها. ¹ « وفي معجم الوسيط: « وَزَنَ الشَّيْءَ يَزِنُ وَزْنًا وَزِنَةً: رَجَحَ. و - الشَّيْءَ: قَدَّرَهُ بِوَسَاطَةِ الْمِيزَانِ. و - رَفَعَهُ بِيَدِهِ لِيَعْرِفَ ثِقْلَهُ وَخِفَّتَهُ. و - قَدَّرَهُ... (وَأَزَنَ) بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مُوَازِنَةً وَوَزَانًا: سَاوَى وَعَادَلَ، و - الشَّيْءَ الشَّيْءَ: سَاوَاهُ فِي الْوِزْنِ. و - عَادَلَهُ. و - قَابَلَهُ. و - حَاذَاهُ. وَفُلَانًا: كَافَأَهُ عَلَى فِعَالِهِ، (اتَّزَنَ) الْعَدْلُ: اعْتَدَلَ بِالْآخَرِ وَصَارَ مُسَاوِيًا لَهُ فِي الثَّقَلِ وَالْخِفَّةِ. و - الشَّيْئَانِ: تَسَاوَيَا فِي الْوِزْنِ " (تَوَازَنَ) الشَّيْئَانِ: تَسَاوَيَا فِي الْوِزْنِ، (الْأَوْزَنُ) يُقَالُ: هَذَا الْقَوْلُ أَوْزَنُ مِنْ هَذَا: أَقْوَى وَأَمْكَنَ

(الْمَوْزُونُ): شَيْءٌ مَوْزُونٌ: جَرَى عَلَى وَزْنٍ أَوْ مِقْدَارٍ مَعْلُومٍ. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنْبِئْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ²، (المِيزَانُ): الآلة التي تُوَزَنُ بها الأشياءُ، و - الْمِقْدَارُ يُقَالُ: أَعْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِيزَانَهُ، و - الْعَدْلُ ³.

ففي علم البلاغة نجد مصطلح "مُوازنة" مشتق من « فَعَلَ وَزَنَ يَزِنُ الشَّيْءَ: امْتَحَنَهُ بِمَا يُعَادِلُهُ لِيَعْرِفَ وَزَنَهُ، وَوَاظَنَهُ مُوَازِنَةً: كَافَأَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ. ذكر يحيى بن حمزة العلوي في كتابه "الطراز" المُوازنة، وعَرَّفَهَا بقوله "هو أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في أوزانها، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وَزْنًا، ومتى كان الكلام في المنظوم والمنثور خارجًا على هذا المخرج كان مَنَسَقَ النظام رَشِيقَ الاعتدال، والموازنة أحد أنواع السَّجْعِ ⁴».

¹ مسعود جبران: الرائد - معجم لغوي عصري، دار للملايين، بيروت، ط(7)، 1992م، ص 783.

² الحجر: 19.

³ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، ط(4)، 1426هـ/ 2005م، ص 1029 و 1030.

⁴ فَوَالِ الْعَاوِي إِنْعَام: المعجم المفضل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (2)، 1417هـ-1996م، ص 661 - 662.

وفي موضع آخر تعني الموازنة: « تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية نحو قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ ¹ فَإِنَّ (مصفوفة) و (مبثوثة) متفتتان في الوزن دون التقفية. ² « ومن معانيها أيضا: « مقارنة المعاني بالمعاني ليعرف الرّاجح في النّظم من المرجوح... » ³.

وفي علم العروض والقافية يرد مصطلح "الوزن" الذي يعني: « الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسكنات في البيت الشعري، والوزن هو القياس الذي يعتمد عليه الشعراء في تأليف أبياتهم، ومقطوعاتهم، وقصائدهم » ⁴.

وفي علم الصرف هو من كلمة "مِيزَان" ويعرف بأنه « لفظ يؤتى به لمعرفة أحوال بناء الكلمة من حيث حروفها الأصلية وزوائدها وحركاتها وسكناتها، نحو: "سمع - فَعِلَ"، و "سَامِع - فَاعِل"، ويسمى أيضا: الوزن، والمِثَال، والِبْنَاء، والصِّيْغَة، والزِنَة، والِبْنِيَة، والوِزَان، والِبْنَاء الصَّرْفِي، والمَوْزُون، والصُّورَة » ⁵.

أمّا المصدر "تَوَازَن" فقد جاء على وزن "تَفَاعُل"، وكما هو معلوم أنّ هذه الصيغة من بين معانيها المشاركة بين اثنين أو أكثر ⁶.

¹ الغاشية: 15 و 16.

² طبانة بدوي: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ط(3)، 1408 هـ / 1988 م، ص 716.

³ طبانة بدوي: معجم البلاغة العربية، ص 716.

⁴ يعقوب إميل بديع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط(1)، 1411 هـ / 1991 م، ص 458.

⁵ فؤال عكاوي إنعام: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 639.

⁶ ينظر: - حسن عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط (5)، (د، ت)، ص 203 / - الغلاييني

مصطفى: جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(4)، 1424 هـ - 2003 م، ج (1)، ص 129 / -

الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، مكتبة المعارف، الرياض، ط(1)، 1420/1999 م، ص 34.

واستخلاصاً لما سبق فإنّ مادة "وزن" لغة تُطلق على عدّة معانٍ بحسب المجال اللغوي الذي هي فيه، ما يهمنّا هو التّعادل والتّساوي والاستقامة، لأنّ ذلك قريب ممّا يهدف إليه البحث، فالى أيّ مدى تقترب هذه المعاني من المفهوم الاصطلاحي؟ .

المطلب الثاني: تعريفه الاصطلاحي

باستقراء الآيات القرآنية التي تمس الموضوع، تبين أنّ التوازن في المفهوم الإسلامي الشامل هو العدل الذي شرعه الله عزّ وجل وأمر به لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾¹، يرى علماء التفسير بأنّ المعنى الأقرب للميزان العدل الدقيق، وشبه بهذا لأنه آلة الإنصاف والتسوية بين الناس، به توزن الأعمال، والسلوكات والحقوق والقيم والواجبات².

وما يؤيد هذا قوله جلّت قدرته: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾³، فهذا الميزان بمثابة المنهج الإلهي الذي تسير وفقه الحياة على الأرض بما فيها بعيداً عن الاختلال والاضطراب، وقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾⁴، فالله تعالى أرسل رسله وأنبياءه إلى إلى أممهم مؤيدين بالمعجزات والبراهين والحجج الدالة على صدق رسالاتهم ومنزلاً

¹ الشورى: 17.

² ينظر: الطباطبائي محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (د،ط)، المجلد (9)، (د،ت)، ص39 / الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3)، 1407هـ، ج(4)، ص217 / سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ج(5)، 1417هـ/1996م، ص3151/المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر، ط(3)، المجلد (9) 1394هـ - 1974م، ص 31.

³ الشورى : 15.

⁴ الحديد : 25.

معهم الوحي والعدل، ليكون ذلك منهجاً ربانياً تقيم عليها حياتها بعيداً عن تضارب الأهواء والعواطف، وتصادم المصالح والمنافع واختلاف الأمزجة وحب الذات، فلا وجود للمحاباة فيه ¹.

الفرع الأول: التوازن من الجانب التعبدى الروحي

التوازن من هذه الناحية هو الاعتدال والوسطية، وهذا ما يدعو إليه الإسلام في كل الأمور ²، وتبيننا لذلك أخذ البحث ثلاثة أمثلة:

1- الوسطية بين المادية والروحية، فقد عُرف عن اليهود إغراقهم في المادية

وحب الدنيا حتى وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ

عَلَى حَيَوةٍ﴾ ³، وعن النصارى ميلهم إلى الرهبانية وكبت الفطرة الإنسانية

لقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانٍ

اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ⁴.

أما الإسلام فقد « حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ

¹ ينظر: الطباطبائي محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن المجلد (10)، ص 170 - 171/ الزمخشري:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج، (4)، ص 480/ سيد قطب: في ظلال القرآن، ج(6)، ص

3494/ المراغي: تفسير المراغي، المجلد (10)، ص 182.

² ينظر: - القرضاوي يوسف: الإيمان والحياة، دار الشهاب، الجزائر، ص 49 إلى 57.

- بليق عز الدين: منهاج الصالحين، دار الفتح، بيروت، ط(3)، 1400هـ/ 1984م، ص من 193 إلى

196.

³ البقرة: 96.

⁴ الحديد: 27.

رَهْطٌ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»¹.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾².

2- الوسطية بين الإسراف والتقتير في الإنفاق قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾³ وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ

مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾⁴ ، وفي الأكل

والشرب لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁵ ،

¹ البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط(1)، ج(7)، 1422هـ، ص2 .

² البقرة : 143.

³ الفرقان: 67.

⁴ الإسراء : 29.

⁵ الأعراف : 31.

وفي موضع آخر يقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾¹.

الفرع الثاني: التوازن من الجانب الكوني المادي

هو ذلك التعادل الذي يحدث بين طرفين متقابلين أو متضادين أو أكثر، بحيث لا يؤثر أحدهما ويطرد الطرف المقابل وهذا نتيجة استقرار الآيات الكونية المبيّنات التي لا تُعد ولا تحصى.

فالكون بعُلُوِّهِ وسُفُلِيَّهِ كتاب الله المنظور يعكس دلائل قدرته وحكمته وعظمته في الخلق وفي تدبير حياة الكائنات وإحكام نظام الكون وسيره وحركاته²، وذلك بحسابات موزونة ودقيقة لا وجود فيها للعبثية أو المصادفة، وهذا ما كشفته ومازالت تكتشفه الدراسات العلمية ضمن ما يسمى بالإعجاز العلمي لقوله تعالى: ﴿سُنُوبِهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾³.

بل وتوجد آيات كثيرة تدعو إلى إعمال العقل والتدبر والنظر في نظام هذا الكون العجيب كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا

¹ البقرة : 60.

² ينظر: السعدي داود سلمان: أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت، ط(2)، 1420هـ/1999م،

ص من 295 إلى 304/ النجار زغلول: تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط

(1)، 1429هـ/2008م، ص 24 و 25.

³ فصلت: 53.

وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١﴾.

وفي موضع آخر يقول: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٤﴾
وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴾ ^٢ ، وقوله أيضا: ﴿ قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^٣.

ولتوضيح ذلك أخذ البحث مثالين يكشفان حقائق علمية تثبت ما أقره القرآن
قبل أربعة عشرة قرناً:

1 - في جريان الشمس والقمر وسياحتها، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ^ط
كُلٌّ لِيَجْرِيَ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^٤ ، وفي موضع آخر يقول: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ^٥ وقوله أيضا: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ^ج وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^٦ . فقد كشفت
الدراسات العلمية الحديثة أن الشمس والقمر يجريان ويسبحان في مدارات خاصة بهما

^١ ق : 6 و 7.

^٢ الغاشية: من 17 . 18 . 19 . 20.

^٣ يونس: 101.

^٤ الرعد: 2.

^٥ يس: 38.

^٦ يس: 40.

وفق نظام دقيق يُبعد عنهما التصادم أو إدراك أحدهما الآخر ،لأنَّهما من المخلوقات المسيرة و سرعة القمر أكبر من سرعة الشمس في الجريان:

- سرعة جريان الشمس 12 كم في الثانية

سرعة جريان القمر 18 كم في الثانية ¹.

2 - تماسك الكون بقدرة الله عز وجل إذ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

﴿ 2. ۞

وقال أيضا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ

بِأَمْرِهِ ۚ وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ

﴿ 3. ۞ فقد توصل علماء الفيزياء الحديثة إلى أربع قوى أساسية لتماسك الكون

وهي: قوة جذب الكتل أي القوة التجاذبية، والقوة الكهرومغناطيسية، والقوة النووية

الشديدة، والقوة النووية الضعيفة، كلٌ منها تتميز بشدة معينة ومجال مؤثر ⁴.

¹ ينظر: متولي أحمد مصطفى: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط(1)، 1426هـ/2005م، ص69.

² فاطر: 41.

³ الحج: 65.

⁴ ينظر: أبو لحية نور الدين: محمد صل الله عليه وسلم والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، دار الكتاب، الجزائر، (د، ت)، ص 84.

الفرع الثالث: التوازن في النظم القرآني

قبل التطرق إلى هذا، لابدُّ أن نعرِّج على مفهوم النظم القرآني، فبعد الاطلاع على الكتب التي تناولت الموضوع، توصلَّ البحث إلى أنَّ النظم القرآني يُعرَّف على مستويين: داخلي وخارجي.

فعلى المستوى الخارجي هو تلك الطريقة التي امتاز بها القرآن الكريم في تأليف حروفه و كلماته وجمله، وسكبها في قالب محكم ووفق أغراض ما للدلالة على المعاني المقصودة بكلمات متناسبة وتراكيب متناسقة وتصوير بارع وسياق عذب¹.

وعلى المستوى الداخلي فهو خاص بما توصل إليه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بعد جهدٍ جهيدٍ وتعبٍ مضمٍ طوال حياته العلمية، من الاطلاع على دراسات سابقه والاستفادة منها، وأخذ ورد ، وبحث و تنقيب وإمعان نظر في سر إعجاز القرآن، إلى أن تبلورت أفكاره في شكل " نظرية النظم" التي أودعها في كتابه الذائع الصيت "دلائل الإعجاز"².

¹ ينظر: الصديق محمد الصالح: من روائع الإعجاز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ص 52 إلى 62. / و مسلم مصطفى: مباحث في إعجاز القرآن، دار المنارة، جدة، ط(1)، 408هـ/1988م، ص من 125 إلى 137. / والبيومي محمد رجب: البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط(2)، 1426 هـ / 2005م، ص من 15 إلى 28.

² ينظر: نهمار فاطمة الزهراء: من خصائص الخطاب القرآني في ضوء نظرية عبد القاهر الجرجاني (مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير)، جامعة البليدة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2007/2008م، ص 12 - 13.

وبذلك يكون قد تفوّق على أقرانه، وفاق علماء عصره، ومازالت هذه النظرية إلى حد الآن محل دراسة الباحثين على اختلاف مناهجهم وتخصصاتهم للكشف عن خباياها والنهل منها¹.

فنظم القرآن في رأيه هو توخي معاني النحو ووجوهه وأحكامه وفروقه فيما بين معاني الكلم، بحيث تتحد أجزاء الكلام، ويتناسق بعضها ببعض، ويشد الارتباط فيما بينها، فيقول: « فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مَرِيّة في أن ليس "النظم" شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها مَعْنَاهُ وَمَعَانُهُ، وموضعه ومكانه، وأَنَّهُ لا مُسْتَتَبط له سواها، وأن لا وَجْه لطلبه فيما عداها، غارَّ نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع، وأَنَّهُ إنْ أبى أن يكون فيها، كان قد أبى أن يكون القرآن معجزاً بنظمه، ولزمه أن يثبت شيئاً آخر يكون معجزاً به »².

وفي موضع آخر يشرح هذا التوخي قائلاً: « واعلم أَنَّ مما هو أصل في أن يدقَّ النظر، ويغمضُ المسلك، في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة التي إلى أن تضعها في النفس وضِعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في

¹ ينظر: مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، بيروت، ط(1)، 1393 هـ/1973م، ص من 5 إلى 8 / وحمدى أبو علي محمد بركات: معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، الأردن، ط (1)، 1405هـ/1984م، ص من 7 إلى 10 / و بناني محمد الصغير: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص من 24 إلى 40 / و الضامن حاتم: نظرية النظم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979م ص من 105 إلى 123.

² الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط(3)، 1413هـ/1992 م، ص 526.

حال ما يضع ببساره هناك. نعم، وفي حال ما يُبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين «¹. وبذلك يكون عبد القاهر قد بيّن طريقة القرآن في البناء والسبك للمادة اللغوية.

وإذا أضفنا مصطلح "التوازن" إلى "النظم القرآني" يصبح مفهومه أعمقاً، فهو ذلك النسيج المتلاحم والبناء المحكم من حيث حروفه وكلماته وتركيبه وفواصله وآياته وسوره وتعانق معانيه، ليُجعل منه وحدة متراسة المباني والمعاني والمطالع والمقاطع². وصار من العسير بل من المستحيل أن تُغير كلمة، أو أن تستغني فيها عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئاً، أو أن تُحدث فيها حذفاً أو تقديماً وتأخيراً، فكأنما لم يجعل الله لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ وهذه التراكيب، وكأنما ضاقت اللغة وهي بحر مترامي الأطراف، فلم تجد ما تؤدي به تلك المعاني غير اختياره القرآن لها³.

وقد نبّه القرآن الكريم في آيات عديدة إلى هذا النسيج المحكم، ودعا إلى التدبر فيها منها:

● قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ۚ﴾⁴.

¹ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 93.

² ينظر: أبو زيد أحمد: التناسب البياني في القرآن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1990، ص من 173 إلى 203/ و يونس عبد سعد: التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط(1)، 1427 هـ/2006م، ص من 70 إلى 133/ و نصار حسين: الفواصل، مكتبة مصر، القاهرة، ط(1)، 1999م، ص من 15 إلى 40/ و سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط(14)، 1413هـ/1993م، ص من 70 إلى 90/ و حمدان نذير: الظاهرة الجمالية القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، ط(1)، 1412هـ/1991م، ص 153 و 167 إلى 175.

² ينظر: حمدان نذير: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، ص 177.

⁴ النساء: 82.

• وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾¹.

• وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٩﴾².

• وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٠﴾³

بعد هذا الذي سبق من التعرف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لـ "التوازن"،
فإلى أي مدى يعكس هذا المصطلح ذلك البناء المحكم للنظم القرآني؟ وهل هناك ما
هو أدقُّ منه تعبيراً؟.

¹ الزمر: 27 . 28.

² محمد: 24.

³ المؤمنون: 68.

المبحث الثاني: الفروق بين التوازن والمصطلحات المتقاربة

المطلب الأول: المصطلحات المتقاربة

إنَّ التوازن الذي عرفناه لغة واصطلاحاً يكاد تلتبس به مصطلحات لغوية عديدة في أذهان المتخصصين ناهيك عن المتعلمين ، لذا ارتأيت ضرورة التفريق بينها لتوضيح دقة مصطلح التوازن ، وأهم تلك المصطلحات ما يلي :

1-التلاحم:

قال الجوهري (393هـ): « اللَّحْمَةُ بِالضَّمِّ: الْقَرَابَةُ ... وَلَاحَمْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إِذَا أَلَصَقْتُهُ بِهِ. وَحَبْلٌ مُلَاحَمٌ: مَشْدُودُ الْقَتْلِ ... وَأَلَحَمْتُكَ عِوَضَ فُلَانٍ، إِذَا أَمَكَّنْتُكَ مِنْهُ تَشْتِمُهُ ... وَالتَّحَمَّ الْجُرْحُ لِلْبُرءِ. »¹.

قال أحمد بن فارس (395هـ): « اللام والحاء والميم أصل صحيح يدل على تداخل، كاللحم الذي هو متداخل بعضه في بعض من ذلك اللحم ... ويقال: لاحت بين الشيئين ولاءمت بمعنى »².

قال الراغب الأصفهاني (ت 503 هـ): « وَلَحِمَ الرَّجُلُ كَثُرَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ فَضَخِمَ فَهُوَ لَحِيمٌ وَلَاحِمٌ ... وَلَحَمْتُ الشَّيْءَ وَأَلَحَمْتُهُ، وَلَاحَمْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ لَأَمَّتُهُمَا تَشْبِيهًا بِالْجِسْمِ إِذَا صَارَ بَيْنَ عِظَامِهِ لَحْمٌ يُلَحَمُ بِهِ »³.

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(5)، ص 2027 و 2028.

² ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج(5)، ص 238 - 239.

³ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 503.

قال ابن منظور (ت 711هـ): «يُقال: أَلَحَمْتُكَ عِرْضَ فُلانٍ إِذا أَمَكْنَتَكَ مِنْهُ تَشْتِمُهُ ... وَلَحَمَ الشَّيْءَ يَلْحُمُهُ لَحْماً وَالْحَمَةُ فَالتَحَمَ: لَأَمَهُ. وَاللَّحَامُ: ما يُلَأَمُ بِهِ وَ يُلْحَمُ بِهِ الصَّدْعُ. وَلاحَمَ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ: أَلَزَقَهُ بِهِ، وَالتَحَمَّ الصَّدْعُ وَالتَّامَّ بِمعنى واحد.»¹

جاء في معجم الوسيط: «لَحَمَ الشَّيْءَ - لَحْماً: لَأَمَهُ ... والأمر: أَحْكَمَهُ وَأَصْلَحَهُ ... لَاحَمَ الصَّدْعَ: لَأَمَهُ. وَيُقال: لَاحَمَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وَ - الشَّيْءَ بالشَّيْءِ: أَلَزَقَهُ بِهِ. فَهُوَ مُلاحِمٌ وَيُقال: حَبَلٌ مُلاحِمٌ: شَدِيدُ الْقَتْلِ ... ، تَلاحَمَتِ الأشياءُ: تَضامَت وتَلاءَمَت بعد أَنْ كانت مُنفصلة.»²

أمَّا في معجم الرائد: «لَحَمَ يَلْحُمُ: لَحْماً، 1 - الأمر: أَحْكَمَهُ، 2 - الصَّائِغُ المَعْدَنَ: لَأَمَهُ، شَدَّهُ وَجَمَعَهُ، 3 - الْجَزَارُ العَظْمَ: نَزَعَ اللَّحْمَ عَنْهُ ...، اللَّحْمَةُ: ج لَحْم. 1 - القَرابة»³.

يستخلص ممَّا سبق أَنَّ " التَّلاحم " من مادة " ل ح م " وهو التَّلَؤْم والتَّضام والتَّلَاصق والإحكام .

2-التناسق:

قال الجوهري: «تَغَرَّ نَسَقٌ، إِذا كانت أَسنانُهُ مُستويةً، وَخَرَزَ نَسَقٌ: مُنظَّمٌ... وَالتَّسَقُّ: ما جاء من الكلام على نظام واحد. وَالتَّسَقُّ بالتسكين: مصدر نَسَقْتُ الكلامَ، إِذا عَطَفْتُ بَعْضَهُ على بعض. وَالتَّنْسيقُ: التَّنْظِيمُ»⁴.

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج(12) ص من 535 إلى 538.

² مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، دار الدعوة، مصر - (د، ت)، ص 819.

³ مسعود جبران: معجم الرائد - معجم لغوي عصري، ص 687.

⁴ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (4)، ص 1558.

قال أحمد بن فارس: « النون والسين والقاف أصل صحيح يدلُّ على تتابع في الشيء وكلامٌ نَسَقٌ: جاء على نظام واحد قد عَطَفَتْ بَعْضُهُ على بعض. وأصله قولهم: ثَغَرَ نَسَقٌ، إذا كانت الأسنان مُتَنَاسِقَةً مُتساويةً. وخرَزَ نَسَقٌ: مَنْظَمٌ ¹».

قال ابن منظور: « النَّسَقُ من كلِّ شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسَقْتُهُ تَنْسِيقًا، وَيُخَقِّف. ابن سيده: نَسَقَ الشيءَ يَنْسِقُهُ نَسَقًا، ونَسَقَهُ نَظْمَهُ على السواء ، وانتَسَقَ هو و تَنَاسَقَ، والاسم النَّسَقُ، وقد انتَسَقَتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقَتْ ... يقال: نَاسَقَ بين الأمرين أي تَابَعَ بينهما، وثَغَرَ نَسَقٌ إذا كانت الأسنان مستويةً. ونَسَقَ الأسنان: انتظامها في النَّبْتَةِ وحُسْنِ تركيبها ... ، والتَّنْسيقُ: التَّنْظِيم. والنَّسَقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد، والنَّسَقُ بالتسكين: مصدرٌ نَسَقْتُ الكلام إذا عَطَفْتُ بَعْضَهُ على بَعْضٍ، ويُقال: نَسَقْتُ بين الشيئين ونَاسَقْتُ ²».

وفي معجم الوسيط: « نَسَقَ الشيءَ يَنْسِقُ نَسَقًا: نَظَّمَهُ. يقال: نَسَقَ الدرُّ، ونَسَقَ كَتَبَهُ. و – الكلام: عَطَفَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ ...، نَاسَقَ بين الأمرين: تَابَعَ بينهما ولَآءَمَ، نَسَقَهُ: نَظَّمَهُ، انتَسَقَتْ الأشياءُ: انتَظَمَ بَعْضُهَا إلى بعضٍ. يقال: نَسَقَهَا فانتَسَقَتْ. تَنَاسَقَتْ الأشياءُ: انتَسَقَتْ. يقال: تَنَاسَقَ كَلَامُهُ. النَّسَقُ: ما كان على نظام واحد من كل شيء ...، ودُرَّ نَسَقٌ: متلائم على نظام واحد ³».

¹ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج(5)، ص 420.

² ابن منظور : لسان العرب ، ج (14) ، ص 352 و353.

³ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، ص 918 . 919.

وفي معجم الرائد: « تتأسق (ن س ق) 1 - ت الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض،
2 - كلامه: جاء على نسق أو نظام واحد »¹. فالتناسق إذن هو النظام والتساوي
وحسن التركيب والتلاؤم.

3 - الانسجام:

قال الجوهري: « سَجَمَ الدَّمْعُ سُجُومًا وَسَجَامًا: سَالَ وَانْسَجَمَ. وَسَجَمَتِ الْعَيْنُ
دَمْعَهَا، وَعَيْنٌ سَجُومٌ. وَأَرْضٌ مَسْجُومَةٌ أَي: مَمْطُورَةٌ. وَأَسْجَمَتِ السَّمَاءُ: صَبَّتْ »².

قال أحمد بن فارس: « السَّيْنُ وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ صَبُّ الشَّيْءِ مِنْ
الْمَاءِ وَالذَّمْعِ، يُقَالُ سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا وَعَيْنٌ سَجُومٌ، وَدَمَعُ مَسْجُومٌ. وَيُقَالُ أَرْضٌ
مَسْجُومَةٌ: مَمْطُورَةٌ »³.

قال ابن منظور: « سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ وَالسَّحَابَةَ الْمَاءَ تَسْجِمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا
وَسَجْمَانًا: وَهُوَ قَطْرَانُ الدَّمْعِ وَسِيلَانُهُ ... وَانْسَجَمَ الْمَاءُ وَالذَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجَمٌ إِذَا انْسَجَمَ
أَي انْصَبَّ »⁴.

وفي معجم الوسيط: « الدَّمْعُ وَالْمَطَرُ - سُجُومًا وَسِجَامًا وَتَسْجَامًا: سَالَ قَلِيلًا أَوْ
كَثِيرًا. وَ - عَنْ الْأَمْرِ: أَبْطَأَ وَانْقَبَضَ ... (أَسْجَمَتِ) السَّحَابَةُ: دَامَ مَطَرُهَا ...،
(انْسَجَمَ): انْصَبَّ »⁵.

¹ مسعود جبران: الرائد - معجم لغوي عصري - ، ص 244.

² الجوهري: الصحاح، ج (5)، ص 1947.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج(3)، ص 136 - 137.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ج(12)، ص 280 و 281.

⁵ مصطفى إبراهيم: معجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا، (د، ت،)، ص 418.

وفي معجم الرائد: « الانسجام: (س ج م) 1 – انسجم، 2 – في الكلام: خلوه من التعقيد، وبُعده عن التَّكَلُّفِ، وسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه »¹.

يُستنتج من هذا أن الانسجام يعني: سيلان الماء والدمع، وخلو الكلام من التعقيد وسهولة تركيبه وعذوبة كلماته .

3-التناسب:

لغة هو من مادة (ن س ب)

قال الجوهري: « النَّسَبُ: واحد الأنساب، والنَّسْبَةُ والنُّسْبَةُ مثله ...، وفلان يناسب فلاناً فهو نَسِيبُهُ، أي قريبه. ويقول: ليس بينهما مناسبة، أي مُشَاكَلَةٌ. »².

قال أحمد بن فارس: « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيءٍ. منه النَّسَبُ، سمي لاتصاله وللاتصال به. تقول نسبتُ أنسبُ. وهو نسيبُ فلان »³.

قال الأصفهاني: « النَّسَبُ والنُّسْبَةُ اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسبٌ بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسبٌ بالعرض كالنُّسْبَةُ بين بني الإخوة وبني الأعمام ... وقيل: فلان نسيبُ فلان: أي قريبه، وتستعمل النُّسْبَةُ في مقدارين مُتجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر »⁴.

قال ابن منظور: « والنَّسَبُ: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وقيل: النُّسْبَةُ مصدر الانتساب، والنُّسْبَةُ: الاسم. التهذيب: النَّسَبُ يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد،

¹ مسعود جبران: الرائد .معجم لغوي عصري ، ص 138.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(1) ، ص 224 .

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج(5)، ص 423.

⁴ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 545.

ويكون في الصّناعة «¹. فالنّاسِبُ إذن في المعاجم العربية هو التّوافق والتّقارب والتّشاكل والتّماثل .

بعد معرفة معاني، المصطلحات السالفة الذكر، تبيّن أنّ هناك معنيين يترددان بينها ألا وهما: النّظام والتّلاؤم، ومع ذلك فقد انفرد كلّ مصطلح بخصوصية تميّزه عن غيره، فالإي مدى يمكنها أن تكون مرآة عاكسة للبناء المحكم للنظم القرآني؟.

المطلب الثاني: دقّة مصطلح التوازن

إنّ للقرآن الكريم نمطاً فذا في انتقاء الحروف والكلمات وتماسكها، وإحكام التراكيب، وتعانق المعاني، وفي البلاغة والفصاحة، وجمال الديباجة، وإصابة المقاصد بأحسن صورة وأدقّ تعبير. فهو من حيث الحروف والألفاظ والجمال والقواعد جارٍ على النهج العربي، ومن حيث أسلوبه ونظمه خارج عن المعهود، و مُباين للمألوف، قال الباقلاني : « وذلك أنّ نظمة على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، و مُباين للمألوف من تركيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد »².

لذلك انبرى كثير من العلماء والباحثين قديما وحديثا على اختلاف أزمنتهم ومشاربهم ومناهجهم وتخصصاتهم، للبحث في سر نظمهم، فأكثرُوا القول في ذلك، وتشعبت بهم مناحي الكلام، وألّفوا في ذلك كتباً ودراسات وأبحاثاً بين مطولات ومختصرات كالواسطي (ت 306 هـ) الذي ألف في إعجاز القرآن البياني، والباقلاني (ت 403 هـ) في كتابه " إعجاز القرآن"، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في "دلائل الإعجاز"، ومصطفى صادق الرافعي في "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، وسيد

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج(1)، ص 755 و756.

² الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، (د.ت)، ص52.

قطب في "التصوير الفني في القرآن"، ومحمد سعيد رمضان البوطي في "من روائع القرآن".

يضاف إلى ذلك أطروحات جامعية كأطروحة أحمد أبو زيد بعنوان "التناسب البياني في القرآن - دراسة في النظم المعنوي والصوتي -"، ونوال يخلف في أطروحتها "الانسجام في القرآن الكريم - سورة النور نموذجاً-"، فهذه الكتب والأبحاث توافقت في توظيف أربعة مصطلحات هي: التناسق، والتناسب، والتلاحم، والانسجام، فهل هذه المصطلحات هي أحسن وصفٍ لذلك النسيج المتلاحم والبناء المحكم للنظم القرآني؟.

أجاب القرآن الكريم عن هذا السؤال حينما وصفه الله تعالى بـ "الميزان"، إذ يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ¹﴾، وفي موضع آخر يقرنه بـ "الميزان" قائلاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ²﴾. كما وردت اشتقاقات أخرى لمادة "وزن" لكل منها موضعه وسياقه الخاص وهي: وزن، و أوزان، و موازين، و زِنُوا و وزَنُوا .

فإذا كانت المصطلحات الأربعة السابقة تدل على النظام والتلاؤم في النظم القرآني، فإنَّ "التوازن" يدل على الدقة المتناهية فيه، لأنه لما يتناول موضوعاً في سورة ما، فإنه يجعلها محكمة البناء، ومتلاحمة النسيج، لتكون موافقة للقوى العقلية والوجدانية للنفس البشرية وهذا ما سيفصله البحث في الباب الثاني والثالث، حينما يتناول سورتي "المؤمنون والأحزاب" بالتحليل.

¹ الشورى: 17.

² الحديد: 25.

وخلاصة لهذا الفصل، فإنَّ البحث توصَّل إلى أنَّ مصطلحات "التناسق، والانسجام، والتناسب، والتلاحم" قاصرةٌ في وصف ذلك النظم القرآني البديع الخارج عن المعهود، برغم جريانه على النهج العربي المعروف، استناداً إلى القرآن الكريم الذي انتقى مصطلح "الميزان" المشتق من مادة "وَزَن" التي تعدُّ المصدر الأساسي لاستخراج كلمات دقيقة تكون واصفة للنظام القرآني العجيب، ليكون بذلك مصطلح "التوازن" هو الأنسب والأليق.

الفصل الثاني

التوازن في المستويات اللغوية

المبحث الأول: في المستوى الصوتي

المطلب الأول: تعريف الصوت وتفريقه عن الحرف

الفرع الأول: تعريف الصوت لغة واصطلاحاً

الصوت في اللغة من مادة (ص و ت)، قال ابن جني (392هـ): «الصوت مصدر الشيء يصوت صوتاً، فهو صائت وصوت تصويئاً فهو مصوت، وهو عام غير مختص، يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ

فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾»¹...

ويقال: رجل صات أي شديد الصوت، وحمار صات، كما يقال: رجل مال: كثير المال ... ، فأما قولهم لفلان صيت إذا انتشر ذكره في الناس، فمن هذا اللفظ.²

وشبيه بهذا قول ابن فارس في معجمه قائلًا: «الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال هذا صوت زيد، ورجل صيئ، إذا كان شديد الصوت، وصائت إذا صاح ... والصيئ: الذكر الحسن في الناس، يقال ذهب صيته»³.

ولا يبتعد عن دائرة هذا المعنى ابن منظور إذ يقول: «الصوت: الجرس معروف، مذكر ... ، وقد صات يصوت ويصات صوتاً، وأصات، وصوت به: كله نادى، ويقال:

¹ لقمان: 19.

² ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت،

ج (1)، ط(3)، 1433هـ/2012م، ص 23 - 24 - 25.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج(3)، ص18.

صَوْتٌ يُصَوْتُ تَصَوُّيًّا، فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّتَ بإنسانٍ فدَعَاهُ ...، ابن السكيت: الصَّوْتُ صَوْتُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ. ¹

ومن هذه التعاريف يُفهم أنَّ الصَّوْتَ عامٌ مُختَصٌّ، يشمل كلَّ ما وقع في أذن السامع سواء كانت أصواتاً لغوية أم غير لغوية .

أمَّا اصطلاحاً، فقد اختلفت مفاهيم الصوت باختلاف الزوايا التي يُنظر منها ، فقد اختلفت مفاهيم الصَّوْتِ باختلاف الزوايا التي يُنظر منها ، فقد وصفه الجاحظ (ت 255 هـ) وصفاً خارجياً قائلاً بأنَّه: « آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التَّأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف» ².

أمَّا ابن جني (ت 392 هـ) فقد نظر إليه من الداخل وفي كيفية حدوثه، وكانت نظريته دقيقة ومتوافقة مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في المجال الصوتي، إذ يقول: « اعلم أنَّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والهم والشفنتين مقاطع تنثني عن امتداده واستطالته » ³.

وكان لابن سينا (ت 428 هـ) أيضاً نظريته الخاصة للصوت، فيقول: « تقديرى أن السبب القريب للصوت تموُّج الهواء دفعةً بسرعة وقوة من أي سبب كان » ⁴.

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج(2) ص 57 و 58.

² الجاحظ: البيان والتبيين، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(7)، ج(1)، 1417 هـ/1998م، ص 105.

³ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 19.

⁴ ابن سينا: رسالة أسباب الحروف، تحقق: محمد حسان طيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1430 هـ/1982م، ص 103.

فقد ربط الصَّوت بالتموَّج واندفاعه بسرعة عند الانطلاق وهذا إشارة إلى ما توصل إليه العلم، إذ ثبت أنَّ الصَّوت « اهتزازات محسوسة في موجات الهواء، تنطلق من جهة الصَّوت، وتذبذب من مصانعه المصدِّرة له، فتسبح في الفضاء حتَّى تتلاشى، ويستقرّ الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، فرحاً أو حزناً، نهياً أو أمراً، خبراً أو إنشاءً، صدى أو موسيقى، أو شيئاً عادياً مما يفسده التشابك العصبي في الدماغ، أو يترجمه الحس المتوافر في أجهزة المخ بكل دقائقها»¹.

إضافة إلى ما قدّمه علماء العربية القدامى في المجال الصوتي، كان لجملة من الباحثين جهدٌ في ذلك، فقد عرّف كمال بشر الصَّوت قائلاً: « هو أثر سمعي يصدر طوعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق، والملاحظ أنَّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصابها من حركات الفم بأعضائه المختلفة. ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة. أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضاً. »².

ولا يبتعد تمام حسان في تحديد مفهومه للصَّوت اللغوي عن هذا المعنى فيقول: « حين يتكلم المتكلم نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكه الأسفل وشفثيه ولسانه، ونلاحظ كذلك أنَّ أثراً سمعياً معيناً يصل إلى آذاننا فنفهم أنَّه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم ... هذه الحركات النطقية ملونة بألوانها الصوتية الخاصة هي ما اصطلح العلماء على تسميته بالأصوات اللغوية »³.

¹ علي الصغير محمد حسن: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط(1) 1420هـ/2000م، ص 14.

² بشر كمال: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 1420هـ/2000م، ص 119.

³ حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص 63.

ويعرفه عبد القادر عبد الجليل من الجانب الفيزيائي فيقول: « الصَّوتُ أحد أشكال الطاقة والعنصر الأساسي، بما يحويه من ذبذبات وتموجات، وتقوم عليه صناعة العملية الكلامية، بعد أن تنتظم في أحداث وتداعيات، يقود بعضها بعضاً لاستكمال رسم أبعاد الموقف اللغوي، في دائرة تضم بين محيطها ومركز الارتباط، ذاتية الإرسال والاستقبال. »¹.

ولتحقيق العملية الكلامية لابد من وجود ثلاثة جوانب:

- الجانب الإنتاجي production Aspect
- الجانب الانتقالي transmission Aspect
- الجانب الاستقبالي reception Aspect

فالأول يطلق عليه الجانب الفسيولوجي، ويمثّل إنتاج الأصوات الكلامية، والثاني يطلق عليه بالجانب الفيزيائي أو الأكوستيكي، يشمل حركة التموج الصوتي وانتشارها في الوسط الهوائي للضغط الواقع عليها وحيويتها في عملية الفرز والتنظيم لتلك الذبذبات التي تقع على أذن السامع.²

ويشير أحمد مختار عمر إلى كيفية حدوث الصوت اللغوي، مستفيداً من علم النفس اللغوي قائلاً: « عند ما يستعد الإنسان للكلام العادي يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلاً. و إذا أخذ في التكلّم فإنّ عضلات البطن تتقلّص قبل النطق بأول مقطع صوتي ثمّ تتقلّص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات. وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة

¹ عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط (1)، 1418هـ/1989م، ص 44.

² ينظر: عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص 45.

بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى. فإذا فرغ منها فإنَّ عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعداداً للنطق بالجملة التالية وهكذا»¹.

ومما سبق يتبيّن أنَّ كلَّ صوت لغوي لا بدّ أن يكون صادراً عن جهاز النطق الإنساني، وأعضاء هذا الجهاز منها ما هو ثابت ومنها ما هو متحرك، فالأجزاء الثابتة هي: اللثة، والأسنان، والغار، والجدار الخلفي للحلق، والأجزاء المتحركة هي: اللسان من طرفه إلى ما يشمل لسان المزمار، والشفَتان، والفك الأسفل، والطبق بما فيه اللهاة، والحنجرة، والأوتار الصوتية والرتتان².

الفرع الثاني: التفريق بين الصوت والحرف

استخدم علم اللغة الحديث الحرف للدلالة على شكل الكتابة، والصَّوت للإشارة إلى كيفية النطق، أمّا في علم اللغة العربية فالأمر غير ذلك، إذ الحرف يدل على شكل الكتابة ويُشير إلى الصوت أيضاً³.

وقد حدّد ابن جني الحد الفاصل بينهما، وله باع طويل في المجال الصوتي، مازالت الدراسات اللغوية الحديثة تستند إلى آرائه لعلميتها، إذ يرى أنَّ الصوت: «عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفَتين مقاطع تشنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف

¹ عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/1997م، ص 111.

² ينظر: - حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، ص 64 - 65.

- عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص 34 - 41.

- بشر كمال: علم الأصوات، ص 32 - 34.

³ ينظر: دك الباب جعفر: نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، (د، ت)، ص 56.

ساسي عمار: (التحليل الصوتي لخطاب القصص القرآني، قصة آدم نموذجاً)، جامعة جرش الأهلية

(الأردن)، 2007م، ص 4 - 5.

أجّراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ¹. ويفهم من هذا أنّ الحرف هو : صوت ممتد + مقطع مثني + صانت، ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: « الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه » ².

ويدعم هذا التفريق في المعنى ابن سينا حينما يقول: « والحرف هيئة للصوت تظهر فيه، تميزه من صوت آخر مثله في الحدة والثقل، إذا ظهر في المسموع تميّز من غيره » ³.

ومن ثمة فالحرف ليس هو الصوت ، وإنما هو حد منقطعه أو هيئته، يشمل الصوت وشكل الكتابة.

المطلب الثاني: مخارج الحروف وصفاتها

كانت بحوث علماء العربية القدامى في مجال مخارج الأصوات وصفاتها غاية في الدقة، لم تستند إلى أجهزة متطورة آنذاك، وإنما ابتكرته عقول نيّرة وأذهان صافية متّبعة الحسّ الصوتي والذوق الفطري.

الفرع الأول: مخارج الحروف

يعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) أول من وضع الصوت موضع تطبيق في دراسته اللغوية، وكان معجمه "العين" المرآة العاكسة لذلك، إذ رتّب مادته وفق مخارج الحروف على النحو الآتي :

- خمسة حروف حلقية تصدر من الحلق وهي: ع - ح - هـ - خ - غ.
- حرفان لهويان يصدران من اللهاة وهما: ق - ك.

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 19.

² المصدر نفسه، ص 28.

³ ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 105.

- ثلاثة أحرف شجرية، لأنَّ إنتاجها من شجر الفم وهي: ج- ش- ض.
- ثلاثة أحرف أسلية، لأنَّ منشأها من أسلة اللسان وهي: ص - س- ز.
- ثلاثة أحرف نطعية، لأنَّ إنتاجها من نطع الغار الأعلى وهي: ط -د- ت.
- ثلاثة أحرف لثوية لأنها تنتج من اللثة، وهي: ظ- ذ- ث.
- ثلاثة أحرف ذلقية لأنها تنتج من ذلق اللسان وهي : ر- ل- ن.
- ثلاثة أحرف شفوية، لأنها تصدر من الشفة وهي: ف- ب- م.
- أربعة أحرف هوائية، لأنَّ في إنتاجها يخرج الهواء حرا! وهي و- ا- ي- والهمزة.¹

الملاحظ على هذا التصنيف أنَّ الخليل وضع تسميات تشخيصية نهضت بكيان كل حرف، وعادت به إلى نقطة انطلاقه، وهذا يعكس ذهنه المتوهج فطنة وذكاء دون مثال يحتذيه ممَّن سبقه من علماء العربية.

ثم يأتي سيبويه (ت 180هـ) ليقتفي أثر الخليل في اعتماد الترتيب الصوتي، ويخالفه في بعض مخارج الأصوات ، إذ حصر مخارج الحروف في ستة عشرة مخرجاً² تمثلت فيما يلي :

- أقصى الحلق : الهمزة و الألف والهاء.
- وسط الحلق: ع . ح
- أدنى وسط الحلق من الفم: غ . خ

¹ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، تحقق: إبراهيم السامرائي، سلسلة العلوم والفهارس، ج 1، ص 52.
² ينظر: سيبويه: الكتاب، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط(3) ، ج(4) ، 1408هـ
 1988/م ، ص 433 و434.

- أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى: ق
- أسفل موضع القاف من اللسان وما يليه من الحنك الأعلى: ك
- من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: ج . ش . ي
- من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس: ض
- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك وما يجاوره: ل
- من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى و فوق الثنايا : ن
- يبدأ من مخرج النون ويدخل في ظهر اللسان قليلاً: ر
- بين طرف اللسان وأصول الثنايا: ط . د . ت
- بين طرف اللسان أصول الثنايا: ز . س . ص
- بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: ط . ذ . ث
- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا: ف
- ما بين الشفتين: م . و . ب
- من الخياشم: ن الخفيفة

وما يلاحظ على هذا التوزيع أنَّ كل من جاء بعده تأثر به، وأخذوا يرددون عباراته ومصطلحاته¹.

أمَّا ابن جني(ت392هـ) فقد وضع كتاباً سماه "سر صناعة الإعراب" مستفيداً ممَّن سبقه، وجعل ما أتى به سيبويه الأساس الذي بنى عليه عمله، واستفاد منه في

¹ ينظر: محمد حسان فدوى: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 33.

المجال الصوتي، وزاد عليه بفضل دقته العلمية ورهافة حسه، فصنّف مخارج الحروف بحسب موقعها في أجهزة النطق على النحو الآتي:

- أولها من أسفله وأقصاه: ء . أ . هـ
- من وسط الحلق: ع . ح
- مما فوق ذلك مع أول الفم: غ . خ
- مما فوق ذلك من أقصى اللسان: ق
- من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدّم الفم: ك
- من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: ج . ش . ي .
- من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: ض
- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فُويق الضاحك والنايب والرباعية والثنية: ل
- من طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا: ن
- من مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً: ر .
- مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: ط . د . ت
- مما بين الثنايا وطرف اللسان: ص . ز . س
- ممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: ظ . ذ . ث
- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى: ف
- مما بين الشفتين: ب . م . و
- من الخياشم: النون الخفيفة¹

¹ ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ، ص 60 . 61.

اللافت في هذا التصنيف أنَّ ابن جني تتبع الحروف في المخارج، ورتَّبها على مقاطع مستفيدة مما أبدعه الخليل، ومخالفاً له في الترتيب، وموافقاً لسيبويه في الأغلب إلا في مقام تقديم الهاء على الألف، وترتيب حروف الصغير (س . ز) .

وابن جني نفسه ينص على هذا الخلاف، ويذهب إلى صحة رأيه دونهما في "باب ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد" بعد أن يعدد الحروف من الهمزة إلى الواو قائلاً: « فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها ويصعدها، وهو الصحيح. فأما ترتيبها في كتاب العين، ففيه خلل واضطراب، ومخالفة لما قدَّمناه آنفاً، مما رتبَّه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته»¹.

أمَّا عند علماء الأصوات المحدثين، فقد حصروا مخارج الحروف في عشرة مخارج على النحو الآتي:

- الشفتان: يخرج منهما: الباء والميم والواو وتسمى حروفا شفوية
- الشفة السفلى مع الأسنان العليا: يخرج منها: الفاء وتسمى حرفاً شفوياً أسنانياً.
- الأسنان: يخرج منها: الذال والطاء والثاء وتسمى حروفاً أسنانياً
- الأسنان مع اللثة: يخرج منها: الدال والضاد والثاء والطاء والزاي والسين والصاد، وتسمى حروفاً أسنانياً لثوية.
- اللثة: يخرج منها: اللام والداء والنون، وتسمى حروفاً لثوية.
- الغار: يخرج منها: الشين والجيم والياء، وتسمى حروفاً غارية
- الطبقة: يخرج منه: الكاف والغين والحاء، وتسمى حروفاً طبقية
- اللهاة: يخرج منها القاف، وتسمى حرفاً لهوياً.
- الحلق: يخرج منها: العين والحاء، وتسمى حروفاً حلقيّة.

¹ المصدر السابق، ص 59.

- الحنجرية: يخرج منها: الهمزة والهاء، وتسمى حروفاً حنجرية.¹

وبنظرة سريعة إلى الترتيب الصوتي بين القدامى والمحدثين يمكن تسجيل ما يلي:

- اعتمد ابن جني الترتيب التصاعدي، أي يبدأ من الحلق إلى الشفتين (الهمزة، /هـ/ع، ح/غ، خ/ق/ك/ج، ش، ي/ض/ل/ن/ر/ط، د، ت/ص، ز، س/ظ، ذ، ث/ف/ب، م، و/)، بينما المحدثون فقد اعتمدوا الترتيب التنازلي، أي يبدأون من الشفتين إلى أقصى الحلق (ب، م، و /ف/ ذ، ظ، ث/د، ض، ت، ط، ز، س، ص/ل، ر، ن) ش، ج، ي/ك، غ، خ/ق/ع، ح/ء، هـ/).

- النتائج الصوتية التي توصل إليها علماء العربية القدامى تعكس قوة ملاحظاتهم وبراعتهم ودقتهم التي تميّزوا بها دون الاستعانة بالأجهزة والمعدات المخبرية.

- وضع علماء الأصوات القدامى الألف ضمن المسار الإخراجي للصوامت، بينما الأبجدية الصوتية الحديثة فلا تجعل لها مكاناً لأنها من الأصوات الصائتة الطويلة².

- جعل ابن جني الضاد في موضع لا يشترك معه غيره، وهذا يخالف رأي المحدثين الذين أشركوا معه التاء والذال والطاء والزاي والسين والصاد.

¹ ينظر: - عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص 155 - 156.

- محمد حسان فدوى: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، ص 32.

² ينظر: عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص 142.

الفرع الثاني: صفاتها

تختلف صفات الحروف تبعاً لاختلاف أوضاع جهاز النطق وقد حصر اللغويون القدامى وعلماء التجويد أهمها على النحو الآتي:¹

- المهموسة: وهي عشرة أحرف: الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والتاء والفاء، سميت بهذا لضعف الاعتماد عليها عند خروجها.
- المجهورة: وهي ما عدا الأحرف المهموسة، سميت بذلك لأنه أشبع الاعتماد عليها، ومنع النفس أن يجري معها.
- الشديدة: وهي مجموعة في عبارة "أجذك طبقت" سميت بذلك لأنها تمنع الصوت أن يجري فيها عند خروجها.
- الرخوة: وهي: ث، خ، ظ، غ، ش، ز، ح، ف، ص، هـ، ض، س، ذ، وعند النطق بها يجري فيها الصوت.
- المطبقة: هي أربعة أحرف: الطاء، الصاد، الضاد، وعند النطق بها ينطبق ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى.
- المفتحة: وهي ما عدا الحروف المطبقة المذكورة أي خمسة وعشرون المتبقية، وعند النطق بها لا ينطبق ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى.
- الحرف المكرر: وهو الراء لتكرار النطق به على اللسان
- المستطيل: وهو الضاد لاستطالة النطق به على الفم
- المتقشي: وهو الشين فعند النطق بها تتقش في مخرجها.

¹ ينظر: - ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 75 - 78.

. أبو زيد أحمد: التناسب البياني في القرآن، ص 290.

. عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ص 271 - 280.

- حروف الذلاقة وهي ستة: الفاء، والباء، والميم، والراء، والنون، واللام، وسميت بذلك لأنها من ذلق اللسان (طرفه).
 - المصمتة: وهي ما عدا الحروف المذلفة.
 - المستعلية: وهي: غ، خ، ط، ظ، ص، ض، عند النطق بها يعلو الصوت إلى الحنك فينطبق.
 - المستقلة: وهي اثنان وعشرون حرفاً ما عدا المستعلية، فعند النطق بها يستقل اللسان إلى قاع الفم.
 - حروف الصفير: وهي الزاي، السين، الصاد، وعند النطق بها يخرج صوت شبيه بالصفير.
 - القلقة: وهي مجموعة في عبارة "قطب جد"، وسميت بذلك لأنك تستعين بصوت للوقوف عليها لشدة الضغط مثل: الحَقْ.
 - حروف المد واللين: وهي: الألف، والواو الساكنة قبلها ضمة، والياء الساكنة قبلها كسرة، تتميز باللين والسهولة، عند النطق بها.
- وما يلاحظ على هذه الصفات، أنَّ منها ما يمثل قوة الصوت والآخر ضعفه، فالشدة والصفير و الجهر والإطباق والاستعلاء من علامات القوة، واللين والهمس والرخاوة من علامات الضعف في الأصوات¹.

المطلب الثالث: القيمة البيانية للحرف

لَمَّا درس علماء العربية القدامى الأصوات لاحظوا وجود مناسبة بين الحروف ومعانيها، ولمحوا أنَّ في الحرف العربي قيمة تعبيرية موحية ف« لم يَعْنيهم من كل حرف أنَّه صوت، وإنَّما عناهم من صوت هذا الحرف أنَّه معبرٌ عن غرض، وأنَّ

¹ يُنظر: أبو زيد أحمد: التناسب البياني في القرآن، ص 292.

الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين. وكل حرف له ظلّ وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع»¹.

وقد شبّهوا إثبات القيمة التعبيرية للحرف الواحد في كلمة « كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركّب وهو ثنائي لا أكثر أو ثنائي ألحق به حرف أو أكثر، أو ثلاثي مجرد ومزید، أو رباعي منحوت، أو خماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس»².

وأول من التفت إلى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه باعتراف ابن جني نفسه قائلاً: « اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقّته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته »³.

فما جاء عن الخليل في ذلك قوله: « صرّ الجندب صريرا وصرصر الأخطب صرصرة فكأنّهم توهّموا في صوت الجندب مدا و توهّموا في الأخطب ترجيعا »⁴.

فقد أشار الخليل إلى وجود تناسب بين الفعل الثلاثي المضعّف (صرّ) وبين معناه من حيث بنية الصيغة، فالتشديد الموجود في الراء نشأ عن صفة التكرارية التي تتميز بها الراء، وهذا أنتج نوعاً من الاستطالة والمط، ومن ثمة فالمناسبة ظاهرة بين أصوات كلمة (صرّ)، وبين معناها الذي تدلّ عليه.

¹ الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط(5)، 1973م، ص 142.

² الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 142.

³ ابن جني: الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ج (1)، ط(1)، 1421هـ/2001م، ص 505.

⁴ ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، ص 56.

وإذا انتقلنا إلى سيبويه، فإننا نجده قد تعرّض إلى ذلك حينما تحدّث عن المصادر التي جاءت على مثال واحد، وعدّ ذلك مقارنة في المعاني، فما كان على وزن "افتعل وانفعل" فإنه يدل على المطاوعة مثل: كسّره فانكسر وتكسر¹.

أمّا ابن جني فإنه قد تلقّف إشارات سابقه في هذا المجال، ولم يكتفِ بالوقوف على الظاهرة كهؤلاء القدماء، بل أخذ يُعلّل ويكتشف عن وجه التناسب بين الأصوات ومعانيها، كما علّل تلك المصادر لمعانيها بقوله: « فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال »².

وقد اهتم ابن جني بدراسة الدلالة الصوتية في "باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني" بالشرح والتفصيل فيقول: « فجعلوا المثال المكرّر للمعنى المكرّر - أعني باب القفلة - والمثال الذي توالى حركاته للأفعال التي توالى الحركات فيها.

ومن ذلك - وهو أصنع منه - أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب، نحو استسقى، واستطعم، واستوهب ...

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، وفتح، وغلّق، وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام »³.

بعدها يواصل حديثه عن دلالة الأصوات على الأحداث المعبر عنها مشيراً إلى كثرة هذا النوع وعظمه وصعوبة مسلكه قائلاً: « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتْلَبٌّ عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما

¹ ينظر: سيبويه: الكتاب، ج(4)، ص 65 و 66.

² ابن جني: الخصائص، ج1، ص 505.

³ المصدر نفسه ص 506.

يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر ممّا ن قدره وأضعاف ما نستشعره ¹.

ثمّ يعرض أمثلة له فيقول: « من ذلك قولهم: خَضِم، وقَضِم، فالخَضَم لأكل الرّطب، كالبطيخ والقنّاء وما كان نحوها من المأكول الرّطب والقَضَم للصُّلب اليابس، نحو قَضمت الدّابة شعيرها ... ومن ذلك قولهم: النضج للماء ونحوه، والنضج أقوى من النضج، قال الله سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ² فجعلوا الحاء - لرقنتها - للماء الضعيف، والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه ³.

ويتعمّق ابن جني أكثر في دلالة الحروف على الأحداث المعبر عنها، ويضيف إليها قضية الترتيب بينها شارحاً ومُعلّلاً، فيقول: « نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع . وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سَوَاقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب ⁴.

ويوضح ذلك بالأمثلة قائلاً: « وذلك قولهم: بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكفّ على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالبا الأسد ومخالبا الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبت للتراب ... ومن ذلك قولهم: شدّ الحبل ونحوه فالشين بما فيها من التفشي تشبّه بالصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام

¹ ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 509.

² الرحمن: 66.

³ ابن جني: الخصائص، ج (1)، ص 509.

⁴ المصدر نفسه : ص 511.

العقد. ثم يليه إحكام الشدّ والجذب، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لاسيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها.¹

وينتهي ابن جني كلامه عن ذلك الباب داعيا إلى النظر فيه قائلا: « الآن قد آنستك بمذهب القوم فيما هذه حاله، ووقفتك على طريقه، وأبديت لك عن مكنونه، وبقي عليك أنت التنبّه لأمثاله، وإنعام الفحص عمّا هذه حاله »².

وقد أثّرت أفكار ابن جني في كثير من الباحثين المحدثين ولقيت عندهم صدى، ومنهم من قابلها بالرفض، فصباحي الصالح مثلا أعجب كثيرا بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول أو بعبارة أدق بين الصوت وقيّمته البيانية، إلى درجة أنّه خصّ فصلاً كاملاً للحديث عن مناسبة الحروف لمعانيها فيقول: « فقد أگد هذا العالم الجليل المتأخر إذن - بعد استيعابه مؤلفات اللغويين السابقين التي فقد منها الكثير - أنّ أهل اللغة بوجه عام والعربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، وبذلك تتلاقى مع ابن جني على صعيد واحد، فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحاً مبيّنا في فقه اللغات عامة »³.

أمّا عبده الراجحي فبعد عرضه لآراء ابن جني صرّح بأنّه يرفض وجود مناسبة بين اللفظ ومدلوله مستشهداً بمثال: « فكلّمة "رجل"، و « the man » و « l'homme » تدل على الرجل في العربية والانجليزية والفرنسية دون وجود تناسب بين أيّ صوت من أصوات هذا الرمز وبين ما يدل عليه »⁴.

¹ ابن جني: الخصائص، ج (1)، ص 511 . 512.

² المصدر نفسه، ص 516.

³ الصالح صباحي : دراسات في فقه اللغة ص 151.

⁴ الراجحي عبده : فقه اللغة في الكتب العربية ، ص 68 . 69.

وقد وظّف جعفر دك الباب أفكار ابن جني في نظريته التي بلورها في نشأة الكلام الإنساني، داعياً إلى التمسك بالمنهج العلمي التاريخي لدى دراسته للغة الإنسانية، ومؤكداً « ضرورة الربط بين الدراسة التطورية لبنية اللغة الإنسانية (التي تكشف - كما قال ابن جني - وجود علاقة طبيعية بين الصوت والمدلول بنتيجة المحاكاة) وبين الدراسة التزامنية لبنية اللغة الإنسانية (التي تقول - كما أكد الجرجاني - بعدم وجود مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول وترى أن العلاقة بينهما اعتباطية حددها التواضع).¹ « وتوصل إلى أن الكلام الإنساني في طوره الأول مرّ بمرحلتين: الأولى مرحلة محاكاة أصوات الحيوان، والثانية مرحلة محاكاة ظواهر طبيعية².

أمّا خالد قاسم بني دومي فقد خصّص كتاباً يتحدث عن فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة من وجهة نظر المتقدمين والمحدثين بالشواهد والأمثلة، وتطبيق ذلك على الآيات القرآنية، إذ يرى أن كل زيادة في قوة الصوت وجهه ينتج عنه قوة في الدلالة، وهذا ما جعل اللغة العربية خالدة يدقّ فيها الالتحام بين الصوت والدلالة³.

ثمّ يواصل كلامه عن الأصوات وعلاقتها بالحالات والمواقف قائلاً: « ومن المعلوم أن الأصوات تختلف قوة وضعفاً وتباین في أجراسها وربّاتها، ويتبع ذلك اختلاف الألفاظ التي تتكون منها في وقعها على السمع، وفي دورها في أداء الدلالة، وفي إشارتها لانفعالات خاصّة، وألوان من الإحساس، فالأصوات القويّة تناسب مواقف الشدة والزجر والتعنيف، والأصوات اللينة الهادئة الجرس تناسب حالات الرّخاء والهدوء والارتياح»⁴.

¹ دك الباب جعفر: نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، ص 85.

² ينظر المرجع نفسه، ص 87.

³ ينظر: ابن دومي خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن،

2006م، ص 219 - 220.

⁴ ابن دومي خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 220.

ولتوضيح ذلك أعطى شواهد شعرية للتدليل على توظيف الشعراء للأصوات في إبراز الصور الشعرية، فانصهر فيها الشكل مع المضمون والصوت مع الدلالة، واكتسبت الأصوات قوة وقدرة تعبيرية خاصة، فيقول: « فتأمل - على سبيل المثال - صورة اصطكاك الأسنان في القضم أو في اصطكاك البرد في قول البحتري:

يَقْضِضُ عَصًا فِي أَسْرِتِهَا الرَّدَى كَقَضْضَةِ الْمَقْرُورِ أُرْعَدَهُ الْبَرْدُ¹

ولاحظ دلالة الكاف المتكررة على كركرة الضحك في قول المتنبي:

وماذَا بِمِصْرٍ مِنَ الْمُضْحَكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَأِ²
وتأمل وقع أقدام الشنفري في الماء، يؤديه التشكيل الصوتي اللفظي "غطش" و "بغش" في قوله:

دَعَسَتْ عَلَى غَطَشٍ وَبِغَشٍ وَصُحْبَتِي سَعَارَ وَ إِرْزِيزَ وَ وَجَرَ وَ أَفْكَلَ³

وانظر الى قول بشار:

إِذَا مَاغَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا⁴

فحين ثار بشار ثارت اللغة معه. ⁵ » .

¹ الصيرفي حسن كامل: ديوان البحتري ، دار المعارف ، القاهرة، ط(3) ، المجلد(2)، (د.ت)، ص743.

* يَقْضِضُ عَصًا: يصوت بأسنان صلبة معوجة/الأسرة : الخطوط/المقرور : الذي أصابه البرد.

² المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي ، دار بيروت ، بيروت ، 1403هـ/1983م ، ص511.

³ العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله : إعراب لامية الشنفري ، **تحق:** محمد أديب عبد الواحد

جمران، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط(1)، ج(1) ، 1404هـ/1984م ، ص126.

* دعست: دفعت/الغطش:الظلمة/البغش: المطر الخفيف/السعار: الحرّ في جوف الإنسان من شدة الجوع والبرد/إرزيز:الثبوت/الوجر:الخوف/الأفكل:الرعدة.

⁴ ابن قتيبة:الشعر والشعراء، دار الحديث ، القاهرة ، ج(2) ، 1423هـ ، ص748.

⁵ ابن دومي خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ، ص 221 - 222.

بعدها يتعمَّق أكثر في ذلك ليعطينا نماذج قرآنية كثيرة تعكس قمة الاتساق الصوتي الدلالي، إذ وجد أن أصوات السياق تنهض لأداء الدلالة مصحوبة بجرسها اللائق، وصيغتها المناسبة وإيحائها المميز¹، والجانب التطبيقي من الباب الثاني هو تفصيل لذلك .

المبحث الثاني: في المستوى الإفرادي

المطلب الأول: تعريف الكلمة

الكلمة في اللغة تُجمع على (كلم أو كلمات)، وكلها من مادة (ك ل م) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) : « الكلم: الجرح، والجمع: الكلوم. كَلَمْتُهُ أَكَلَمُهُ كَلَمًا، وأنا كالم، [وهو مكلوم]. أي: جَرَحْتُهُ. وَكَلَيْمُكَ: الذي يُكَلِّمُكَ وَتُكَلِّمُهُ. وَالكَلِمَةُ: لغة حجازية »².

يوسّع ابن فارس (ت395هـ) في المعنى فيقول: « الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطقٍ مُفهِمٍ، والآخر على جراح. فالأول الكلام. تقول: كَلَمْتُهُ أَكَلَمُهُ تَكَلِيمًا، وهو كَلِيمِي إذا كَلَمَكَ أو كَلَمْتَهُ. ثم يَتَسَعُونَ فيسمون اللفظة الواحدة المُفهِمَةَ كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلماتٍ وكَلَمًا ... والأصل الآخر الكَلَم، وهو الجُرح، والكلام: الجراحات، وجمع الكَلَم كُلُومٌ أيضًا. »³.

¹ ينظر المرجع السابق ، ص 223.

² ابن أحمد الفراهيدي: العين، ج (5)، ص 378.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (5)، ص 131.

ولا يخرج عن هذا الزمخشري (ت 538هـ) إذ يقول: « سمعته يتكلم بكذا، وكلمته وكالمته ... وموسى كليم الله. ونطق بكلمة فصيحة، وبكلمات فصاح وبكلم، وجاء بمراهم الكلام من أطايب الكلام »¹.

أمّا ابن منظور (ت 711هـ) فيقول: « الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من مجموعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يُقال: قال الشاعر في كلمته، أي في قصيدته. قال الجوهري: الكلمة القصيدة بطولها ... وكليمك: الذي تكلمه ويكلمك. يُقال: كلمه تكلّماً وكلاماً مثل كذّبه تكذيباً وكذاباً. وتكلمت كلمةً وبكلمة، والكلم: الجرح، والجمع كلوم وكلام »².

ومن ثمة، يفهم أنّ الكلمة في اللغة تطلق على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وعلى اللفظة الواحدة ذات معنى، وعلى الجملة المفيدة والقصيدة والخطبة بأسرها مجازاً.

أمّا اصطلاحاً فقد تباينت آراء العلماء والباحثين قديماً وحديثاً في تحديد مفهوم الكلمة تبعاً لاختلاف الزوايا التي يُنظر منها وتخصصاتهم. فعبد القاهر الجرجاني يحدّد الكلمة من ناحية التقسيم فيقول: « اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة »³، والزمخشري يربطها باللفظ والمعنى المفرد وتواضع الناس على ذلك فيقول: « الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع »⁴، ويتكفل بشرح مقصوده ابن يعيش الموصلي (ت 643هـ). قائلا: « اللفظة جنس للكلمة، وذلك أنها تشتمل

¹ الزمخشري: أساس البلاغة، تحقق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (2)، ج (2)، 1419هـ/1998م، ص 145.

² ابن منظور: لسان العرب، ج (12)، ص من 522 إلى 525.

³ الجرجاني عبد القاهر: الجمل، تحقق: علي حيدر، دمشق، 1392هـ/1972م، ص 40.

⁴ الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، ط (2)، ص 6.

المهمل والمستعمل، فالمهمل ما يُمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو "صص" و "كك" ونحوهما ... وقوله: " الدالة على معنى": فصلُّ فصله من المهمل الذي يدل على معنى. وقوله: "مُفرد": فصل ثان فصله من المركَّب، نحو: "الرجل" و "الغلام"، ونحوهما... وقوله: "بالوضع" فصل ثالث احترز به من أمور، منها ما قد يدل بالطبع ... لا بالوضع «¹.

لتأتي بعد ذلك تحديدات مشابهة لتحديد الزمخشري للكلمة كقول ابن هشام في شذور الذهب: « الكلمة قول مفرد «²، وقول ابن عقيل: « الكلمة: هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد «³، وقول الشريف الجرجاني (ت 816هـ): « الكلمة هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد «⁴، وقول الأشموني (ت900هـ): « حد الكلمة قول مفرد «⁵. وقول السيوطي(ت911هـ): « الكلمة قول مفرد مستقل، وكذا منوي معه على الصحيح وشرط قوم: كونه حرفين «⁶.

تتشترك الأقوال السابقة الذكر في جعل الكلمة تشتمل على ثلاثة شروط: الصوت، والوضع، والاستقلال بدلالة محددة.

¹ ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ط(1)، ج(1)، 1422 هـ / 2001م، ص70.

² ابن هشام: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ج(1)، (د ، ت)، ص 15.

³ ابن عقيل: شرح ابن عقيل على الفئة ابن مالك، تحقق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط(20)، المجلد(1)، (د ، ت)، ص 15.

⁴ الجرجاني الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشادي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ، ت)، ص 155.

⁵ الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، المجلد (1) ، 1419هـ / 1998 م، ص25.

⁶ السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج(1)، 1413هـ / 1992م، ص3.

وقد اعترض تمام حسان على تلك الأقوال قائلاً بأنها غفلت حقيقة التفريق بين الكلمة واللفظ والقول¹، وأنّ تعريف ابن عقيل يصدق على باء الجر التي جاءت لمعنى المصاحبة رغم أنّها ليست بكلمة، أمّا السيوطي فقد أدخل في تعريفه أفكاراً منقوضة كالتقدير – على حد تعبيره –² بحجة أنّه تأثّر إلى حد كبير بوظيفتها النحوية إلى درجة أنّه تصوّر أنّ الضمير المستكن جوازاً أو وجوباً يدخل ضمن نطاق الكلمة، رغم أنّه أشار إلى أنّ ابن الخباز (ت 637هـ) رفض تسمية الضمير المستكن اسماً لأنّه ليس بكلمة³.

أمّا بالنسبة لعلماء العربية المحدثين، فلعلّ تمام حسان هو من أعطى الكلمة العربية تعريفاً خاصاً بطبيعتها وخصائصها. قال حلمي خليل: « أمّا علماء العربية المحدثون فلم يحاول أحد منهم وضع تعريف للكلمة فيما كتبوه أو نشره من أبحاث في فقه اللغة أو علم اللغة على السواء، والتعريف الوحيد فيما نعلم للكلمة هو ما قدمه الدكتور تمام حسان في كتابه " مناهج البحث في اللغة" وهو تعريف خاص بالكلمة العربية وليس تعريفاً عاماً للكلمة. »⁴.

يقول هذا التعريف إنّ الكلمة « صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تُقَرَّد، أو تحذف، أو تُحشَى، أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق، وترجع في مادتها غالباً إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد »⁵.

¹ ينظر: حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994، ص 317.

² ينظر حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، ص 226.

³ ينظر: السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ص 6.

⁴ حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص 29.

⁵ حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، ص 232.

يُفهم من هذا أن تمام حسان يجعل من السياق معياراً لتحديد لها، فهي بذلك تتميز بالتفرد، والحذف، والحشو، والاستبدال، والاستقلال، أمّا المعيار اللغوي والدلالي فيكاد لا يُذكر، وهو بذلك يركّز على الكلمة المكتوبة أكثر من المسموعة¹.

فإذا انتقلنا إلى علماء الغرب المحدثين . على سبيل التمثيل لا الحصر . فإننا نجد "بلومفيلد" « LEONARD Bloomfield » هو أشهر من عرّف الكلمة²، وتعريفه أقرب إلى مفهوم علماء العرب³ فيقول:

«Such as the word, which is defined as the smallest free from »⁴
فالكلمة هي أصغر وحدة لغوية ذات معنى يمكن النطق بها وحدها ، وتستعمل في تركيب الجمل ، ويشترط عنده أن تتكون من مورفيم حر « Free from » على الأقل، وهذا يفهم من النص الآتي:

« In American. Structuralism , form is an unclassified linguistic utterance to which a meaning is attribute. A distinction is drawn between (a) free forms, which can occur alone »⁵.

¹ ينظر: خليل حلمي: الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص 30.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

³ ينظر: شامية أحمد: في اللغة، دار البلاغ، الجزائر، ط (1)، 1423هـ/2002م، ص 67.

⁴ Gregory Trauth and kerstin kazzazi : Routledge dictionary of Language and linguistics, Newuork, 1996, p 421.

* : الكلمة هي أصغر وحدة حرة .

⁵ Gregory Trauth and Kerstin kazzazi : Routledge dictionary of Language and linguistics, P 421.

* بمعنى: في البنيوية الأمريكية، هي شكل من أشكال الكلام اللغوي يمكن النطق بها وحدها ، تحمل معنى ، يشترط فيها أن تتكون من مورفيم حر .

يعلق حلمي خليل على هذا التعريف قائلاً بأنه في اللغات عناصر لغوية لا تستعمل بمفردها مثل: « a » و « the » في الانجليزية، و « je » في الفرنسية، وحروف الجر وبعض الضمائر في اللغة العربية¹.

فالكلمة إذن لها خصائص محددة، بعضها يتصل ببنيتها مثل: الصوت، والصيغة، والاشتقاق، والوظيفة والكتابة والنطق، وبعضها يتصل بمعناها: دلالتها ورمزيتها².

لعلّ أفضل ما يختم به هذا المطلب ما قاله حلمي خليل: « الكلمة إذن في نهاية الأمر مبنى ومعنى، لكل منهما سماته وخصائصه التي بها نستطيع أن نتعرف على الكلمات، ولعل محاولة وضع تعريف جامع للكلمة تتراجع أمام الدراسة الدقيقة لهذه الجوانب جميعاً. »³.

المطلب الثاني: فصاحتها وبلاغتها

يُعد كتاب "البيان والتبيين" من أضخم مؤلفات الجاحظ (255هـ) وهو يلي كتاب "الحيوان"، إذ ينصب على معالجة المواضيع الأدبية من بيان وبلاغة وفصاحة وخطب ورسائل وأحاديث وأشعار، محاولاً وضع أسس علم البيان وفلسفة اللغة⁴.

لم يفرد الجاحظ عنواناً تكلم فيه عن فصاحة الكلمة وبلاغتها، وإنما نجد ذلك في تضاعيف كتابه بعد التصفح الكثير والتأمل الطويل، فمن صفات اللفظ الفصيح في رأيه توافق حروفه، فقد لاحظ أنّ في العربية لا تجتمع الجيم مع الهاء ولا القاف ولا

¹ ينظر: خليل حلمي: الكلمة - دراسة لغوية معجمية، ص 16.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

³ المرجع نفسه ص 31.

⁴ ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، ج(1)، (د ، ت)، ص 5.

العين، ولا تقارن الزاي الطاء أو السين أو الضاد أو الدال سواء في حالة التقديم أو التأخير¹.

تقتضي الفصاحة أيضا عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة، وإذا حدث وأن تنافرت الألفاظ صعب النطق بها، وظهرت غير متلائمة ولا متناسقة مع ما قبلها وما بعدها كقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ².

فمن شروط بلاغتها « متانة العبارة التي تعني ربط ألفاظ الجملة ببعضها ربطا محكماً لا هلهلة فيه ولا خلل فأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم أنه قد أفرغ إفراغاً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»³. اعتمد الجاحظ في ذلك على القرآن الكريم وكلام الأعراب، إذ جعلهما مقياساً للفصاحة والبلاغة⁴.

ولعل ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) يعدُّ من أوائل علماء البلاغة العربية الذين أولوا اهتماماً بالجانب الصوتي والدلالي للكلمة⁵، وعلاقة ذلك بمفهوم الفصاحة والبلاغة بطريقة منهجية واضحة، إذ أقام كتابه " سر الفصاحة" على التفريق بين الفصاحة والبلاغة، ونجد ذلك في مواضع عديدة⁶ منها قوله: « الفرق بين الفصاحة والبلاغة أنَّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع

¹ ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ص 77.

² ينظر: المصدر نفسه، ص 74.

³ المصدر نفسه، ص 18.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص 17 - 19 - 31.

⁵ ينظر: خليل حلمي: الكلمة، ص 26.

⁶ ينظر: الخفاجي بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1402هـ/1982م، ص 60 - 71 - 94.

96 - 163 - 171 - 198 - 205 - 207 - 209 - 213 - 229 - 231.

المعاني. لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه. ¹».

وفي موضع آخر يقول: « فإذا كان قد مضى الكلام في الألفاظ على الإنفراد والاشتراك فلنذكر الآن الكلام على المعاني مفردة من الألفاظ ليكون هذا الكتاب كافياً في العلم بحقيقة البلاغة والفصاحة. فإنّهما وإن تميّزا من الوجه الذي ذكرته فهما عند أكثر الناس شيء واحد لا يكاد يفرق بينهما إلا القليل». ². رغم أنّه صرّح في مقدمة كتابه أنّ الغرض منه هو معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرّها ³.

اشتراط في فصاحة الكلمة ثمانية شروط هي:

- 1- أن تكون مؤلّفة من حروف متباعدة .
- 2- أن تجد لتأليف اللفظة حسناً ومزية على غيرها.
- 3- أن تكون غير متوعدة وحشية.
- 4- أن تكون غير ساقطة عامية.
- 5- أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة.
- 6- ألا تكون قد عبّر بها عن أمر آخر يُكره ذكره.
- 7- أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف .
- 8- أن تكون مصغرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ⁴.

¹ الخفاجي بن سنان: سر الفصاحة، ص 59

² المصدر نفسه، ص 234

³ ينظر: المصدر نفسه ، ص 13

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص من 63 إلى 89

أمّا في حالة اجتماعها مع أخواتها فيشترط فيها ما يلي:

- 1- حسن التأليف في الموضوع المختار.
- 2- الاختصار والإيجاز وحذف فضول الكلام.
- 3- أن يكون الكلام واضحاً ظاهراً.
- 4- أن يُراد معنى فيوضّح بالفاظ تدلّ على معنى آخر.
- 5- وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً كأن لا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى، وحسن الاستعارة.¹

يعلّق حلمي خليل على تصور ابن سنان للكلمة فيقول: « فإذا استبعدنا من هذه الشروط الثمانية كل ماله صلة بتقويم الكلمة من الناحية الجمالية، وجدنا أن تصور ابن سنان للكلمة يتصل بجوانب أساسية من بنيتها وماهيتها أيضاً، وهذه الجوانب هي:

- 1- الصوت: فالكلمة تتألف من أصوات متباعدة المخارج
- 2- الصيغة: أن تكون جارية على العرف العربي في التعريف
- 3- الدلالة: ألا تكون وحشية أو ساقطة عامية
- 4- الاستقلال: وتُدرّك من تعامله وإحاحه على الوجود المتميز للكلمة «².

ما يلاحظ على تصور ابن سنان أنّه ينادى بفكرة فصاحة اللفظة المفردة، وقد تصدى لها عبد القاهر الجرجاني بالرفض في مواطن كثيرة من "دلائل الإعجاز"، إذ تجده يكرر القول ويُعيدّه في إبطال أن يكون مرد الفصاحة إلى الكلمة المفردة، فعلى سبيل المثال لا الحصر يعرض فكرة الجاحظ قائلاً: « وهذه شبهة أخرى ضعيفة، عسى

¹ ينظر: الخفاجي بن سنان: سر الفصاحة، ص 95 - 111 - 114 - 118 - 205 - 220 - 232

² خليل حلمي: الكلمة، ص 28

أن يتعلّق بها مُتعلّق مَمَّنْ يُقدِّم على القول من غير رويّة: وهي أن يدّعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي، وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تنقل على اللسان، كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَافِرٍ وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ¹.

بعدها يبطلها بقوله: « والذي يُبطل هذه الشبهة، إن ذهب إليها ذاهب، أنّا إن قصرنا صفة "الفصاحة" على كون اللفظ كذلك، وجعلناه المراد بها، لزمنا أن نُخرج "الفصاحة" من حيِّز "البلاغة"، ومن أن تكون نظيرة لها، وإذا فعلنا ذلك، لم نخل من أحد أمرين: إمّا أن نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نُعرج على غيره، وإمّا أن نجعله أحد ما نُفاضل به، ووجهاً من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام² .

فالكلمة من حيث هي صوت لا قيمة لها في فصاحة أو في بيان أو بلاغة، فإذا قرأ القارئ قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾³، « فإنّه لا يجد الفصاحة التي يجدها إلا من بعد أن ينتهي الكلام إلى آخره، فلو كانت "الفصاحة" صفة للفظ "اشتغل" لكان ينبغي أن يحسبها القارئ فيه حالَ نطقه به، فمحالٌ أن تكون للشيء صفة، ثم لا يصح العلم بتلك الصفة إلا من بعد عدمه⁴ .

بعدها يعطي تشبيها لمن يزعم أنّ الفصاحة للفظ فيقول: « وما مثل من يزعم أنّ "الفصاحة" صفة للفظ من حيث هو لفظ ونطق لسان، ثم يزعم أنّه يزعم أنّه يدّعيها

¹ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 57

² المصدر نفسه، ص 58

³ مريم : 04

⁴ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 407

لمجموع حروفه دون آحادها، إلا مثل من يزعم أن ههنا غزلاً إذا نسيج منه ثوب كان أحمر، فإذا فرّق ونظر إليه خيطاً خيطاً، لم تكن فيه حمرة أصلاً»¹.

ولتكون الكلمة فصيحة لأبد أن توصل بغيرها من الكلمات ويضم بعضها إلى بعض داخل التركيب، فيقول: «وجملة الأمر، أننا لا نوجب "الفصاحة" للفظه مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكننا نوجبها لفها موصولة بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة "اشتعل" من قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾²... إنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك "الفصاحة" لها وحدها، ولكن موصولاً بها "الرأس" معرفاً بالألف واللام، ومقروناً إليهما "الشيب" منكرًا منصوباً»³.

وفي موضع آخر يرى أن "الفصاحة" و "البلاغة" وتخيّر اللفظ لا تكون في الألفاظ ذاتها وإنما هي «عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها، وعن زيادات تحدث في أصول المعاني»⁴.

ذلك هو تصور عبد القاهر الجرجاني في الكلمة، وهو نابع من فكرة نظرية النظم القائمة على توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، إذ يقول: «لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف، كلاماً وشعراً، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه»⁵.

¹ المصدر السابق، ص 409

² مريم : 04

³ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، ص 402

⁴ المصدر نفسه ، ص 259 - 260

⁵ المصدر نفسه ، ص 488

« لا يمكن للفظة الواحدة أن تكون صفة من الحسن والرشاقة والفصاحة وهي منفردة، بل حسنها كامن داخل نظم متكامل معبر عن معان وإيحاءات وجدت بوجود الكل من معنى ولفظ ، وليس بوجود الجزء »¹.

ينظر عبد القاهر إلى استحسان اللفظ من زاوية أخرى، إذ يرى أنَّ اللفظ حتى يستحق صفة المزية والشرف والحسن لابدَّ أن تتوفر فيه شروط داخل التعبير أهمها: حسن تلاؤم حالة اللفظة مع حالات الألفاظ المجاورة لها، وتلاقيها على الوجه الذي يرتضيه العقل، مع مراعاة حال المنظوم بعضه مع بعض، فيقول: « وهل يقع في وهم وإنَّ جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم ... وهل تجد أحداً يقول: "هذه لفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ »².

نتيجة لذلك التصور، نفذه بعض الباحثين كسيد قطب، ومحمد رجب البيومي، ومحمد زكي العشماوي، ودرويش الجندي، لأنَّه أهمل الجانب الصوتي من اللفظ، ولم يعطِ للألفاظ قيمة كبيرة³.

والحقيقة أنَّ عبد القاهر الجرجاني لم ينكر فصاحة الألفاظ وأهميتها ولكنه لم يشأ أن يفسر الإعجاز بها، لذلك لم يدرسها مثلما درسها الآخرون، وتجد ذلك وارداً في آخر كتابه فيقول: « واعلم أنَّ لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها ممَّا يتقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون ممَّا يؤكِّد أمد الإعجاز، وإنما الذي

¹ مراد وليد محمد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر،

دمشق، ط(1) ، 1403هـ/1983م، ص128

² الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 44

³ ينظر: - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط (1) 1393م/

1973م، ص 105 - 106

- ياسوف أحمد: جماليات المفردة القرنية، دار المكتبي، سورية، ط(1)، 1415هـ/1994م، ص 49

نذكره ونُفِيْل رأي من يذهب إليه، أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعُمْدَة،
فيخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات»¹.

يتقارب مع هذا التصور الجرجاني ابن الأثير (637هـ) إذ يرى أن « تفاوت
التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر
وأشق»².

ويُدَل على ذلك بقوله: « ألا ترى أَلْفَاظ القرآن الكريم - من حيث انفرادها - قد
استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا
لفضلة التركيب. وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا إذا فُكِّرْتَ في قوله تعالى: ﴿ وَيَقِيلُ
يَتَأَرَضُ آبُلَعَى مَاءِكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾³، أنك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة
إلا لأمر يرجع إلى تركيبها، وأنه لم يعرض لها هذا الحسن إلا من حيث لاقت الأولى
بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها. فإن ارتبَّتْ في ذلك فتأمل، هل ترى لفظة
منها لو أخذت من مكانها، وأفردت من بين أخواتها، كانت لابسةً من الحسن ما لبسته
في موضعها من الآية؟ »⁴.

ويختلف ابن الأثير عن الجرجاني في أنه فرَّق بين الفصاحة والبلاغة، فالأولى
تكمُن في اللفظ دون المعنى، بينما الثانية لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط

¹ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 522

² ابن الأثير: المثل السائر في آداب الكاتب والشعائر، تحقق: أحمد الحوفي، دار النهضة، مصدر المجلد (1)،

(د، ت)، ص 166

³ هود: 44

⁴ ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 166

التركيب¹، كما أنَّه اشترط في فصاحة اللفظ ما يلي: أن يكون « ظاهراً بيّناً لأنَّه مألوف الاستعمال، وإنما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنّما هو اللفظ، لأنَّه صوت يأتلف عن مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بفصاحة، لأنَّه ضدها لمكان قبحه»².

المطلب الثالث: أهميتها داخل التركيب

أكد عبد القاهر الجرجاني غير ما مرَّ أنَّ الكلمة لا تتسم بالجمال والمزية والفصاحة والبلاغة إلّا وهي داخل التركيب، وذلك بتفاعلها مع ما يسبقها وما يلحقها من كلمات، وما يحدث بينها من تأخٍ وترابط ضمن سياق معين³.

وتصوره هذا نابع من فكرة النظم التي تقوم على ضم الألفاظ بعضها إلى بعض، وفق مبدأ التلاؤم والتناسب والتعليق والتناسق وتوخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم⁴.

يسرد لذلك شواهد شعرية توضح ما ذهب إليه فيقول: « فمن ذلك أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً، كقول البحتري:

إذا ما نهى النَّاهي فلجَّ بي الهوى أصاغتْ إلى الوأشي فلجَّ بها الهجر⁵

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 94

² المصدر نفسه، ص 92

³ ينظر: - المطلب الثاني من الفصل الثاني

- النجار صبا يوسف: الإعجاز اللغوي في القرآن بين الجرجاني والزمخشري (رسالة أعدت لنيل شهادة

الماجستير)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2006م، ص 43 - 44

⁴ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 93

⁵ الصيرفي حسن كامل: ديوان البحتري، دار المعارف، القاهرة، ط(3)، المجلد(2)، (د.ت)، ص 744

وقوله:

إِذَا احْتَرَبْتُ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا¹...

وممَّا نَدَرَ مِنْهُ وَلَطْفَ مَأْخِذِهِ ، وَدَقَّ نَظْرُ وَاضِعِهِ ، وَجَلَّى لَكَ عَنْ شَأْوٍ قَدْ تَحَسَّرَ دُونَهُ
العناق، وَغَايَةِ يَعْجَى مِنْ قَبْلِهَا الْمَذَاكِي الْقُدْرَحُ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورِ فِي تَشْبِيهِ شَيْئَيْنِ
بشئَيْنِ، كَبِيتِ امْرَأَ الْقَيْسِ:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُتَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي²

وبيت الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارُ³

وبيت بشار:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ⁴

وممَّا أَتَى فِي هَذَا الْبَابِ مَا تَى أَعْجَبَ مِمَّا مَضَى كُلُّهُ، قَوْلُ زِيَادِ الْأَعْجَمِ:

وَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرُقُ⁵

وَإِنَّمَا كَانَ أَعْجَبَ، لِأَنَّ عَمَلَهُ أَدَقُّ، وَطَرِيقَهُ أَغْمَضُ، وَوَجْهَ الْمَشَابِكَةِ فِيهِ
أَغْرَبُ⁶.

¹ الصيرفي حسن كامل : ديوان البحري ، ص1299

² المصطاوي عبد الرحمن: ديوان امرئ القيس ، دار المعرفة لبنان، ط(2)، 1425هـ - 2004م ، ص139

* الحشف البالي: يابس التمر

³ فاعور علي: ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط(1)، 1407هـ/1987م، ص323

⁴ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص759

⁵ بكار يوسف حسين: شعر زياد الأعجم ،دار المسيرة، ط(1) ، 1403هـ/1983م، ص88

⁶ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، ص 96

للسياق أهمية كبيرة عند الجرجاني، إذ يعطي الكلمة قيمتها، ويحدّد معناها الخاص، رابطاً إيّاه بتوحي معاني النحو وفروقه فيما بين الكلم، فلكل كلمة موضع خاص، وسياق معين تؤدي من خلالهما معنى محدد لا يؤديه غيرها إذا وضعت مكانها. يضرب أمثلة قرآنية لجمال الكلمة داخل التركيب فيقول على سبيل المثال لا الحصر: « ونظير هذا في التنزيل قوله عز وجل : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾¹، "التفجير" للعيون في المعنى وأقع على الأرض في اللفظ، كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس. وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا، مثل الذي حصل هناك، وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيوناً كلّها، وأنّ الماء قد كان يفور من كل مكان منها. ولو أُجْرِيَ اللفظ على ظاهره فقل: "وفجّرنا عيون الأرض، أو العيون في الأرض"، لم يفد ذلك ولم يدلّ عليه، ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون مُنْفَرِّقَة في الأرض وتبجّس من أماكن منها»².

جعل محمد الصغير بناني نظرية النظم الجرجانية في صورة هندسية، لأنّ عبد القاهر شبّه نظم الكلمات في النص تبعاً لنظمها في النفس بالهندسة في البناء على الرصف والرص وقياس الأبعاد والخطوط وتقويم السطوح وتصنيف المستويات، فكل منهما يهتم بجمال المنظر وانسجام المظهر. وهذا شبيه بـ« ناطحات السحاب اليوم وإن كانت بليغة في بنائها التراكيب العجيبة تفوق هندسة الخيام تظل قائمة على نفس الأبعاد الهندسية: طولاً وعرضاً وتماسكاً بين الأجزاء وطموحاً إلى تحقيق غاية معينة»³.

¹ القمر : 12

² الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، ص 102

³ ينظر: بناني محمد الصغير: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة ، دار الحكمة ،

الجزائر ، 2001م ، ص31 و32

ومما له أثر فعال في تحديد معنى الكلمة هو صيغتها ، يعرفها الرضي الاسترابادي في " شرح شافية ابن الحاجب " بأنها هيئة الكلمة التي لا يمكن أن يشاركها غيرها من حيث عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الأصلية والزائدة ، كلٌّ في موضعه¹ . أو هي بمثابة قوالب تصبّ فيها المادة اللغوية للدلالة على معانٍ معيّنة ومحددة² ، فمثلاً الفعل " كَتَبَ " جاء على صيغة " فَعَلَ " ، ودلّ على زمن فعل الكتابة ، و" كَاتِبَ " جاء على صيغة " فَاعِلَ " ، ودلّ على من قام بالفعل ، و" مَكْتُوبَ " جاء على صيغة " مَفْعُولَ " ، ودلّ على من وقع عليه الفعل ، و" كِتَابَةَ " جاءت على صيغة " فِعَالَةَ " ، وهي حدث مجرد دال على الحرفة أو الصناعة .

ومن ثمة فالصيغة عنصر أساسي في تحديد المعنى ، فبدونها يقع الالتباس في معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة ، إذ بها تُقام الفروق مثلاً بين " كَتَبَ " و" كَاتِبَ " و" مَكْتُوبَ " و" كِتَابَةَ " كما رأينا سابقاً ، ويُخصّص المعنى ويُحدّد كمعنى الفاعلية إن كان على وزن " فاعِلَ " من الثلاثي ، أو " مَفْعِلَ " من " أفْعَلَ " ، أو " مُفْتَعِلَ " من " افْتَعَلَ " ، ومعنى المفعولية في صيغ اسم المفعول ، ومعنى الطلب في " اسْتَفْعَلَ " مثل: " اسْتَعْطَفَ " و" اسْتَرْحَمَ " ³.

فللصيغ دلالات حاول فقهاء اللغة استخراجها واستنباطها عن طريق الاستقصاء والتحري فوقفوا على كثير منها ، أذكرها على سبيل الأمثلة لا الحصر :

¹ ينظر: الرضي الإسترابادي محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب ، تحقق: محمد نور الحسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج(1) ، 1395 هـ - 2001 م ، ص2.

² ينظر : يوسف هندراوي عبد الحميد أحمد : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط(1) ، 1422 هـ - 2001 م ، ص27.

³ ينظر: المبارك محمد : فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية - مطبعة جامعة دمشق ، 1379 هـ - 1960 م ، ص95 و96 .

- **فَاعِلٌ** : للدلالة على المنافسة وتعلّق الفعل بمتعدّد مثل : ضَارَبَ ، شَارَكَ ، جَالَسَ ، خَالَطَ .
 - **تَفَاعَلَ** : للدلالة على المشاركة مثل: تَصَالَحَ ، تَعَاوَنَ ، تَزَاوَمَ ، وعلى التظاهر بالشيء مثل : تَجَاهَلَ ، تَغَابَى ، تَمَارَضَ .
 - **تَفَعَّلَ** : للدلالة على مطاوع "فعل" مثل : كَسَرْتُهُ فَتَكَسَّرَ ، وعلى أخذ الشيء بتمهّل مثل : تَفَهَّمَ ، تَبَصَّرَ ، تَأَمَّلَ .
 - **فُعَالٌ** : للدلالة على الأصوات مثل : عَوَاءٌ ، رُغَاءٌ ، صُرَاخٌ .
 - **فُعَالَةٌ** : للدلالة على بقايا الأشياء مثل : حُثَالَةٌ ، نُفَايَةٌ ، عُصَارَةٌ .
 - **فُعَالَةٌ** : للدلالة على الحرفة مثل : زِرَاعَةٌ ، تِجَارَةٌ ، حِيَاكَةٌ .
 - **فُعَالٌ** : للدلالة على مبالغة اسم الفاعل مثل : كَذَّابٌ ، شَرَّابٌ ، قَتَّالٌ ، وعلى الحرفة و الصناعة أيضا مثل : نَجَّارٌ حَدَّادٌ .
 - **مَفْعَلَةٌ** : للدلالة على المكان الذي يكثر فيه الشيء مثل : مَأْسَدَةٌ ، مَكَلَّةٌ ، وعلى ما هو سبب ذلك مثل : مَجْهَلَةٌ ، مَجْبَنَةٌ ، مَهْلَكَةٌ .
 - **فِعَالٌ** : للدلالة على المرافق و الأدوات مثل : فِرَاشٌ ، حِرَامٌ ، لِحَامٌ ، بِسَاطٌ¹ .
- ومن ثمة ، فالكلمة العربية تحتوي على ثلاثة عناصر أساسية :

- 1 - **المادة الأصلية المتمثلة في الحروف الأصلية المتكوّنة منها مثل: (ق ط ع)** بالنسبة إلى الألفاظ (قَاطِعٌ ، مَقْطُوعٌ ، مُقَاطَعَةٌ ، تَقْطِيعٌ) .
- 2 - **هيئتها التي رُكِّبت فيها حروفها الأصلية والزائدة .**

¹ ينظر : - المبارك محمد : فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية ، ص 96 و 97

- الصالح صبحي : دراسات في فقه اللغة ، ص 337 و 338

3 - معناها المتحصل من مادتها وهيئة تركيبها ،واستعمالها العملي وفق بيئة خاصة وعصر معين¹.

إذا تأملت القرآن الكريم وجدته مليئاً بالشواهد التي تظهر جمال الكلمة وهي داخل التركيب ضمن تأليف خاص، فيكسبها ميزة ليس لها نظير، وقد أشار إلى ذلك عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي حينما شرح سبب اختيار صيغة المبالغة "فَعَّال" في قصة موسى عليه السلام على لسان فرعون ،وذلك في قوله تعالى : ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۚ﴾ ^(٢) قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۖ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۖ ^(٣) إذ دلت الصيغة في " سَحَّار " على « مقابلة الملاء وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيده على أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم (بسحره) فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحَّار عليم يفوق سحره سحر موسى ^(٤) » .

تكلم عن ذلك مصطفى صادق الرافعي، وأعطانا مثلاً حياً من أغرب الأمثلة التي تظهر الدقة المتناهية في انتقاء الكلمة القرآنية، وهي كلمة "ضيّزى" في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۖ ۚ﴾ ^(٥)، فيقول: « ومع ذلك فإن حسنهما في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله مع أولادهم البنات

¹ ينظر : المبارك محمد : فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية - ، ص92

² الشعراء: 34 و 35 و 36 و 37

³ يوسف هنداوي عبد الحميد أحمد : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص103

⁴ النجم: 22

... فكانت غرابة اللفظ أشد| الأشياء ملاءمة لقراءة هذه القسمة التي أنكرها ... وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة ¹.

ونضرب مثالا آخر في كلمة واحدة وجميعها كيف أنهما يختلفان في موضع استعمالهما، "الريح والرياح"، فكلاهما يردان في القرآن بحسب ما يقتضيه الحال والسياق²، فالأولى تأتي لتحمل معنى الشر والعقوبة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾³، وقوله أيضا: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾⁴.

ولم يأت استعمالها في الخير إلا في موضع واحد يليه ذكر للشر⁵ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾⁶. أما كلمة "رياح" فتأتي غالبا لتعبر عن البشرى والرحمة والخير، لقوله تعالى:

¹ الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423هـ/ 2003م، ص 158

² ينظر: وافي نجم إقبال: التناسب ودوره في الإعجاز القرآني (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير) ، جامعة

الكوفة ، كلية الفقه، 1430هـ/ 2009م، ص 91

³ آل عمران: 117

⁴ الحاقة: 06

⁵ ينظر: وافي نجم إقبال: التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، ص 92

⁶ يونس: 22

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ لِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹.

فهذا يعني أنّ الكلمة حينما تستعمل مرة في حالة إفراد، ومرة أخرى في حالة جمع فإنه يزداد بها معنى مقصوداً يختلف في كل موضع عن الآخر.

أورد محمد حسن علي الصغير أمثلة كثيرة عن ذلك حينما تحدّث عن أنواع الدلالات (الصوتية، والاجتماعية، والإيحائية، والهامشية)، أذكر شاهدين على سبيل المثال لا الحصر، الأول يخصّ كلمة "ربوة" في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾²، ففي موضعها هذا تحمل « صورة فريدة في تخيل الجنان تتساقط عليها الأمطار فتمسح سطحها، وهي سامقة شامخة فتزيل القذى عن أشجارها، وتثبت جذورها، وتمنحها القوة والحياة والاستمرار، وهي على نشز من الأرض تباكرها هذه الهبات، وما يوحي ذلك من مناخ نفسي يسكن إليه الضمير»³.

والشاهد الثاني كلمة "بصير" في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁴، فهي توحى بالملاحظة الدقيقة والرقابة الشديدة، والإحاطة الشاملة بجزئيات الأمور ووكلياتها، « وحيثيات الإنسان وتصرفاته، فعمله منظور لا يغفل عنه، ووجوده في رصد

¹ الروم : 46

² البقرة: 265

³ علي الصغير محمد حسن: نظرية النقد العربي - رؤية قرآنية معاصرة - ، دار المؤرخ، بيروت ط (1)،

1420هـ/1999م، ص 56

⁴ البقرة : 265

لا يترك، وأعماله في سبر وإحصاء ... والله يرصد ما يشاهد، ما يخفى، وما تجن الصدور»¹.

ويستنتج ممّا سبق ذكره، أنّ للقرآن الكريم خصوصيات في استعمال كلماته، إذ تأتي بوصفها بنية سياقية ذات قيمة دلالية، ضمن نسيج النص القرآني، ووجودها يكون ضرورياً في ذلك الموضع، ولا يتحقق التناسب اللفظي إلا بها.

المبحث الثالث: في المستوى التركيبي

المطلب الأول: حدّ التركيب

التركيب لغة من مادة (ر ك ب)، « تقول في تركيب الفصّ في الخاتم والنّصل في السّهم: ركبّه فتركب »²، قال ابن فارس: « الراء والكاف والباء أصل واحد منقاس، وهو علوٌ شيءٍ شَيْئاً »³.

« وتراكب السحاب وتراكم: صار بعضه فوق بعضٍ ... وركب الشيء: وضع بعضه على بعض، وقد تركب وتراكب »⁴، يرى الشريف الجرجاني أنّ التركيب عبارة عن جمع حروف بسيطة ونظمها لتصير كلمة لها معنى⁵.

وقريب من هذا ما قاله الفيروز آبادي: « ركبهُ تركيباً: وضع بعضه على بعضٍ فتركب وتراكب. والركب: المركب في الشيء، كالفصّ، ومن يركب مع آخر. »⁶.

¹ علي الصغير محمد حسن: نظرية النقد العربي - رؤية قرآنية معاصرة، ص 56

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(1)، ص 139

³ ابن فارس: مقاييس اللغة، ج(2)، ص 432

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ج(3)، ص 1714

⁵ الجرجاني الشريف: التعريفات، ص 56

⁶ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (8)، 1426هـ/

يفهم ممّا سبق ذكره أنّ التّركيبَ يعني الضّمّ وجمع الأشياء بعضها مع بعض لتشكيل شيء مركّب.

أمّا اصطلاحاً فقد تجسّد التّركيبُ عند النُّحاة العرب في مصطلحين هما "الجملة" و "الكلام" لورودهما متلازمين في كثير من المصنفات النحوية، أهما بمعنى واحد؟ أم هما مختلفان؟

ظهر في هذه المسألة اتجاهاً هما :

• الاتجاه الأول يقول بالترادف:

يرى النحاة الأوائل ممّن تعرّض لهذه المسألة أنّ الجملة والكلام مصطلحان لشيء واحد، ومن هؤلاء الزمخشري حينما عرّف الكلام بقوله: « هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذاك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر وتسمى جملة ¹، فهو يشترط فيه (متضمنا الجملة) التركيب، وإفادة معنى يحسن السكوت عليه .

ليأتي بعده أبو موسى الجزولي ويضع تعريفاً مقارباً لما عناه فيقول: « الكلام هو اللفظ المركّب المفيد بالوضع ²، أي ما توفر فيه التركيب والإفادة والاصطلاح.

أمّا ابن يعيش فهو الآخر يردد أقوال سابقيه بترادف الجملة والكلام خاصة الزمخشري، بل ويشرحها فيقول: « اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، ويسمى: "الجملة"، نحو: "زيد أخوك" و "قامض بكر"، وهذا معنى قول صاحب الكتاب. ³»

¹ الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، (د، ت)، ص 6

² الجزولي بن عبد العزيز: المقدمة الجزولية في النحو، تحقق: شعبان عبد الوهاب محمد، (د، ت)، ص 3

³ ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ج(1)، ص 72

بعدها أصبحت صفة التركيب والإفادة لازمة للكلام في حدود الذين جاؤوا من بعد الزمخشري وابن يعيش، كقول ابن علي الشلوبيني (ت 645 هـ): «الكلام حقيقة: لفظ مركّب، وجوداً أو نية، مفيداً بالوضع، كقولك: زيد قائم، وعمرٌ وجالسٌ»¹، وقول ابن الحاجب (ت 646 هـ): «الكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتّى ذلك إلا في اسمين، أو فعل واسم»²، وقول ابن عصفور الإشبيلي (ت 669 هـ): «الكلام ... اللفظ المركب المفيد بالوضع»³، والأمر نفسه تجده عند ابن مالك (ت 672 هـ)⁴.

ولا يخرج عباس حسن عمّا قاله سابقوه، إذ يرى أنّ الجملة والكلام وجهان لعملة واحدة فيقول: «الكلام (أو الجملة) هو ما تركّب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مستقلّ مثل: أقبل ضيفٌ، فاز طالبٌ نبيهٌ، لن يُهملَ عاقلٌ واجباً»⁵.

ويقرر في شرحه أنّ الجملة الخبرية إذا وقعت صلة لموصول أو حالاً أو تابعةً لشيء آخر كجملة الشرط لا تسمى جملة ولا كلاماً⁶، لكنه لم يذكر اصطلاحاً لهذه المركبات، وترك الأمر غامضاً، وهذا ما أجاب عنه القائلون بالتفريق بين المصطلحين.

• الاتجاه الثاني القائلون بعدم الترادف :

¹ الشلوبيني بن علي: التوطئة، تحقق: يوسف أحمد المطوع، 1401 هـ/1981 م، ص 112

² ابن الحاجب: الكافية في علم النحو الشافية في علم التصريف والخط، تحقق: صالح عبد العظيم، مكتبة الآداب،

القاهرة، (د، ت)، ص 11

³ الإشبيلي بن عصفور: شرح الزجاجي، تحقق: صاحب أبو جناح، ج(1)، ص 87

⁴ ينظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل، دار التراث، القاهرة، ط (20)، ج (1)، 1400 هـ/1980، ص 13 - 14

⁵ حسن عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط(6)، ج(1)، ص 15

⁶ ينظر حسن عباس: النحو الوافي، ص 15

فرَّق بعض النحاة بين الجملة والكلام على أساس وجود الفائدة من عدمها، ومن هؤلاء ابن جني (392هـ) الذي يصنفه معظم الباحثين مع الذين وظفوا مصطلح "الجملة" مرادفًا للكلام¹، فهو يشير في لفظة تبين أنه لم يساو بين الكلام والجملة، وإنما كان يلفت انتباه القارئ إلى أن علماء النحو كانوا يطلقون الكلام على الجملة، تجد ذلك التفريق في "باب القول على الفصل بين الكلام والقول"، إذ يقول: «أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقلّ بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو زيدٌ أخوك، وقامَ محمدٌ»².

ثمّ ينهي بابه بالتفريق بين الجملة والجمل، فيقول: «فقد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أنّ الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة بالجمل على اختلاف تركيبها، وثبت أنّ القول عندها أوسع من الكلام تصرفاً، وأنه قد يقع على الجزاء الواحد، وعلى الجملة»³.

ويزداد وضوح معنى الجملة عنده أكثر في كتابه "اللمع في العربية"، فيقول: «وأمّا الجملة فهي كلّ كلام مفيد مستقل بنفسه وهي على ضربين : جملة مركّبة من مبتدأ وخبر وجملة مركّبة من فعل وفاعل، ولا بدّ لكل واحدة من هاتين الجملتين إذا وقعت خبراً عن مبتدأ من ضمير يعود إليه منها تقول زيد قام أخوه فزيد مرفوع بالابتداء، والجملة بعده خبر عنه وهي مركّبة من فعل وفاعل»⁴.

¹ ينظر : - أبو المكارم علي: مقومات الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، (د ، ت) ، ص 24 - 25 / ابن مصطفى العبيدان موسى: دلالة تراكييب الجمل عند الأصوليين الأوائل، دمشق، ط (1)، 2002م، ص 42 - السامرائي فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، ط (2)، 1427هـ/2007، ص 11 - عبادة محمد إبراهيم: الجملة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ، ت)، ص 19

² ابن جني: الخصائص، تحقق: عبد الحميد هنداوي، ج (1)، ص 72

³ المصدر نفسه، ص 86

⁴ ابن جني: اللمع في العربية، نحق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د ، ت)، ص 26 - 27

كما تجد عبد القاهر الجرجاني من الذين فرّقوا بين المصطلحين، وإن لم يصرّح به في كتبه، فقد صنّفه أبو المكارم من الذين يقولون بالترادف¹، وذلك بناء على ما اقتطفه من نص الجرجاني قائلاً فيه: « اعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيد سمي كلاماً وسمي جملة »².

فلو تتبّع بقية كلام الجرجاني ولم يتوقف عند الشاهد الذي اعتمد عليه، لتبيّن له تفريقه للمصطلحين، إذ يقول شارحاً لما أجمله في النص السابق: « والجملة تقع موقع المفرد في ستة مواضع: أحدها خبر المبتدأ، تقول: زيد خرج أبوه ... والثاني: خبر كان وأخواتها كقولك: كان زيد أبوه منطلقاً فأبوه منطلق في موضع نصب ...

والثالث: خبر إن وأخواتها تقول: إن زيدا أخوه منطلق، ف "أخوه منطلق" في موضع رفع... والرابع: في المفعول الثاني من باب ظنت وأخواتها ... والخامس: في صفة النكرة ... والسادس الحال»³.

وتجد التفريق أيضاً في كتابه "المقتصد في شرح الإيضاح" الذي يمثل زبدة أفكاره النحوية فيقول: « وإنما سمي كلاماً ما كان جملة مفيدة نحو: زيد منطلق، وخرج عمرو»⁴، وفي موضع آخر يقول: « فالكلام لا يخلو من جملتين: إحداهما: اسمية كقولك: زيد أخوك، وتسمى جملة من المبتدأ والخبر والثانية: فعلية كقولك: خرج زيد، وتسمى جملة من فعل وفاعل. »⁵، فلو رادف بينهما لقال الكلام نوعان اسمي وفعل، ولم يذكر أصلاً مصطلح الجملة، فهذا دليل يكشف بصورة جلية رأيه الحاسم في التفريق.

¹ ينظر: أبو المكارم علي: مقومات الجملة العربية، ص 24 - 25

² الجرجاني عبد القاهر: الجمل في النحو، تحقق: علي حيدر، دمشق، 1392ع/ 1972م، ص 40

³ الجرجاني عبد القاهر: الجمل في النحو، ص 40 - 41

⁴ الجرجاني عبد القاهر: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، الجمهورية العراقية،

ج(1)، 1982م، ص 68

⁵ الجرجاني عبد القاهر: المقتصد في شرح الإيضاح، ص 93

وبيزيد ابن هشام (761هـ) الأمر وضوحاً، إذ يُعرّف كلا من الجملة والكلام فيقول: «الكلام: هو القول المفيد بالقصد. والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه. وبالجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ "قَامَ زَيْدٌ"، والمبتدأ والخبر كـ "زَيْدٌ قَائِمٌ" وما كان بمنزلة أحدهما»¹.

بعدها ينفي ترادفهما ويبين أن بينهما عموماً وخصوصاً فيقول: «وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنّه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة، والصواب أنّها أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمّعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام.»².

ويتقارب مع ابن هشام الشريف الجرجاني في المعنى حينما جمل للكلام فائدة فيقول: «الكلام ... في اصطلاح النحويين هو المعنى المركّب الذي فيه الإسناد التام»³، بينما الجملة عنده فهي تركيب سواء أفاد أم لم يفد، وهي أعم من الكلام، فيقول: " الجملة عبارة عن مركّب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: "زَيْدٌ قَائِمٌ"، أو لم يفد كقولك: «إِنْ يُكْرِمَنِي" فإنّه جملة لا تفيد إلّا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً»⁴.

ولا يخرج عن هذا السيوطي إذ هو الآخر ينفي الترادف بينهما ويحدث التفريق فيقول: «والجملة قيل : ترادف لكلام، والأصح أعم، لعدم شرط الإفادة، فإنْ صُدّرت

¹ ابن هشام: مغني اللبيب عند كتب الأعراب، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت،

ج (2)، 1434هـ/2012م، ص 431

² ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص 431

³ الجرجاني الشريف: معجم التعريفات، ص 70

⁴ المصدر نفسه، ص 70

باسم فاسمية، أو فعل ففعلية، أو ظرف أو مجرور فظرفية ... ذهبت طائفة إلى أنَّ الجملة والكلام مترادفان، وهو ظاهر قول الزمخشري في المفصل ... والصواب أنَّها أعمُّ منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها... وعلى هذا فحد الجملة: القول المركَّب «¹.

وقد حاول موسى بن مصطفى العبيدان أن يوقِّق بين الاتجاهين، إذ يرى أنَّ الخلاف بينهما خلاف لفظي مصدره غياب المصطلح النحوي المناسب لتركيب أكبر (الجملة - كما يقول -) فكلاهما لا يختلف في جعل التركيب الآتي: "بَلَّغَنِي أَبُو حَنِيفَةَ عِلْمُهُ وَافِرٌ" مكون من ثلاثة أجزاء هي: "بلغني" و "أبو حنيفة علمه وافر" و "علمه وافر"، فكلُّ منهما ليس جملة مستقلة بذاتها بل جزء من تركيب أكبر وهو الجملة - على حدِّ تعبيره - واستشهد بابن هشام الذي قسَّم الجملة إلى قسمين: جملة كبرى وجملة صغرى².

بعدها ينهي كلامه بأنَّ للجملة حدين فيقول: « وبناء على ما تقدّم، نخلص أنَّ الجملة عند النحويين العرب حدين: حدّ قال به المتقدمون، وهو " كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه "، وحدّ قال به المتأخرون وهو " ما تضمن من الكلم إسناداً مفيداً مقصوداً لذاته " «³.

فالذي يلاحظ عليه، أنَّه أبعد شرط الإفادة عن الكلام، ومال إلى الاتجاه الأول القائل بالترادف، وغفل أنَّ ابن هشام الأنصاري فرَّق تفريقاً واضحاً بين الكلام والجملة، وأنَّه لم يتنازل عن رأيه الأول حينما وضع مصطلحات جديدة مثل: "الجملة الكبرى" و "الجملة الصغرى".

¹ السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت،

1413هـ/1992م، ص 36 - 37

² ينظر: ابن مصطفى العبيدان موسى: دلالة تراكييب الجمل عند الأصوليين، ص 44 - 45

³ المرجع نفسه، ص 45

مهما يكن من أمر، فالذي اتفق عليه جمهور النحاة هو أن "الجملة" و "الكلام" مختلفان، فشرط الكلام الإفادة، بينما الجملة فلا يشترط فيها ذلك، فهي أعم من الكلام¹.

أما حد الجملة عند اللغويين المحدثين²، فلعل المدرسة التحويلية التوليدية أكثر المدارس اهتماماً بالجملة، منطلقة في دراساتها من انتقادها للمناهج البنوية³، ومن تصورها لمفهوم "قواعد اللغة" التي تعدّ وسيلة لتوليد كلّ الجمل الصحيحة⁴.

تشمل هذه القواعد فيما يلي:

- 1- النظام النحوي الذي يعرفنا بالبنية العميقة للجملة .
- 2- القواعد التحويلية التي تعمل على تخريج الجمل وتوليدها بطريقة رياضية فنتج صوراً وأنماطاً مختلفة للجملة الأصلية .
- 3- النظام الصوتي الذي يزودنا بالكيفية التي تنطق بها الجملة.
- 4 - نظام المعاني الذي يدلنا على معنى الجملة⁵.

¹ ينظر: السامرائي فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 12

² درست الجملة عند اللغويين المحدثين دراسة مستفيضة عند:

- بن تريدي أنسية: بناء الجملة الخبرية البسيطة في العربية والأمازيغية (رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه)،

جامعة سعد دحلب، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2012، ص 228 إلى 240

- ابن مصطفى العبيدان موسى: دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، ص من 38 إلى 41

- فالج مقابلة محمد علي: الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة (رسالة أعدت لنيل

شهادة الدكتوراه)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2006م، ص /من 14 إلى 17

³ ينظر: طالب الإبراهيمي خولة: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط(2)، 2006م، ص 103

⁴ ينظر: ابن مصطفى العبيدان موسى: دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، ص 41

⁵ ينظر: - المرجع نفسه

- عبيدي نوار: التركيب في المثل العربي القديم، مطبعة المعارف، ط (1)، 2005، ص 61

- زكريا ميشال: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والنشر، بيروت، ط (2)، 1406هـ / 1986، ص من 7 إلى 15

يشترط التوليدون في الجملة أمرين: الأول السلامة النحوية بمعنى أن يكون تركيبها سليماً نحوياً، متماشياً وقياس اللغة، والثاني الاستحسان أي أن تكون مقبولة ومناسبة لمدلولات اللغة المعنوية، وتتفرع منها الجمل السليمة¹. ومن ثمة فالجملة عندهم هي « كل ما تنتجه القواعد التحويلية ذاتها ... بقوانينها الباطنية والمفرداتية والتحويلية والمورفيمية الصوتية »².

المطلب الثاني: أركان التركيب وأنواعه

الفرع الأول : أركانه

إنَّ كل تركيب لابد أن يتألف من كلمتين فأكثر تجمع بينهما علاقة تأثير وتأثر، أو عامل ومعمول، وينبني أيضاً على ركنين هامين يُعدان عمدة الكلام، وهما المسند والمسند إليه³، فالمسند هو ما يُخبر به، ويضم: الفعل التام، واسم الفعل، والمصدر النائب عن الفعل، والوصف، والمفعول الثاني لظن، والمفعول الثالث لرأي.

أمَّا المسند إليه فهو ما يُخبر عنه، ويضم: المبتدأ، و ما أصله مبتدأ، أسماء النواسخ الفعلية أو الحرفية، وفاعل الفعل التام، وفاعل شبه الفعل التام، ونائب الفاعل للفعل التام أو شبهه، المفعول الأول لظن وأخواتها، والمفعول الثاني لرأي وأخواتها . فهذان الركنان هما طرفا الإسناد، وقد تحدث عنهما سيبويه في باب "المسند والمسند إليه"

¹ ينظر: طالب الإبراهيمي خولة: مبادئ في اللسانيات، ص 105 - 106

² الخولي محمد علي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح، الأردن، 1999م، ص 16

³ ينظر: - عبيدي نوار: التركيب في المثل العربي القديم، ص 43

- حميدي البياتي سناء: قواعد النحو العربي، ص 35

- حسان تمام: الأصول، ص 121

- السامرائي فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 13

- عيادة محمد إبراهيم: الجملة العربية، ص 29

قائلاً: « وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُداً »¹، فهو يشير إلى الارتباط الوثيق بين الطرفين وضرورة كل منهما لتمام الفائدة، وهذا ما جعل النحاة بعده يفسرونه بعلاقة الإسناد.

عرّف ابن يعيش الإسناد قائلاً: « أن تركّب كلمة مع كلمة، وتنسب إحداها إلى الأخرى. فعرفّها بقوله: "أسندت إحداها إلى الأخرى" أنه لم يردّ مطلق التركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة، إذا كان لإحداها تعلّق بالأخرى، على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة »².

ويتقارب مع هذا المعنى قول عبد المتعال الصعيدي الذي يضيف عليه طابعاً نحوياً إذ عرّفه بـ: « إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل »³. فالملاحظ على هذين التعريفين أنّ الإسناد هو عبارة عن علاقة تجمع بين طرفين أساسيين (مسند ومسند إليه) وظيفته الإفادة.

أضاف حسن خميس الملخ إلى ركن الإسناد ركناً ثانياً من أركان التركيب تمثل في: الفضلة، وهو مصطلح أطلقه النحاة « انطلاقاً من تصور نظري مؤداه أنّ ما تطلبه الجملة ببنيتهما فهو عمدة، وما تطلبه بمعناها فهو فضلة »⁴.

عرّفها محمود حسني مغالسة بأنها غير المسند والمسند إليه، إذ يمكن الاستغناء عنها عند النحاة، بها يتم معنى الكلام، وتزداد الفكرة وضوحاً، تشمل كل المنصوبات

¹ سيبويه: الكتاب، تحقق: عبد السلام هارون، ط (3)، ج (1)، 1408هـ/1988، ص 23

² ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ص 72

³ الصعيدي عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، ج (1) (د، ت)، ص 54 - 55

⁴ الملخ حسن خميس: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، دار الشروق، عمان، ط (1)، 2007م، ص 21

تقريباً كالحال والتمييز والمستثنى والتوابع والمفاعيل جميعاً: المفعول به، والمفعول لأجله، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول المطلق ، والمفعول معه¹.

كما زاد ركناً ثالثاً وهو الأداة، إذ يقع بين أجزاء الكلام وقبلها، يقوم بوظيفة الربط بحروف الاستفهام والشرط والتمني ونواصب المضارع وجوازمه وحروف الجر وحروف العطف².

و من جهة أخرى تجد ميشال زكريا لمّا حاول تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على اللغة العربية، توصّل إلى أنّ قاعدة: فعل + فاعل + مفعول به لا تخضع لأيّة ضوابط ومثّلها بـ: "أكل الرجل التفاحة"، ومن ثمة لا يمكن وضعها كترتيب أساسي في البنية العميقة³.

وليستقيم الوضع أضاف الجار والمجرور وسمّى ذلك بركن الإسناد مثلاً بـ: "كتب يوسف رسالة إلى الطبيب"، وإذا أردت توسيع الجملة بإدخال معاني أخرى لها علاقة بالإسناد، فلا بدّ أن تزيد ركن التكملة، وأعطى أمثلة لذلك، فعلى سبيل المثال: " كتب الرجل الرسالة إلى الولد إلى ساعة متأخرة من الليل". وعليه خرج بالقاعدة الآتية:

الجملة + ركن الإسناد + ركن التكملة

فركن الإسناد مكون من فعل + فاعل + مفعول به + جار ومجرور المرتبطين بالفعل، بينما ركن التكملة يتضمن عناصر لا ترتبط مباشرة بالفعل، وإنّما تعود إلى الجملة ككل⁴.

¹ ينظر: مغالسة محمود حسني: النحو الشافي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(3) ، 1418 هـ . 1997م ، ص

² ينظر: مغالسة محمود حسني: النحو الشافي، ص 22

³ ينظر: زكريا ميشال: الألسنية التوليدية وقواعد اللغة العربية، ص 26

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 41 و 42

فالملاحظ أنَّ ميشال زكريا في محاولته لوضع قواعد اللغة العربية انطلاقاً من النظرية التوليدية التحويلية، غفل أنَّ هذه اللغة لها خصائصها وطبيعتها وبيئتها التي نشأت فيها، فلا يمكن أن تطبق أية نظرية غريبة بحذافيرها على هذه اللغة، فالتجديد لا يكون في القواعد التي من الثوابت المتفق عليها، وإنما يكون في المتغيرات، فالنظرية التوليدية تولدت عن بيئة غريبة لها خصائصها المعروفة بها، ووصفت للغة معينة لها طبيعتها الخاصة .

الفرع الثاني : أنواعه

قسم أحمد أبو حاقّة الجملة إلى أنواع:

- 1- من حيث شكل اللفظ نوعان: اسمية فعلية ويحتويان على مسند ومسند إليه.
- 2- من حيث نوع الإسناد: حقيقة ومجاز.
- 3- من حيث غرض الكلام نوعان: جملة خبرية وأخرى إنشائية.
- 4- من حيث الاكتفاء بالإسناد أو الزيادة فيه: جملة مطلقة وأخرى مقيدة.
- 5- من حيث طول الجملة وقصرها حسب معناها: الإيجاز والمساواة والإطناب.
- 6- من حيث الصلة بين الجمل: الوصل والفصل¹.

الملاحظ على هذا التقسيم أنّه ربط بين علم النحو وعلوم البلاغة، أمّا محمود حسن مغالسة فقد وضع للجملة ستة أشكال وصور هي:

- 1- من اسمين : زيد قائم، أقائم الزيدان؟ أمضروب الزيدان؟، هيهات العقيق.
- 2- من فعل : سرق البيت، قام زيد.
- 3- من جملتين : جملة الشرط وجوابه: إن قام زيد قمتُ، جملة القسم وجوابه: والله لزيد قائم.

¹ ينظر: أبو حاقّة أحمد: البلاغة والتحليل الأدبي، ص 81

4- من فعل واسمين :

أ- فعل وفاعل ومفعول به: طالعت كتاباً

ب- فعل ناسخ مع معموليه: كنت أقرأ كتاباً.

5- من فعل وثلاثة أسماء أي فعل ناسخ وفاعله ومعمولا مثل: علمت زيدا فاضلاً.

6- من فعل وأربعة أسماء أي فعل ناسخ وفاعله ومفاعيله الثلاثة مثل: أعلمت الطيَّار

الجوَّ مناسباً¹.

نظر النحاة القدامى إلى أنواع الجمل من ثلاثة منطلقات²:

المنطلق الأول وظيفي:

فقد جعلوا الكلام مكوناً من خبر وإنشاء وطلب إلا أنَّ ابن هشام رأى أنَّه عبارة

عن خبر وإنشاء بينما الطلب فهو جزء من الإنشاء، فيقول: « الكلام ينقسم إلى خبر

وإنشاء فقط وأنَّ الطلب من أقسام الإنشاء»³.

المنطلق الثاني تركيبى:

بالنظر إلى التركيب الداخلي للجملة فقد اعتمد فيه النحاة على ما تبدأ به

الجملة، فإنَّ تصدَّرت الجملة بفعل سميت فعلية، وإنَّ تصدَّرت باسم سميت اسمية،

وإنَّ تصدَّرت بشرط سميت شرطية. فعند أبي علي الفارسي والزمخشري أربع جمل⁴:

¹ ينظر: مغالسة محمود حسن: النحو الشافي، ص 23 - 24

² ينظر: عبادة محمد إبراهيم: الجملة العربية، ص من 132 إلى 134

³ ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 40

⁴ ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 433

اسمية وفعلية وشرطية وظرفية، وعند الجرجاني جملتان: اسمية وفعلية فيقول: «فالكلام لا يخلو من جملتين: إحداهما: اسمية كقولك: زَيْدٌ أَخُوكَ، وتسمى جملة من المبتدأ والخبر، والثانية: فعلية كقولك: خَرَجَ زَيْدٌ، وتسمى جملة من فعل وفاعل»¹.

أمّا ابن هشام فقد قسمها إلى ثلاث جمل: اسمية وفعلية وظرفية، وعنون ذلك بـ "انقسام الجملة" فلم يكتف بعض النحويين بذلك وإنّما أضافوا تقسيماً آخر وهو جملة صغرى وجملة كبرى، مثل: عباس حسن وابن هشام²

المنطلق الثالث: احتمالات موقعية:

وذلك حينما تتبوأ الجملة موقع الخبر أو النعت أو المفعول به أو الحال أو المضاف إليه أو الصلة أو المعطوف أو الاستئناف أو الابتداء وغيرها، ومن ثمة صَنَّفُوا الجمل إلى نوعين: جمل لها محل من الإعراب، وجمل ليس لها محل من الإعراب³.

عرض محمد إبراهيم عبادة مركبات على المستوى النحوي، معتمداً في ذلك على الواقع اللغوي الذي تملّيه عناصر المركبات، ومميزاً بينها بنوع الكلمة التي يُبدأ بها كل مركّب وهي كالاتي:

1- المركّب الفعلي: وهو ما بدأ بفعل أصلاً.

2- المركّب الاسمي: وهو ما بدء باسم أصلاً.

¹ الجرجاني عبد القاهر: المقتصد في شرح الإيضاح، ص 93

² ينظر: - حسن عباس: النحو الوافي، ص 16

- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 437

³ ينظر: عبادة محمد إبراهيم: الجملة العربية، ص 40 و 41 و 55 و 81 و 90 و 95 و 100 و 118

3- المركَّب الوصفي: وهو ما بدأ بمشتق محض كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة

المشبهة واسم التفضيل، ينقسم إلى نوعين: مركَّب وصفي إسنادي، ومركَّب وصفي إضافي

4- مركَّب الخالفة: وهو المبدوء باسم فعل، وسمي بهذا لا يندرج ضمن تصنيف الأسماء ولا تصنيف الأفعال، مثل: دُونَكَ الكتابُ أَي خُذْهُ، رُؤَيْدُكَ أَي تَمَهَّلْ.

5- المركَّب المصدري: وهو ما تَكُون من مصدر ومعموله مثل: عَجِبْتُ من إِهَانَتِكَ الزائرين، والتقدير: عَجِبْتُ من أَن تُهين الزائرين.

6- المركَّب الموصولي: وهو ما بدأ بالموصول الاسمي مثل: الذي ، والتي وغيرهما مع الصلة أو بالموصول الحرفي، مثل: أَن، وما، وَكي، ولو، وَأَنَّ مع الصلة.

7- المركَّب الظرفي: وهو ما بدأ بما يدل على زمان ومكان وقوع الحدث، ويكون بمعنى "في".

8- مركَّب الجار والمجرور: وهو هيئة تركيبية مبدوءة بحرف من حروف الجر مثل: الكاف، والباء ، ومن، واللام وغيرها¹.

انطلاقاً من تصور القدامى لأنواع الجمل اعتماداً على المنطلقات الثلاث، وبالنظر إلى الهيئات التركيبية السابقة الذكر، تصوّر محمد إبراهيم عبادة أنواعاً من الجمل هي تتمثل فيما يلي :

1- الجملة البسيطة: تتكون من مركَّب إسنادي واحد سواء بدأ باسم أم بفعل مثل: قامَ أَخوكَ ، زيدٌ قائمٌ

2- الجملة الممتدة: تتكون من مركب إسنادي واحد متعلق بمركبات غير إسنادية مثل: سَجَدَ المصلي سُجُوداً، الخليفةُ عُمَرُ عادلاً.

¹ ينظر: المرجع السابق ، ص من 40 إلى 105

3-الجملة المتعددة: وهي المكونة من مركبين إسناديين أو أكثر، يساوي كل منهما الآخر في الأهمية، ولا يعتمد أحدهما على الآخر، بل كلّ مركّب يقوم بنفسه، يربطهما لعطف مثل: اعلمْ أنّ النصرَ مع الصّبرِ، وأنّ الفرجَ مع الكربِ، وأنّ العُسْرَ مع اليُسْرِ.

4-الجملة المركبة: تتكون من مركبين إسناديين بينهما ارتباط، فالأول يحمل فكرة بسيطة مستقلة، والثاني فكرته ترتبط بالأول بينهما علاقة من العلاقات مثل: علاقة التأكيد بالقسم، والعلاقة الشرطية، والعلاقة الزمانية أو المكانية، والعلاقة الغائية، وعلاقة الاستدراك أو الاستثناء، وعلاقة المصاحبة والمعية ، وعلاقة التشبيه.

5-الجملة المتداخلة: هي عبارة عن مركبين إسناديين يضمهما تداخل تركيبى وفيها أربع صور:

- أن يكون المركب الإسنادي أحد طرفي مركب إسنادي عام.
- أن يكون كلا المركبين الإسناديين طرفا في تركيب عام.
- أن يكون أحد المركبين كالامتداد من طرفي الإسناد.¹
- أن يكون التداخل متتابعاً بين المركبات مثل: "محمد أقبل أخوه يحمل كتاباً غلافه أزرق".

6-الجملة المتشابهة: تضم مركبات إسنادية، تشمل الجملة المركبة بالجملة المتداخلة وبالجملة المزدوجة مثل: من يتصدقْ يبتغي وجه الله يقبل صدقته، ويجزل له الثواب.²

¹ ينظر: عبادة محمد إبراهيم: الجملة العربية ، ص من 136 إلى 148

² ينظر: المرجع نفسه

فالملاحظة على كل التقسيمات السابقة للجمل أو المركبات أنها تعتمد تصنيفاتها على ركنين أساسيين وهما: المسند والمسند إليه من حيث اللفظ والمعنى والترتيب بينهما، ثم على ما يتم معناه وهو الفضلة . فالتركيب إذن يتضمن جانبين متلازمين للجملة :

1- جانب المبني الذي يتجلى في البنية الصوتية للجملة وذلك من خلال:

أ- ظاهرة تسلسل الكلمات المكونة للجملة

ب- ظاهرة التنعيم الذي به نميّر بين الجمل الإخبارية والاستفهامية والطلبية والتعجبية.

2- جانب المعنى الذي يمثل البنية المعنوية للجملة ويتجلى في مجالين هما:

أ- مجال الدراسة المنطقية وهو ساكن تدرس فيه الجملة خارج السياق مع توافر الإسناد.

ب - مجال الدراسة الإبداعية وهو متغير حسب حال السامع، تُدرس فيه الجملة ضمن السياق مع توفر الفائدة للسامع¹.

ومن ثمة، فالتركيب ينقسم إلى قسمين أساسيين تتحدّر منهما أنواع فرعية:

1- تركيب إسنادي يحتوي على كلمات تجمع بينها علاقة المسند والمسند إليه، يتضمن هذا النوع :

أ- المركب الإسنادي الاسمي وهو مكون من اسمين أو ما بمنزلةتهما

ب- المركب الإسنادي الفعلي وهو مكون من فعل أولاً ثم الاسم

¹ ينظر: - دك الباب جعفر: النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996م،

ص من 150 إلى 155

- رتيمة محمد العيد: (النظرية البنوية الوظيفية وتصنيفاتها في الدرس اللغوي)، مجلة اللغة والأدب،

الجزائر، العدد (8)، 1996م، ص 17 - 18

2-تركيب غير إسنادي، يضم كلمات غير إسنادية، لا تكتفي بنفسها لإتمام معنى الكلام، وإنما ترتبط بالتركيب الإسنادي الأساسي، تضم: تركيباً إضافياً، وتركيب بياني (التركيب التوكيدي والتركيب الوصفي والتركيب المزجي).

فالعلاقة التي تجمع بين الكلمات داخل التركيب نوعان:

1-علاقة عامل بمعمول وهي خاصة بنظرية العوامل

2 - علاقة تابع بمتبوع وهي خاصة بنظرية التتابع¹.

وهذا يجزئنا للحديث عن طبيعة العلاقة الرابعة بين الكلمات، وقد تحدّث عن ذلك تمام حسان في قرائن التعليق، إذ قسّمها إلى قسمين:

(أ)-القرائن المعنوية: تضم أربع علاقات:

1- علاقة الإسناد، تربط بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، أو بين الفاعل والفعل أو نائب الفاعل في الجملة الفعلية.

2- علاقة التخصيص التي تنفرع منها:التعدية (المفعول به)، والغائية (المفعول لأجله، والمضارع بعد الواو)، والظرفية (المفعول فيه)، والتحديد والتوكيد (المفعول المطلق)، والملابسة (الحال)، والتفسير (التمييز)، والإخراج (الاستثناء)، والمخالفة (الاختصاص)، كل قرنية من القرائن الفرعية تعبّر عن جهة خاصة لفهم معنى الحدث المشار بالفعل أو الصفة.

3- علاقة النسبة: هي قيد عام على علاقة الإسناد أو ما جاء في نطاقها، تدخل فيها معاني حروف الجر، ومعنى الإضافة، تتمثل هذه المعاني فيما يلي: ابتداء الغاية،

¹ ينظر: رتيمة محمد العيد: (النظرية البنوية الوظيفية وتصنيفاتها في الدرس اللغوي)، ص 17

وانتهاء الغاية، والبعضية، والظرفية، والتعليل، والمجازة، والاستعانة، والاستعلاء، والمصاحبة، والإلصاق، والقسم، والتشبيه، والتوكيد، و بيان الجنس، والملك، والاستحقاق، والنسب، والعاقبة، والمقايضة، والتعويض، والتعجب، والاستدراك، والتبليغ، والتبيين، والتعدي، والبديلية، والتعدي، والزيادة.

4- علاقة التبعية: هي قرينة معنوية كبرى، تتضمن أربع قرائن فرعية هي: النعت، العطف، التوكيد، والإبدال.¹

(ب) قرائن لفظية:

جمعها تمام حسان فيما يلي: العلامة الإعرابية، والرتبة (الترتيب)، والصيغة (الصرفية)، والمطابقة، والربط، والتضام (الرصف + التلازم)، والنغمة (الإطار الصوتي).

فالقرائن الكبرى وما تتدرج تحتها من فروع جعلها فيما يسمى بـ ظاهرة " تضافر القرائن"، والتي ملخصها « أنه لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدلّ بمفردها على معنى بعينه ولو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحوية، وهو أمر يتنافى مع مبدأ عام آخر هو تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد»²

المطلب الثالث: وظيفة التركيب الإسنادي وغير الإسنادي

إنَّ أيَّ تركيب نحوي لا بدَّ أن يكون مؤلفاً من مسند ومسند إليه، إذ عمدتا الكلام ومازاد على ذلك فهو قيد³ في الجملة أو من متممات الجملة أو فضلة¹، من

¹ ينظر: حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص من 192 إلى 202

² المرجع نفسه، ص 193 و 194

³ ينظر: - حسان تمام: الأصول، ص 121 / - والملخ حسن خميس: رؤى لسانية في ضوء نظرية النحو العربي،

مفعول به، ومفعول لأجله، ومفعول المطلق، وحال، وتمييز، بدل، وما إلى ذلك. يقول عبد القادر الجرجاني: « ومختصر كل الأمر لا يكون كلام من جزء واحد، وأنه لابد من مسند ومسند إليه »¹.

يرى جعفر دك الباب أن التراكيب الإسنادية يختص بدراستها علم النحو وعلم المعاني²، فالأول يبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة مركزاً على بنيتها، بينما الثاني فيبدأ بالجملة الواحدة، وقد يتخطاها إلى علاقاتها بالجملة الأخرى ضمن السياق الذي هي فيه³.

أدرك عبد القاهر الجرجاني العلاقة المتينة بين علمي النحو والبلاغة لما تعرّض لقضية الإعجاز القرآني في كتابه "دلائل الإعجاز" الذي يعد زبدة أفكاره العلمية، وتمحّض عن ذلك نظرية النظم التي ذاع صيتها بسببها فهي تتخذ من النحو أساساً لها لاكتناه القيم الدلالية والبلاغية التي تتضمنها الاستخدامات النحوية الخاصة للغة في إطارها الوظيفي⁴.

فالنظم عنده ما هو إلا « تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض »⁵، فعلاقات الكلم يحكمها قانون التعليق، إذ يقول: « والكلم ثلاث: اسم، وفعل،

¹ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 7

² ينظر: دك الباب جعفر: النظرية اللغوية العربية الحديثة، ص 14

³ ينظر: حسان تمام: الأصول، ص 310

⁴ ينظر: يوسف النجار صبا: الإعجاز اللغوي بين الجرجاني والزمخشري (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير)

جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2006م، ص 58

⁵ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 4

وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة»¹، وما التعليق إلا توخي معاني النحو وأحكامه².

تحدّث الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" عن الفروق في الدلالة بين الإخبار بالاسم، والإخبار بالفعل، فهما يلتقيان في أنّ كلّ منهما يُعدُّ خبراً، ويفترقان في طبيعة إثبات المعنى³.

يرى القزويني⁴ أنّ الجملة الاسمية تدلّ على الثبوت والفعلية تدلّ على الحدث، فهذا تجوُّز - كما يقول السامرائي - والصحيح هو أنّ نوع الجملة لا يدلّ على الحدث أو الثبوت بل ما بدأ به من كلمة، فإن كانت فعلاً فهي دالة على الحدث، وإن كانت اسماً فهي دالة على الثبوت، ثمّ إنّه لو كانت الجملة هي الدالة على ذلك « لم يكن هناك فرق بين قولنا (محمد منطلق) و (محمد ينطلق) و (محمد انطلق) إذ كل هذه الجمل اسمية »⁵.

ليس أدلّ على ذلك من عبد القاهر الجرجاني، فهو يرجع دلالة الجملة إلى نوع الكلمة التي بدئ بها « وبيانه، أنّ موضوع الاسم على أنّ يثبت به المعنى للشيء من غير أنّ يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء »⁶.

¹ المصدر السابق

² ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، ص 8

³ ينظر: - المصدر نفسه ، ص 173

- السيد شفيع: البحث البلاغي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط (2)، 1416هـ/ 1991، ص 76

⁴ ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: تحقق: عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت ط (3)، ج(1)،

(د ، ت)، ص 76

⁵ السامرائي فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 163

⁶ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 173

ولإثبات ما ذهب إليه أعطى شواهد على ذلك، فهناك فرق بين "زيد منطلق"، و "زيد ها هو ذا ينطلق"، فالأول تريد به إثبات الانطلاق فعلا دون قصد التجدد والحدوث، بينما الثاني فتبين به أنَّ الانطلاق يقع شيئا فشيئا، وتجعل زيدا يزاوله. وتجدر ذلك أيضا في الشطر الثاني من هذا البيت:

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ خَرَقَتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ

إذ المعنى يحسن في الاسم وينعدم في الفعل حين قولك: "وهو ينطلق"¹.

كما أنَّه نظر إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بَسِطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾²، فهنا يمتنع وجود الفعل لأنَّه يقتضي المزاوله وتجدد الصفة، بينما الاسم فيدل على ثبوت الصفة وحصولها من غير تجدد، ومن ثمة، فالاسم هو الأليق لأنه يخدم الغرض الذي هو تأدية هيئة الكلب³.

أراد الجرجاني من خلال هذه الأمثلة أن يبين أن لكل من الاسم والفعل معنى مراد، وسياق خاص، وغرض مقصود، فلا يصلح أحدهما في موضع صاحبه.

يرى الزركشي أنَّ الفرق بين الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل في أنَّ الأول يفيد الاستقرار والثبوت، بينما الثاني فيدل على الحدوث والتجدد، مستشهدا بآيتين: فيقول: «فمنه قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بَسِطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾⁴ لو قيل "يسط" لم يؤدي الغرض، لأنَّه لم يؤذن بمزاوله الكلب البسط وأنَّه يتجدد له شيء بعد شيء، ف "باسط"

¹ ينظر : المصدر السابق، ص 174 - 175

² الكهف: 18

³ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 175 - 176

⁴ الكهف: 18

أشعرُ بثبوت الصفة، وقوله: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾¹، لو قيل رازقكم لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء، ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع»².

يلخص أبو البقاء الحنفي الفروق في عناصر الجملة الاسمية والجملة الفعلية قائلاً بأنَّ « الأولى موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد واستمرار، وإذا كان خبرها اسماً فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجديدياً إذا لم يوجد داع إلى الدوام، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام. والجملة الفعلية موضوع لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر، وقد يستعمل المضارع للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي يُناسبه»³.

تحدّث عبد الفتاح لاشين عن جمالية الإسناد لما يتحوّل إلى إسناد غير حقيقي أو ما يسمى بالمجاز العقلي مدللاً على ذلك بأمثلة، ففي قوله تعالى: ﴿ فَمَا رِيحَتْ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾⁴، فقد أسند الفعل "ريح" إلى "التجارة"، و المعروف أنّ التجارة لا تريح وإنّما الذي يريح هو التاجر، فهذا العمل أكسب الآية جمالاً وحسناً لا تجده لو أسند الفعل إلى الفاعل الحقيقي⁵.

¹ فاطر: 03

² الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط(1)، ج(4)، 1376هـ/ 1957، ص 66 و 67

³ أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقق: عدنان درويش، دار الرسالة، بيروت، (د، ت)، ص 341

⁴ البقرة: 16

⁵ ينظر: لاشين عبد الفتاح: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص 105

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾¹ ، فقد أُسند الفعل "أخرج"

إلى فاعل غير حقيقي وهو "الأرض"، وكان حقّه أن يُسند إلى الفاعل الحقيقي وهو "الله" عزّ وجلّ وهذا بغرض التفخيم من هول يوم القيامة إلى درجة أن الأرض تُخرج كلّ ما في جوفها من أجساد ومعادن وغيرها².

تناول فاضل صالح السامرائي لطائف في التعبير القرآني³، إذ يرى أن القرآن الكريم يستعمل بنية في غاية الدقة والجمال، أذكر بعضها منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

• المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾⁴،

أتى بالصيغة الاسمية ولم يأت بالصيغة الفعلية "سأغرقهم أو إنهم سيغرقون" ليبين أن الأمر استقرّ وانتهى، وبذلك جعل الأمر ثابتاً لا يتغير⁵.

• المثال الثاني: قال تعالى: ﴿خُذْ أَلْحَىٰ مِنْ أَلْمِيتٍ وَخُذْ أَلْمِيتَ مِنْ أَلْحَىٰ﴾

ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٥﴾⁶ فالملاحظ هنا أنه جعل الفعل "يخرج" مع

الحي، والاسم "مخرج" مع الميت، لأن من أهم صفات الحي هو الحركة والتجدد والتغير، بعكس الميت الذي يكون في حالة سكون وجمود لذلك قرن الصيغة

¹ الزلزلة: 02

² ينظر : سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط (17)، ج (1)، 1412هـ، ص 3954

³ ينظر : السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، ص 22

⁴ هود : 37

⁵ ينظر : السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، ص 22

⁶ الأنعام: 95

الفعلية بالحي، والصيغة الاسمية بالميت، لذلك قرن الصيغة الفعلية بالحي،
والصيغة الاسمية بالميت¹.

- المثال الثالث: قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ².

بدأ بالصيغة الاسمية للدلالة على صفة الملكية الثابتة له عز وجل، ثم أتبعها بالصيغ الفعلية لتناسب سياق الآيات المتمثلة في الحركة والتغيير والتجدد، فالله عز وجل يؤتي ملكه لمن يشاء، ويعز من يشاء ويغير الليل والنهار، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، إلى غير ذلك من الأحداث، لذلك فالصيغ الفعلية هي الأنسب والأليق³.

- المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾⁴، «وذلك أنه جعل الاستغفار مانعاً ثابتاً من العذاب بخلاف بقاء الرسول بينهم فإنه - أي العذاب - موقوت ببقائه بينهم فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية، والحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية»⁵.

¹ ينظر : السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، ص 23

² آل عمران : 26 - 27

³ ينظر : السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، ص 23

⁴ الأنفال : 33

⁵ السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، ص 26

أمّا عن التركيب غير الإسنادي ، فقد أشار إليه عبد القاهر الجرجاني حينما تحدّث عن التعليق وعلاقته بالنظم ، إذ قسمه إلى ثلاثة أقسام : تعليق اسم باسم ، وتعليق اسم بفعل ، وتعليق حرف بهما ، « فالاسم يتعلّق بالاسم بأن يكون خبراً عنه ، أو حالاً منه ، أو تابعا له صفة أو تأكيدا ، أو عطف بيان ، أو بدلاً ، أو عطفا بحرف ، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني ، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول . وذلك في اسم الفاعل كقولنا : "زيدٌ ضاربٌ أبوه عمراً" ، كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾¹...، وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾² لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ³... واسم المفعول كقولنا : "زيدٌ مضروبٌ غلمانهُ" ، وكقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾³...، والصفة المشبهة كقولنا : "عجبتُ من ضربٍ زيدٍ عمراً" ، وكقوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾⁴ يَتِيمًا ذَا مَقَرَّةٍ⁴.. ، أو بأن يكون تمييزاً قد جلاه، منتصباً عن تمام الاسم⁵ .

وعن تعلّق الحرف بالاسم والفعل يشير إلى ما يُقيد المسند والمسند إليه فيقول : « والضرب الثاني بما من تعلّق الحرف بما يتعلّق به ، "العطف" ، وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول ، كقولنا : " جاءني زيدٌ وعمرو " و " رأيت زيدا وعمراً " و " مررت بزيدٍ وعمرو " . والضرب الثالث، تعلّق بمجموع الجملة ، كتعلّق حرف

¹ النساء:75

² الأنبياء: 32

³ هود:103

⁴ البلد:14 و15

⁵ الجرجاني عبد القاهر :دلائل الإعجاز ، ص4 و 5

النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه ، وذلك أن من شأن هذه المعاني أن تتناول ما تتناوله بالتقييد ، وبعد أن يسند إلى شي ¹ .

أفاض الجرجاني الحديث عن الفصل والوصل لغموضه ودقة مسلكه ، فقد جعله من أسرار البلاغة ولا يتأتاه إلاّ الأعراب الخُصّ والقوم المطبوعون ، فنظر إلى قاعدة العطف في المفرد والجملة ، فعن المفرد قال: « وليس " للواو " معنى سوى الإشارك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبع فيه الثاني الأول . فإذا قلت " جاءني زيد وعمرو " لم تقد بالواو شيئاً أكثر من إشارك عمرو في المجيء الذي أثبتته لزيد ، والجمع بينه وبينه ، لولا يتصور إشارك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشارك فيه » ² .

وعن جمالية العطف بين الجمل يقول : « واعلم أنّه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا : " هو يقول ويفعل ، ويضرّ وينفع ، ويسئ ويحسن ، ويأمر وينهى ، ويحلّ ويعقد ، ويأخذ ويعطي ، ويبيع ويشترى ، ويأكل ويشرب " أشباه ذلك ، ازداد معنى الجمع في " الواو " قوة وظهوراً ، وكان الأمر حينئذٍ صريحا . وذلك أنك إذا قلت : " هو يضرّ وينفع " ، كنت قد أفدت " بالواو " أنك أوجبت له الفعلين جميعا ، وجعلته يفعلهما معا . ولو قلت : " يضرّ ينفع " من غير " واو " لم يجب ذلك ، بل قد يجوز أن يكون قولك " ينفع " ، رجوعا عن قولك " يضرّ " وإبطالا له » ³ .

وما الآيات القرآنية إلاّ دليل على جمالية التركيب بنوعيه الإسنادي وغير الإسنادي في بلورة معاني الخطاب القرآني ، منها السورتان (المؤمنون والأحزاب)

¹ المصدر السابق ، ص6

² المصدر نفسه ، ص224

³ المصدر نفسه ، ص226

اللذان بصدد دراستهما، أذكر مثلاً آخر كقوله تعالى : ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَلَّا نَتَّعِمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۖ ¹ .

فهذا وصف لحالة الكفار الذين ابتعدوا عن توحيد الله رغم أن لهم قلوب وآذان وأسماع ، إلا أنهم لا يوجهونها إلى التأمل والتفكير فيما يروونه من آيات الله في خلقه ، وفيما يسمعون من آياته المنزلة على رسله ومن أخبار التاريخ الدالة على سننه تعالى في خلقه ، وشبههم بالأنعام ثم عن ذلك بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۖ ﴾ ، لأن الأنعام لا تتجاوز سنن الفطرة وحدود الحاجة الطبيعية في الأكل والشرب وحاجاتها الأخرى ² .

وهذه المعاني تفهم بترابط التراكيب فيما بينها سواء الإسنادية ﴿ هُمْ قُلُوبٌ ﴾ ، و﴿ وَهُمْ أَعْيُنٌ ﴾ ، و﴿ وَهُمْ ءَاذَانٌ ﴾ ، و﴿ أُولَئِكَ كَلَّا نَتَّعِمُ ﴾ ، و﴿ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ، فكلها مكونة من مبتدأ وخبر ، وغير الإسنادية الواقعة صفة لما قبلها والمؤلفة أيضا من تركيب إسنادي فعلي ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ، و﴿ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، و﴿ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ، أضف إلى ذلك فالتراكيب تربطها واو عاطفة .

وخلاصة لهذا الباب، فإنّ البحث آل إلى ما يلي:

- قصور المصطلحات الآتية "التناسق، الانسجام، والتناسب، والتلاحم" عن وصف النظم القرآني البديع.

- دقة مصطلح "التوازن" في وصف النظام القرآني العجيب لوروده في النصوص القرآنية على اختلاف اشتقاقاته وتباين مواضعه.

- التوازن في المستويات اللغوية يكمن فيما يلي:

¹ الأعراف : 179

² ينظر : المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، مجلد (9) ، ص 113 و 114 و 115.

- اختيارُ الصَّوت المناسب في المكان الملائم، فالصَّفير والإطباق والاستعلاء والجهر والشدة من علامات القوة، والرخاوة والهمس واللين من علامات الضعف، وقد يكون للحرف قيمة بيانية تعكس الحدث المعبر عنه.
- انتقاءُ الكلمة الفصيحة للمعنى المناسب والغرض المقصود وحسن ملائمتها لما قبلها وما بعدها.
- حسنُ تأليف الكلمات وتفاعلها داخل نوع من التركيب الذي يخدم المقصود ويلئم السياق ويصب في المعنى المنشود.

الباب الثاني

دراسة تطبيقية على سورتي "المؤمنون والأحزاب"

مدخل:

جاءت سورة "المؤمنون" بعد سورة الحج (في الترتيب المصحفي)، ووجه اتصالها¹ بما قبلها أنه لما ختمت الثانية بقوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾²، وكان هذا إجمالاً، فُصِّلَ ذلك في فاتحة الأولى بذكر فلاح المؤمنين وصفاتهم فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾³ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ⁴، إلى غاية قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁴.

ولما ذكر في أوائل سورة الحج قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾⁵، زاد في الأولى بياناً وتفصيلاً أكثر إذ قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾⁶، وغيرها من الآيات التي تذكر أطوار خلق الإنسان، وهذا يعني أنه كل ما يُجمله في سورة الحج يفصله في سورة المؤمنون.

تتمحور سورة "المؤمنون" حول حقيقة الإيمان بكل قضاياه ودلائله وصفاته،⁷

فهي

¹ ينظر : السيوطي جلال الدين: تناسق الدور في تناسب السور، تحقق: عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب،

بيروت، ط (2)، 1408هـ/1987م، ص 98.

² الحج: 77.

³ المؤمنون: 1 . 2.

⁴ المؤمنون: 11.

⁵ الحج: 05.

⁶ المؤمنون: 13.

⁷ ينظر: شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (4)،

1998 م، ص 434.

* سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط (25)، المجلد (4)، 1417 هـ / 1996م، ص

من السور المكية، عدد آياتها مئة وثمانية عشرة آية (118)، تعالج أصول الدين من توحيد ورسالة وبعث، سميت بهذا الاسم تخليداً للمؤمنين وإشادة بفضائلهم ومآثرهم التي بها فازوا بالفردوس الأعلى¹.

تناولت السورة صفات المؤمنين ودلائل قدرة الله ووحدانيته في خلق الإنسان ومروره بأطوار، وبيان الظاهرة الكونية وانتفاعه بها، ومنحه الثروة الحيوانية وتسخيرها له، بعدها انتقلت إلى تاريخ الدعوة بداية من نوح عليه السلام وانتهاءً بمحمد خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام، لتنتقل إلى شبهات المكذبين واعتراضاتهم عليها، ثم ساقّت الأدلة الحسية والنفسية على الإيمان بالله تعالى، كما أقرّت بهلاك الكافرين وفوز المؤمنين، لتنتهي بتقدير الألوهية لله عز وجل، وتوجيه الرسول (ص) ليدعو ربه مغفرته ورحمته².

يمكن تقسيم السورة إلى أربعة أقسام³ هي:

القسم الأول: (من الآية 1 إلى الآية 22)

تُستهل بتقرير الفلاح للمؤمنين، إذ تعدّد من صفاتهم الحميدة، وتثني بدلائل الإيمان في الأنفس والأفاق، فتبيّن أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها إلى نهايتها في

¹ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، المجلد (2)، (د، ت)، ص 302.

* شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص 433.

* القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب، العربي، بيروت، ج (11)، (د، ت)، ص 102.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، ج19، 1420 هـ، 2000 م، ص من 8 إلى 85.

. شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص 433 و 434.

. سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2452.

. الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير: ص 302.

³ ينظر: . شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ص من 434 إلى 439.

. الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 302 إلى 322.

الحياة الدنيوية، بعدها تنتقل إلى الدلائل الكونية من خلق السماء، وإنزال الماء، وإنبات الزرع وجني الثمار، والفلك، والأنعام، كل ذلك مسخر للإنسان.

القسم الثاني: (من الآية 23 إلى الآية 52)

تبيّن حقيقة الإيمان التي توافق عليها الرسل ابتداء من نوح عليه السلام وانتهاءً بمحمد (ص) حينما أرسلوا إلى أقوامهم، وكذا اعترض المكذّبين لما جاؤوا به، بعدها يلجأ الرسل إلى ربهم طلباً للنصر فيستجيب لهم بإهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين.

القسم الثالث (من الآية 53 إلى الآية 92)

يتحدث هذا القسم عن تفرّق الناس واختلافهم حول الحقيقة التي جاء بها الرسل واغترارهم بما لديهم من متاع، وإشفاق المؤمنين من خشية ربهم، ويستتكر السياق موقفهم العجيب من اعتراضهم على ما جاء به رسولهم الأمين، رغم أنّهم يعرفونه ويسلمون بملكية الله وخلقته لكل شيء، إلا أنّهم ينكرون البعث، ويزعمون أنّ الله ولداً ويشركون به آلهة أخرى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

القسم الرابع (من الآية 93 إلى الآية 118)

تحت الآيات الرسول (ص) أن يدع المشركين وزعمهم، وأن يدفع السيئة بالحسنة، وأن يتعوذ بالله من الشياطين، وألاً يضيق صدره بما يقولون، بعدها ترسم مشهداً من مشاهد القيامة ليصوّر ما ينتظر الكفار من عذاب ومهانة وتأنيب، وتنتهي بتنزيه الله تعالى عن كل ما يقولونه ويدّعون، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُثبت الهلاك للكافرين والفوز للمؤمنين ، وفي الأخير تأمر النبي (ص) بالتوجّه إلى الله تعالى طلباً للمغفرة والرحمة¹.

¹ ينظر: . سيد قطب: في ظلال القرآن، ص من 2452 إلى 3473 .

أما سورة الأحزاب فقد جاءت بعد سورة السجدة (في الترتيب المصحفي) وتتصل¹ بما قبلها هو وجود تشابه بين مطلع الأولى، ومقطع الثانية، فقد ختمت هذه الأخيرة بأمر النبي (ص) بأن يعرض عن الكافرين، وينتظر عذابهم فيقول الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾² بينما بدأت الأولى الأمر بتقوى الله وعدم طاعة المنافقين والكفار، واتباع ما يوحى إليه والتوكل عليه، فيقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾³ إلى غاية قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾⁴، فصارت هذه السورة تنمة لما ختمت به تلك، وكأنتها سورة واحدة.

تعدّ سورة الأحزاب من السور المدنية التي تتناول الجانب التشريعي لحياة الأمة الإسلامية، عدد آياتها ثلاثة وسبعون آية (73)، فقد تعرّضت إلى أمر الأسرة، فشرّعت الأحكام بما يكفل السعادة للمجتمع، وأبطلت عادة التبني والظهار، واعتقاد وجود قلوبين للإنسان، وطهرت من رواسب المجتمع الجاهلي⁵.

تصورّ السورة فترة مهمة من حياة المسلمين في المدينة المنورة فهي تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية، إذ كانت مزدحمة بالأحداث والتنظيمات التي شرّعت في المجتمع الإسلامي الناشئ⁶.

¹ ينظر: السيوطي جلال الدين: تناسق الدرر في تناسب السور، ص 111.

² السجدة: 30.

³ الأحزاب: 01.

⁴ الأحزاب: 03.

⁵ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 509.

⁶ ينظر: . سيد قطب: في ظلال القرآن، ج (5)، ص 2817.

. شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص 525.

ففي تلك الفترة بدأت تظهر ملامح الشخصية المسلمة في حياة الأسرة وحياة الجماعة وحياة الدولة الفتية، كما تتولى السورة تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها وإخضاعها للمنهج الإسلامي الجديد، وفي ثنايا ذلك يتم الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة ومواقف الكفار والمنافقين واليهود ودسائسهم في وسط الجماعة المسلمة، كما تعرّضت لكيدهم للمسلمين في أخلاقهم وآدابهم وبيوتهم ونسائهم¹.

سميت بهذا الاسم « لأنّ المشركين تحزّبوا على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب على حرب المسلمين، ولكن الله ردهم مدحورين وكفى المؤمنين القتال »².

يمكن تقسيم السورة إلى ستة أقسام³ وهي:

القسم الأول: من الآية 1 إلى الآية 8

تبدأ السورة بدعوة النبي (ص) إلى تقوى الله واتباع ما يوحى إليه والتوكل عليه عز وجل وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، بعدها تتناول التقاليد والنظم الاجتماعية، فتبيّن أنّ الله خلق للإنسان قلباً واحداً، ومن ثمّة يلجأ إلى إله واحد، ويتبع منهجاً واحداً، كما تعرّضت إلى إبطال عادة التبني والظهار، وإنشاء صلة الأمومة الاحترامية بين أزواج النبي (ص) والمؤمنين، لتعقّب على هذا التنظيم الجديد بالإشارة إلى أنّ ذلك مسطور في كتاب الله، وإلى الميثاق المأخوذ من النبيين وأولي العزم عليهم السلام.

القسم الثاني (من الآية 9 إلى الآية 27)

¹ ينظر: . سيد قطب: في ظلال القرآن ، ص 2818.

. شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، ص 526.

² الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 510.

³ ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص من 202 إلى 243

. شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص من 527 إلى 539.

يصور هذا المقطع أضخم حدث في الدعوة الإسلامية في عهد الرسول (ص)، وأصعب امتحان للمؤمنين في ذلك الوقت، ألا وهو غزوة الأحزاب التي وقعت في السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة، فقد بدأت برسم بدء المعركة فختامها، والعناصر الحاسمة فيها، بعدها تدخل في التفصيل، إذ جاءتهم قريش من أسفل الوادي، وغطفان من أعلاه، والأحزاب أمام المدينة، ويهود بني قريظة نقضوا العهد مع الرسول (ص)، وأظهروا الغدر والخيانة للمسلمين، فقام المسلمون حيال ذلك بحفر الخندق حمايةً للمدينة وهم في غاية الإجهاد والعسرة المادية.

فاشتدت بذلك المحن والفتن، وزُلزلوا زلزالاً شديداً، فبشّرهم الرسول (ص) بكنوز كسرى وقيصر وظهر نفاق المنافقين لزعة شملهم، فاستجد الرسول (ص) بربه، فاستجاب له بإرسال ريح عاتية في ليلة ظلماء شاتية، وانجرّ عن ذلك انسحاب قريش وأحزابها وهم في حالة خوف وانكسار، كما تصف الآيات إخلاص المؤمنين وصدقهم في الجهاد، ورحيل الكفار بغیظهم لخسارتهم، وحماية الله للمسلمين، وكذا محاصرة المسلمين لبني قريظة وانتصارهم عليهم، ومن ثمة حصولهم على أموالهم وأرضهم وحصونهم ودورهم بقدرة الله العليّ القدير.¹

القسم الثالث (من الآية 28 إلى الآية 35)

تتحدث الآيات عن زوجات النبي (ص)، فلما رأينَ الغنائم والأموال الناتجة عن غزوة الأحزاب، طالبنَ الرسول (ص) النفقة، فخيّرهنَّ بين متاع الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة، وكلهنَّ اخترن الله ورسوله، بعدها تقرّر الآيات القيم التي أراد الله أن تتوفر في بيت النبوة، لأنّه منارة يهتدي بها البشر، ولهنَّ ضعف الأجر إن أحسنَّ وإن أسأنَّ من خفض الصوت، واستقامته والاستقرار في البيت وعدم التبرج، وإقامة الصلاة،

¹ ينظر: . سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 5، ص من 2817 إلى 2885.

وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله. بعدها تُبيّن جزاء من تتوفر فيه الصفات المتعاونة كلها في بناء الشخصية المسلمة كالإسلام والإيمان والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفرج وذكر الله كثيراً¹.

القسم الرابع (من الآية 36 إلى الآية 48)

تتناول قصة زينب بنت جحش، فقد زوّجها النبي (ص) لزيد بن حارثة الذي كان من الموالى حتى يزيل الفوارق الطبقيّة بين المسلمين، ويبيّن أنّ الناس سواسية كأَسنان المشط، لكنّ الزواج لم يدم طويلاً فقد حدث خلاف بينهما، أدّى ذلك إلى الطلاق، ثمّ أمر الله عز وجل نبيه المصطفى بالزواج بها بهدف إبطال عادة التّبني وتحريم أزواج الأَدعياء، وقد قُوبِل ذلك القرار بالدهشة و المفاجأة والاستكار في المجتمع الناشئ ، لكنّ النبي (ص) تحمّل ذلك الأمر وواجه به المجتمع الكاره².

كما أقرّت الآيات أنّه لا حرج عليه مادام أنّه وحي من الله عز وجل وقدر مقدور، بعدها تأمر الآيات المؤمنين بذكر الله وتسبيحه لأنّه أنعم عليهم نعماً لا تعدّ ولا تحصى، لتنتهي بتبيان وظيفة النبي (ص)، فهو شاهد ومنذر ومبشّر وداعي إلى الله وسراج منير، ودعته إلى عدم طاعة الكفار والمنافقين، وتركهم وشأنهم والتوكل على الواحد الأحد.

القسم الخامس: (من الآية 49 إلى الآية 62)

تناولت أدب بيت النبوة فبدأت بذكر حكم المطلقات قبل الدخول، ثم تعرّضت إلى تنظيم الحياة الزوجية للنبي (ص) وثبتت من تحلّ له ومن لا تحلّ له، بعدها تستطرد

¹ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ، ص من 123 إلى 154.

² ينظر: . الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص من 511 إلى 539.

في تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي (ص) وزوجاته سواء في حياته أم في مماته، وأقرت احتجاجهنَّ إلّا ممّن سمح لهم القرآن بالظهور أمامهم ، كما بيّنت جزاء من يؤدي النبي (ص) في شعوره وبيوته وأزوجه باللعنة في الدنيا والآخرة، وفي الأخير عيّنت على ذلك بأمر أزواجه وبناته وبنات المسلمين بارتداء الحجاب، وبتهديد المنافقين والمرجفين في المدينة والذين في قلوبهم مرض بإهلاك الرسول (ص) لهم كما حدث لمن سبقهم من قبل¹.

القسم السادس: (من الآية 63 إلى الآية 73)

تناولت مُساءلة أناس النبي (ص) عن الساعة، وعاقبة الكفار جهنم خالدين ، وتمرّغهم في العذاب المهين والندم الشديد، كما نهت المؤمنين عن إيذاء الرسول (ص) كي لا يكونوا كالذين آذوا موسى عليه السلام ليبرأه الله منهم، ويعاقبهم على فعلتهم ، لتنتهي بذكر عبء الأمانة العظمى المتمثلة في العقيدة والاستقامة عليها، فقد أبت السموات والأرض والجبال حملها لخطر أمرها، وحملها الإنسان الذي ميّزه الله عن غيره بالفعل والإرادة وفضّله بالكسب والاختيار، ومن ثمة جعله خليفة في الأرض فمن أطاعه فله الجنة، ومن كفر ونافق فله النار².

ما سبق ذكره هو تعريف للسورتين من حيث النزول والمحتوى والأقسام ، وما يلي هو دراسة صوتية وإفرادية وتركيبية لهما .

¹ ينظر: . سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 5، ص من 2817 إلى 2885.

² ينظر: . شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص من 527 إلى 539.

الفصل الأول

التوازن الصوتي في السورتين

المبحث الأول: في سورة "المؤمنون"

المطلب الأول: خواتم الفواصل القرآنية

يُعرّف الزركشي الفاصلة القرآنية بأنها آخر كلمة في الآية، أو هي الحروف المتشاكلة في المقاطع بما يقع إفهام المعاني¹، وعلى هذا التعريف اعتمد كثير من الباحثين عند الحديث عن الفواصل القرآنية، وجعلوه انطلاقة أساسية لهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد حسن علي الصغير في كتابه "الصوت اللغوي في القرآن"، وحسين نصار في كتابه "الفواصل"، كما يمكن أن تُعدّ أيضاً النهاية التي تذيّل الآيات القرآنية حسب بكري شيخ أمين².

ولعلّ التعريف الذي قدّمه محمد الحساوي مستقيماً مما سبقه فيه شيء من الدقة والتوفيق، إذ جعلها كلمة آخر الآية ككافية الشعر وسجعة النثر، أو هي توافق آواخر الآيات في الحروف الأخيرة حسب ما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس³.

مهما يكن من أمر، فالذي يهمنا هو الحرف الأخير الذي تنتهي به الفاصلة القرآنية. فبنظرة فاحصة ودقيقة إلى سورة "المؤمنون" نجد ما يلي:

- على مستوى الفاصلة القرآنية تكرر صوت النون بخمس عشرة ومائة مرة (115)، بينما صوت الميم فقد ورد ثلاث مرات (3).
- على مستوى مساحة السورة ترى أنّ صوت النون أكثر الأصوات وروداً في كامل الآيات بأربع وتسعين وثلاث مائة مرة (394)، ما عدا آية واحدة وهي (116)، ثم يليه مباشرة صوت الميم بواحد وستين وثلاث مائة مرة (361).

¹ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج (1)، ص 53.

² ينظر: شيخ أمين بكري: التعبير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار العلم للملايين، ط (1)، 1994م، ص 209.

³ ينظر: الحساوي محمد: الفاصلة في القرآن، عمان، دار عماد، ط (2)، 2000م / 1421هـ، ص 29.

والسؤال المطروح: لماذا غلب صوت النون توزيعاً وفاصلة في هذه السورة؟ وهل وراءه سر خفي في بلورة معاني الآيات؟ ولماذا أعقبه صوت الميم مباشرة دون غيره من الأصوات؟ وهل هناك علاقة بينهما؟ ما دلالتهما؟

لا يمكن الإجابة على هذه الأسئلة إلا بعد معرفة الآراء العلمية للعلماء واللغويين لهذين الصوتين من حيث المخرج والصفة والدلالة.

1. صوت النون:

يرى ابن سينا أن صوت النون يخرج من الخيشوم ، أما عن الكيفية فيقول: « وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يُسَرَّب أكثره إلى ناحية الخيشوم»¹. ويحدّد الخليل بن أحمد الفراهيدي المخرج ويراه من ذلق اللسان مثله مثل الرء واللام²، غير أن تلميذه سيبويه يخصّص أكثر ذلك الموضع ويراه « من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا»³، وهناك نون خفيفة تخرج من الخياشم⁴.

ليأتي بعده ابن جني ويرى الرأي نفسه في مخرج ذلك الصوت⁵، وفي موضع آخر يعرفه بأنه حرف يتسم بالغنة والجهر، يكون أصلاً وبدلاً وزائداً، قد يأتي في فاء الكلمة نحو: نعم أو عينها نحو : جَنب، أو لامها نحو: قَطَن، وهو من حروف الذلاقة

¹ ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 83.

² ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، ج (1)، ص 52 و 58.

³ سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 325.

⁴ ينظر: المصدر نفسه.

⁵ ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 60 و 61.

التي يعتمد النطق بها على ذلق اللسان وهو طرفه، يتصف بالانفتاح والانخفاض والصحة (عكسها الاعتدال)، ويكون متوسط الشدة والرخاوة¹.

جمع علي البيسوسي صفات النون في بيت شعري فقال:

لِلنُّونِ الْإِسْتِفَالُ مَعَ جَهْرٍ عُرِفَ وَسَطٌ وَالْإِنْفِتَاحُ وَالذَّلْقُ وَصِفٌ².

يقول عنه رمضان عبد النواب بأنه صوت أنفي مجهور، ينطق بجعل اللسان يتصل باللثة مع خفض الطبق³، أمّا محمود السعران فيصف طريقة نطقه فيقول: « يوقف الهواء في الفم وقفا تاماً، بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، يخفض الحنك اللين وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف، يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت»⁴.

بينما سليمان فياض فيعرفه ثم يصف كيفية النطق به قائلاً بأنه من الحروف المستقلة والصامته والمرققة، وهو صوت لثوي أسناني ومجهور، عند النطق به يعتمد اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة، وينخفض معه الحنك اللين ليتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عبر الأنف⁵.

إذن فالنون عند القدامى والمحدثين هي حرف مجهور وأنفي و أسناني و لثوي وذلكي، فهل للصوت دلالة في العربية؟

يجيب ابن جني بالإيجاب قائلاً: « نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 75 و 76 و 77.

² البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، (د ط) ، (د ، ت)، ص 45.

³ ينظر: عبد التواب رمضان: مدخل إلى علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ت)، ص 49.

⁴ السعران محمود: علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(2)، 1997م، ص 169.

⁵ ينظر: فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، 1998م، ص 110.

بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب»¹.

ولإثبات ذلك، أعطى أمثلة منها: "صعد وسعد" «فجعلوا الصاد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل الحائط، ونحو ذلك، وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يظهر و لا يشاهد حسا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجدّ، لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجدّ، وهو عالي الجدّ، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية»².

يفهم من هذا أن ابن جني يرى أن للصوت قيمة بيانية تلازمه ملازمة الروح للجسد في حالة الأفراد، وتزداد قوة في حالة التركيب. ويوافقه في ذلك محمد المبارك الذي احتجّ به في إثبات آرائه، فقد جمع بعض الحروف، وجعل لكل منها دلالة كلية، فالنون عنده تدلّ على الظهور والبروز، مدلا على ذلك بأمثلة نحو: نفث، نفخ، نجم، نما، نبت، نزف، ينشأ³.

بعدها واصل حسن عباس البحث في دلالة الحروف العربية، وتعمّق فيها أكثر، وجعل لها تصنيفات تبعا لإحياءات أصواتها الحسية والشعرية، وطريقة النطق بها، وهذا نتيجة حتمية لمقولة "فطرية اللغة العربية" التي خلص منها سابقا، وقد تمثّلت تلك التصنيفات فيما يلي: الحروف اللمسية، والحروف الذوقية، والحروف البصرية، والحروف السمعية، والحروف الشعورية غير الحلقية، والحروف الشعورية الحلقية⁴، فالنون عنده

¹ ابن جني: الخصائص، ج (1)، ص 512.

² المصدر نفسه ص 511.

³ ينظر: المبارك محمد: فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية - ، ص 84.

⁴ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص 49

هي من الحروف الشعورية غير الحلقية. في خضم حديثه عن ذلك، أورد رأي عبد الباسط عبد الصمد¹ يقول فيه أنَّ كل صوت ذي مخرج نوني تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي هو الأصلح للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع².

يرى حسن عباس أنَّ النون إذا لفظت مُخَفَّعة مَرَقَّة، فإنَّها توحى بالرقّة والأناقة والاستكانة، وإذا لفظت مشدَّدة نوعاً ما أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، أمّا إذا لفظت مع الشدة والتوتر، فإنَّها تدلُّ على النفاذ القسري والدخول في الأشياء³.

ولتأكيد ذلك، بحث في معجم الوسيط⁴ فوجد كلمات تنتهي بالنون تحمل المعاني الآتية:

- الدلالة على الأصوات نحو: أنَّ (تأوّه)، طَنَّ، غَنَّ (كان في صوته غنة).
- الدلالة على الاهتزاز والاضطراب نحو: زَفَنَ (رَقَصَ).
- الدلالة على الحركة من الداخل إلى الخارج نحو: دَنَّتِ العينُ (سال ما فيها من عمش)، عَنَّ الشَّيْءُ (ظَهَرَ وَبَانَ).
- الدلالة على الحركة من الخارج إلى الداخل نحو: طَعَنَ.
- الدلالة على الرقّة والأناقة والجمال نحو: أَرِنَ (نَشَطَ وَفَرَحَ) الجُمانُ (اللؤلؤة)، الحُسن، الحنان، خَادَنَهُ (صَادَقَهُ)، زَانَهُ (جَمَلَهُ).
- الإقامة والاستقرار والإحاطة والخفاء نحو: أَتَنَ بالمكان و وَطَنَهُ وَسَكَنَهُ (أقام به)، جَنَّ (استتر)، أَمَّنَ (اطْمَأَنَّ)، الْجَفَنَ (غَطَاءُ الْعَيْنِ).

¹ أورد حسن عباس رأي عبد الباسط دون الإحالة في الهامش.

² ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 158.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 158.

⁴ ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، (د ، ت) باب الهمزة و الجيم و الحاء و الخاء و الدال و الذال والزاي و السين و الضاد و الطاء و العين و الغين و الهاء و الواو.

- المشاعر الإنسانية نحو : الحَنَانُ ، الحُزْنَ ، ذَعِنَ ، دَمِنَ (حَقْدَ) ، ضَغِنَ عليه (حَقْدَ)¹.

2. صوت الميم:

يرى ابن سينا أَنَّ صوت الميم يحدث لَمَّا يكون الحبس تاماً غير قوي بعضه عند المخرج بين الشفتين، وبعضه الآخر في ناحية الخيشوم، ومن ثمة يحدث الهواء لما يجتاز الخيشوم والفضاء الذي في داخله دَوياً².

ويقول عنه الخليل أَنَّهُ ينتمي إلى الحروف الشفوية، ويتركز مخرجه بين الشفتين خاصة³ وكذلك الحال بالنسبة لسيبويه⁴، إذ هو أيضاً يرى الرأي نفسه، لكن ابن جني يضيف إلى المخرج الشفوي لصوت الميم أَنَّهُ من حروف الذلاقة التي تعتمد على طرف اللسان، يتسم بالجهد والانفتاح والانخفاض والصحة (عكسها الاعتلال)، ويكون متوسط الشدة والرخاوة⁵.

لَخَّصَ علي البيسوسي تلك الصفات في بيت شعري فقال:

للميم الاستفالُ مَعَ جَهْرٍ كذا وَسَطٌ وَفَتْحٌ ثُمَّ إِذْلَاقٌ خُدا⁶.

وصف محمود السعران كيفية خروجه من الفم قائلاً: « يحبس الهواء حبساً تاماً في الفم بأن تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً، يُخَفِّضُ الحنك اللين، فيتمكن الهواء الخارج من

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 162 و 163.

² ينظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 83.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، ج (1)، ص 51.

⁴ ينظر: سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 348.

⁵ ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 75 و 76 و 77 و 78.

⁶ البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، ص 45.

الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف، يتخذ اللسان وضعاً محايداً، يتذبذب الوتران الصوتيان. فالميم صامت مجهور شفوي (شفتاني) أغن¹.

بينما سليمان فياض فهو الآخر تكلم عن حرف الميم معرّفاً إيّاه، وواضعا طريقة النطق به، قائلاً بأنّه من الحروف المرققة والمستقلة، وهو شفوي و أنفي و مجهور، ينطبق بانطباق الشفتين انطباقاً تاماً، فيحبس الهواء في الفم انحباساً كلياً، وينخفض الحنك الأقصى ليتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عبر الأنف².

ومن ثمّة فالميم عند القدامى والمحدثين هي حرف شفوي أنفي مجهور وذلقي، فما دلالة حرف الميم؟

يرى حسن عباس أنّ ذلك الصوت يحدث حينما تتطبق الشفتان بعضهما على بعض في ضمة متأنية، وتتفتحان عند خروج النفس، وهذا يوحي بالأحاسيس اللسية عند انطباق الشفتين، من ليونة ومرونة وتماسك مع شيء من الحرارة أو الشدة³. فانطباق الشفتين في حرف الميم يماثل الأحداث الطبيعية التي فيها السد والانغلاق، وضمهما مع الشدة والتأني قبل خروج صوت الميم يشبه بداية الأحداث التي يحدث فيها المص بالشفتين والضم والجمع، كما أنّ انفراجهما عند خروج الصوت يمثلّ هو الآخر الأحداث التي فيها الامتداد والتوسع⁴.

¹ السعمران محمود: علم اللغة، ص 169.

² ينظر: فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، ص 107.

³ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 71.

⁴ ينظر: المرجع نفسه.

ولإثبات ذلك بحث في معجم الوسيط¹، ووجد كلمات تنتهي بالميم تحمل المعاني الآتية:

- الدلالة على الدقة واللين، وهذا يتوافق مع موحياته الصوتية نحو: رَخِمَ صَوْتَهُ (لأنَّ وسهلاً)، نَعَمَ الشَّيْءُ (لأنَّ مَلَمَسَهُ ونَضَرَ).

- الدلالة على الحرارة توافقاً مع موحياته الصوتية نحو: حَجَمَ النَّارَ (أوقدها)، غَتَمَ الْحَرُّ (اشتدَّ)، غَمَّ الْيَوْمُ (اشتدَّ حَرُّهُ حتَّى كَادَ يأخذ بالنَّفْس).

- الدلالة على الجمع والضم والكسب، وهذا توافقاً مع ضَمَّ الشفتين نحو: تَمَّ (كمل)، جَمَّ (اجتمع وكثر)، دَكَمَهُ (جَمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ) رَضَمَ الشَّيْءَ (ضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ).

- الدلالة على القضم والأكل توافقاً مع حركة انطباق الشفتين نحو: أَرَمَ عَلَيْهِ (عَضَّ)، أَرَمَ عَلَى الشَّيْءِ (عَضَّهُ بِالْفَمِ كُلَّهُ عَضَا شَدِيدًا)، قَضَمَهُ (قَطَعَهُ بِطَرَفِ أَسْنَانِهِ).

- الدلالة على التوسع والانفتاح نحو: بَسَمَ (انفجرت شفتاه عن ثناياه)، انْفَجَمَ الْوَادِي (انَّسَعَ).

- الدلالة على السد والانغلاق توافقاً مع حركة انطباق الشفتين نحو: بَكِمَ (عجز عن الكلام خِلْقَةً)، بَلَمَ الرَّجُلُ (سَكَتَ)، حَشَمَ (انْقَبَضَ وَاسْتَحْيَا)².

ما علاقة النون بالميم إذن؟

يفهم ممّا سبق أنَّهما متقاربان في المخرج والصفات، فكلاهما يعتمد على طرف اللسان حين النطق، وكل منهما ينتمي إلى الحروف المصمتة والمجهورة، و ينحسب

¹ ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، (د، ت)، باب الهمزة، والباء والتاء، والجيم، والذال، والراء، والغين، والقاف، والنون.

² ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 73 . 74 . 75.

الهواء انحباساً تاماً في مخرجهما في الفم، ثم تحدث عقبة مختلفة عند كليهما، بعدها يمرّ الهواء إلى التجويف الأنفي، فتحدث تلك النغمة التي سمّاها العلماء العرب بـ "النغمة"¹، وبعضهم عرّفها بـ "الصوامت الغناء"²، كما أنّهما يتقاربان في الدلالة على الرقة والمرونة واللين.

المطلب الثاني: وظيفة الحرف الأخير للفاصلة القرآنية

يرى الزركشي أنّ أكثر الفواصل وروداً ما كانت منتهية بحروف المدّ واللين وملحقة بالنون لغرض التطريب³، وقد سبقه إلى ذلك سيبويه قائلًا: «أما إذا ترنّموا فإنّهم يلحقون الألف والياء والواو وما ينون وما لا ينون، لأنّهم أرادوا مدّ الصوت ... وأما ناس كثير من بني تميم فإنّهم يُبدلون مكان المدّة النون»⁴.

أمّا مصطفى صادق الرافعي، فيرى أنّ الفواصل الواقعة في نهاية الآيات ما هي إلّا صور للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، لأنّها تتفق معها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً من حيث نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه، وأكثرها تنتهي بالنون والميم الذين يُعدّان حرفين طبيعيين في الموسيقى نفسها، أو بالمد الطبيعي أيضاً⁵.

بينما أحمد ياسوف⁶ وجد أنّ أغلب الفواصل القرآنية تُختتم بواو ونون، أو بياء

¹ ينظر: . ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 61.

. حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، ص 57.

² ينظر: السعمران محمود: علم اللغة، ص 168.

³ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج (1)، ص 62.

⁴ سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 151 . 153.

⁵ ينظر: الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت 2003 / 1423هـ.

ص 150.

⁶ ينظر: ياسوف أحمد: جماليات المفردة القرآنية، ص 309.

ونون، وهذا قصد التطريب، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾¹، ووافقته في ذلك محمد حسين علي الصغير الذي استدللّ بآيات من سورة المؤمنون، وأضاف الألف إلى ذلك جامعاً إيّاها في حروف المد وهي ملحقة بالنون، لم يكتف بالتطريب فقط، وإنما زاد عليها أبعاداً صوتية أخرى لم يُفصح عنها².

فالسورة التي بصدد دراستها هي سورة المؤمنون، تنتهي بحرف النون، ويبلغ عدد الفواصل المنتهية بها مائة وخمس عشرة (115)، ما عدا ثلاث آيات فواصلها مختومة بحرف الميم، لحكم وأسرار بيانية، فالى أي مدى تتطابق دلالة النون مع معاني الآيات ومحتوى السورة؟ ولما وجدت فواصل منتهية بميم بدل النون؟ ثم ما هي مظاهر التوازن الصوتي في السورة؟

بعد التمعن في السورة تبين أن دلالة النون توازنت مع الفاصلة القرآنية ومعاني الآيات ومضمون السورة، فكان التطابق والتداخل والتناسب بينها بطريقة أو بأخرى، ونتج عن ذلك لُحمة يصعب الفصل بينها وإذا حدث أي تغيير في الحرف الأخير، أو غيّر مكان الفاصلة القرآنية، وقع خلل واضطراب، لذا جاء انتقاء الحرف الأخير دقيقاً ومناسباً لمعاني الآيات، ومقاصد السورة وجوهاً وسياقها.

و هذا ما هو إلا انعكاس لوجود توازن صوتي بين الحرف الأخير للفاصلة القرآنية ومضمون السورة ومعاني آياتها، والآتي هو بيان لذلك.

¹ المؤمنون : 02.

² ينظر: علي الصغير محمد حسين : الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط(1) 1420هـ\2000م، ص 156.

الفرع الأول: على مستوى الآيات:

- ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾¹: جمع "مؤمن"، فهذه الكلمة صفة لمن يحمل في قلبه الإيمان² وتُترجمه جوارحه، وهذا تلائم مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿خَشِعُونَ﴾³: جمع "خاشع"، فهذه الكلمة صفة لمن يحمل إيمانا صادقا وعميقا⁴ يظهر على جوارحه، فبإضافة النون توازن مع هذا المعنى، إذ دلت على الحركة من الداخل إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿مُعْرِضُونَ﴾⁵: أي عن الكلام الساقط وسفاسف الأمور وفحش الأقوال⁶، فهذا ثمرة إيمان العبد بربه وبكل ما أنزل، فالنون هنا تطابقت مع هذا، إذ دلت على الحركة من الداخل (القلب - الإيمان -) إلى الخارج (الجوارح في شكل أقوال وأفعال و أخلاق).
- ﴿فَعِلُونَ﴾⁷: أي يبادرون لإخراج الزكاة المفروضة⁸، نتيجة رسوخ الإيمان في قلوب المؤمنين، هنا تناسبت النون مع هذا المعنى إذ أوجت إلى الدلالة على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (إخراج الزكاة).

¹ المؤمنون: 01 .

² ينظر: - المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، المجلد (6) ، ص 5.

³ المؤمنون: 02.

⁴ ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 8 و 9

⁵ المؤمنون: 03 .

⁶ ينظر: - المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 5.

⁷ المؤمنون: 04 .

⁸ ينظر: - الصابوني محمد علي: صفوة التفسير، المجلد (2) ، ص 277.

- ﴿حَافِظُونَ﴾¹: أي يحفظون فروجهم من التلوث بالحرام، ومن كل أنواع الفواحش والزنا، فهم أهل عفة وعفاف وصون، و هذا نتيجة الإيمان الراسخ في قلوبهم²، فالنون هنا توازنت مع معنى الآية إذ دلت على الحركة من الداخل (القلب المملوء بالإيمان) إلى الخارج (الجوارح - حفظ الفرج -).
- ﴿غَيْرُ مُؤْمِنِينَ﴾³: أي لا حرج على المؤمنين ولا لوم إذا طلبوا الحلال في إطاره الشرعي⁴، فهذا السلوك يتناغم مع الإيمان الراسخ في قلوبهم، فالنون هنا تطابقت مع هذا المعنى، إذ دلت على الحركة من الداخل (القلب) أي الخارج (الجوارح).
- ﴿الْعَادُونَ﴾⁵: أي من لم يلتزم الإطار الشرعي الذي حدده الله عز وجل، وطلب وجل، وطلب ذلك في غير ما وُضع ، فقد كان من الظالمين، ومن ثمة ينال جزاءه وعقابه⁶، فهذا السلوك نتيجة عدم الإيمان، فالنون هي الأخرى تناسبت مع هذا المعنى إذ دلت على الحركة من الداخل (القلب - عدم الإيمان -) إلى الخارج (الجوارح - تجاوز الحد -).

¹ المؤمنون:05.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط(2) ، ج(18)، 1418 هـ ، ص 12.

³ المؤمنون:06.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، المجلد (2) ، ص 277.

⁵ المؤمنون:07.

⁶ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص12.

- ﴿رَاعُونَ﴾¹ : أي أن المؤمنين يحافظون على العهود والأمانات، فيؤدون الأمانة إلى أهلها ولا يخونونها، ويلتزمون بشروط المعاهدة ويوفونها²، وهذا السلوك ثمرة إيمانهم بالله عز وجل والتزامهم بما أمر وما نهى، فالنون توافقت مع هذه المعاني فدلّت على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿حَافِظُونَ﴾³، : فمن أهم صفات المؤمنين المحافظة على الصلوات وأدائها في أوقاتها أركاناً وشروطاً، وهذا ينمّ عما في قلوبهم من إيمان راسخ، وعظمة الخالق عز وجل عندهم فالنون هنا توافقت وتطابقت مع هذه المعاني، إذ دلّت على الحركة من الداخل (القلب - الإيمان -) إلى الخارج (الجوارح - المحافظة على الصلاة -) .
- ﴿الْوَارِثُونَ﴾⁴ : أي المؤمنون الذين جمعوا تلك الصفات المذكورة آنفا هم الجديرون بوراثة جنات النعيم⁵، وهذا نتيجة الإيمان المثمر المنضبط، فتوافق هذا مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿خَالِدُونَ﴾⁶ : أي دائمون في أعالي الجنة دواماً⁷ فهذا أعلى جزاء يناله

¹ المؤمنون :08.

² ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان ، دار الفكر ، بيروت ، ج(6) ، (د. ت) ، ص69.

³ المؤمنون :09.

⁴ المؤمنون :10.

⁵ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان ، ص70 و71.

⁶ المؤمنون :11.

⁷ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص14.

المؤمنون ، فتوازنت النون مع هذه المعاني ودلت على الحركة من الداخل (القلب) أي الخارج (الجوارح).

● ﴿طِينٌ﴾¹ : أي أن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من طين خالص، ثم

أوجد ذريته وفق قاعدة التناسل المعروفة² ، فتوافق ذلك مع دلالة النون على الانبثاق والخروج، وما يوضح أكثر كلمة (سُلالة) التي تعني الخلاصة وهي مشتقة من (السَّل) الذي يعني استخراج شيء من شيء.

● ﴿مَكِينٌ﴾³ : أي مستقر متمكن ويقصد به رحم الأم الذي فيه تمرّ النطفة

بمراحل إلى أن تتشكل صورة الإنسان السوي⁴ ، فدلت النون على الاستقرار المؤقت في بطن الأم إلى حين.

● ﴿أَخْلَقِينَ﴾⁵ : أي أحسن المُقَدِّرِينَ المُصَوِّرِينَ، فالله عز وجل خلق آدم عليه

السلام من سلالة من طين، ثم خلق ذريته من ماء الرجل والمرأة، وجعل في ذلك مراحل ينشأ من خلالها إنسان سوي⁶، فالنون هنا تدلّ على معنى الانبثاق والخروج .

● ﴿لَمَيِّتُونَ﴾⁷ : أي بعد تمام الخلق والولادة والحياة في الدنيا تصير إلى الموت،

بمعنى إعادة المخلوق الطيني إلى أصله وهو التراب رغما عنه⁸، ووفق الأجل

¹ المؤمنون :12.

² ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص18.

³ المؤمنون :13.

⁴ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص18.

⁵ المؤمنون :14.

⁶ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان ، ص72.

⁷ المؤمنون :15.

⁸ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص20.

الذي كتبه الله عز وجل له، وهنا توحى النون إلى الدلالة على النفاذ القسري والدخول في الأشياء وبذلك توازنت.

● ﴿تُبْعَثُونَ﴾¹ : بمعنى تُتَشَرُونَ من قبوركم، وتعودون أحياءً للحساب والجزاء ثواباً أو عقاباً²، فالنون تدلّ على الانبثاق والخروج أي خروج الأموات من القبور ثم إعادة الروح إليهم، وهنا حدث توازن بين دلالة النون ومعنى الآية.

● ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾³ : أي لم نكن لاهين ولا ساهين عمّا أوجدنا من موجودات وعمّا خلقنا من مخلوقات، فأقوال العباد وأفعالهم مسجلة والسموات السبع محفوظة أن تقع على الأرض⁴، فالنون هنا توازنت مع هذه المعاني إذ دلت على الإحاطة بكل شيء.

● ﴿لَقَدِيرُونَ﴾⁵ : أي أن الله عز وجل لما أنزل الماء من السماء بمقدار لا هو بالقليل ولا هو بالكثير، جعل الأرض مستقرة، ليستفيد منه الإنسان والحيوان والنبات، فله كامل القدرة على تصريفه عن الناس⁶، فالنون هنا توحى بداليتين: بداليتين: الأولى النفاذ القسري في تصريف الماء وتغييره في جوف الأرض

¹ المؤمنون :16.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 19 و 20

³ المؤمنون : 17.

⁴ ينظر: - الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص278 و 279.

⁵ المؤمنون :18.

⁶ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص26.

بعيداً عن أيدي الناس، والثانية تمثلت في الإحاطة بكل شيء والقدرة على الإنشاء والرزق.

● ﴿تَأْكُلُونَ﴾¹ : أي أن الماء المنزل استقرّ في الأرض لتهتّر هذه الأخيرة وتُخرج أنواعاً مختلفة من النباتات التي منها يتحوّل إلى أشجار مثمرة ومتنوعة²، فينتفع بها الإنسان في تغذية نفسه، فالنون هنا توازنت مع هذه المعاني و دلّت على الحركة من الخارج (ما ينتفع به في الأكل) إلى الداخل (بطن الإنسان).

● ﴿وَصَبَّغِ لِلْأَكْلَيْنِ﴾³ : هنا خصّص الله عز وجل الكلام عن شجرة الزيتون⁴ لما لها من فوائد صحية عظيمة، وجعلها إداماً للإنسان سواء في الشرب أو في التدهن، فالنون هنا دلّت على الحركة من الخارج (شرب زيت الزيتون) إلى الداخل (انتفاع بطن الإنسان به).

● ﴿تَأْكُلُونَ﴾⁵ : خلق الله تعالى الأنعام من إبل وبقر وغنم⁶، لينتفع بها الإنسان الإنسان في قضاء حوائجه، خاصة تغذية نفسه، وقد توازنت النون مع هذا و دلّت على الحركة من الخارج إلى الداخل (بطن الإنسان).

● ﴿تَحْمَلُونَ﴾⁷ : أي من الأنعام ما يتخذ مطية في البر، ومن الأشجار ما يُصنع فُلُكاً للركوب عليه في البحر، فالنون هنا توافقت مع الفاصلة القرآنية و معنى

¹ المؤمنون: 19.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص27.

³ المؤمنون: 20.

⁴ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، المجلد (2) ، ص279.

⁵ المؤمنون: 21.

⁶ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص279.

⁷ المؤمنون: 22.

الآية، إذ دلت على الاضطراب والاهتزاز حين امتطاء سفينة الصحراء وسفينة البحر.

- ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾¹: أي أفلا تخشونه وتخافونه بإشراككم به شريكاً آخر؟²، فالتقوى محلها القلب ثم تنعكس في الجوارح من أقوال وأفعال، فالنون دلت على الحركة من الداخل (القلب - التقوى -) إلى الخارج (الجوارح - في أقوال وأفعال -).
- ﴿الْأَوَّلِينَ﴾³: تظهر الآية أن أشراف قوم نوح وسادتهم قابلوا دعوة نوح عليه السلام بالإصرار على الكفر والجحود دون برهان مقبول، وفضلوا أن يكونوا منطبعين ومستسلمين على ما كان عليه آبائهم⁴، رافضين بذلك التغيير، فالنون فالنون هنا توافقت مع المعاني ودلت على الاستكانة على ما كان عليه الآباء.
- ﴿حِينَ﴾⁵: أي لا تخافوا ولا تنزعجوا لأن الرجل به مس من جنون، وانتظروا الخلاص منه واصبروا إلى أن يهلك أو يموت⁶، فالنون هنا دلت على الطمأنينة الطمأنينة والاستكانة (الخضوع).
- ﴿كَذَّبُونَ﴾⁷: هنا توجه نوح عليه السلام إلى الله عز وجل طلباً للانتصار لأن قومه كذبوه نتيجة قلوبهم المتحجرة والمنكرة لما جاء به⁸، فالنون دلت على

¹ المؤمنون: 23.

² ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص281.

³ المؤمنون : 24.

⁴ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص34.

⁵ المؤمنون : 25.

⁶ ينظر: : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص35.

⁷ المؤمنون : 26.

⁸ الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص282.

الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح) - اعتراضهم على دعوة نوح عليه السلام قولاً وفعلاً -).

● ﴿مُعْرِقُونَ﴾¹ : أرى الله عز وجل نوحاً عليه السلام عملية صنع السفينة، لينجو هو ومن آمن معه لكون لعذاب آتٍ بعد قليل إهلاكاً للذين كفروا به بالغرق²، فالنون هنا دلّت على النفاذ القسري في الطوفان لمن كفر بدعوة نوح عليه السلام.

● ﴿الظَّالِمِينَ﴾³ : فالذين كفروا وأنكروا ما جاء به نوح عليه السلام كان مصيرهم الغرق في الطوفان لقلوبهم القاسية والفسادة⁴، فقد ظلموا أنفسهم أولاً ثم غيرهم قولاً وفعلاً، فالنون هنا دلّت على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح) وبذلك توازنت مع معنى الآية.

● ﴿الْمُتَزِلِينَ﴾⁵ : بعد إهلاك الكافرين ونجاة نوح عليه السلام ومن آمن معه، أمره الله عز وجل أن يدعو دعاء مقروناً بالثناء والشكر، فعملية الإنزال كانت من الفلك إلى الأرض⁶، وفيها إحياء بالحركة والاهتزاز وهذا ما دلّت عليه النون، فكان التوافق والتوازن.

¹ المؤمنون: 27.

² ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 26 و 27

³ المؤمنون: 28.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 20.

⁵ المؤمنون: 29.

⁶ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 282.

- ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾¹ : فالابتلاء هو الامتحان الذي يسلطه الله عز وجل على الإنسان اختباراً له بالخير والشر²، فالنون هنا توازنت مع هذا المعنى، إذ دلّت على الحركة من الخارج (ابتلاء من الله) إلى الداخل (على الإنسان).
- ﴿ءَاخِرِينَ﴾³ : أي من بعد قوم نوح عليه السلام جاء قوم عاد⁴، فالنون فيها دلالة على الانبثاق والخروج.
- ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾⁵ : بمعنى أفلا تخافون عذابه، فالتقوى محلها القلب⁶ وتتعكس على الجوارح قولاً أو فعلاً، فالنون فيها دلالة على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿تَشْرَبُونَ﴾⁷ : أي أن قوم عاد كفروا بدعوة هود عليه السلام وبما جاء به، فهم تماماً مثل قوم نوح عليه السلام الذي أنكروا بنبوته تحت غطاء البشرية الآدمية

¹ المؤمنون:30.

² ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص20.

³ المؤمنون:31.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص22.

⁵ المؤمنون:32.

⁶ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، المجلد (2) ، ص282 .

⁷ المؤمنون:33.

لا الملائكية العلوية¹، وهذا بلسان أشرافهم وسادتهم خاصة لما تحدّثوا عن ميزة الأكل والشرب المشتركة بينهم وبينه، فالنون هنا دلّت على الحركة من الخارج (الماء) إلى الداخل (بطن الإنسان).

● ﴿لَخَسِرُون﴾² : أي لمغبونون باتباعكم بشراً مثلكم، تخسرون عقولكم ومجدكم وترفكم ورغد عيشكم³، فالنون هنا توازنت مع هذا و دلّت على الحركة من الخارج (فقدان ما كانت تتمتع به الجوارح من رغد العيش) إلى الداخل (فقدان السعادة والغبن).

● ﴿مُخْرَجُونَ﴾⁴ : في هذا الموضع استهزأ قوم هود على لسان أشرافهم وسادتهم بدعوته، وأنكروا البعث والنشور والحياة الأخروية⁵، فكانت النون متوازنة مع هذا المعنى، إذ دلّت على نفي الخروج من القبور وإعادة الروح إلى الأموات ليوم الحساب والجزاء.

¹ ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 28

² المؤمنون:34.

³ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج ، ص42.

⁴ المؤمنون:35.

⁵ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج ، ص42 و44.

- ﴿هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ﴾¹ : مرتبط بالآية السابقة، أي بعدُ بعدُ ما يُقال لكم أيُّها القوم، فيه إنكار تام للبعث وعودة الحياة مرة أخرى للأموات²، وقد توازن ذلك مع دلالة النون على النفي التام للخروج من القبور وإعادة الروح إلى الأموات.
- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾³ : هذا مرتبط بما سبق من الآيات، فيه إنكار تام للبعث والنشور⁴، وقد توازنت دلالة النون مع ذلك، إذ دلَّت على نفي الانبعاث والخروج من القبور وعودة الحياة مرة أخرى للأموات يوم الحساب .
- ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁵ : فالإيمان محلّه القلب وصدقه الفعل والقول، فهنا قوم عاد قطعوا وصرّحوا بالكفر بما جاء به هود عليه السلام قولاً وفعلًا⁶، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب - الكفر-) إلى الخارج (الجوارح).

¹ المؤمنون:36.

² ينظر : : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص22.

³ المؤمنون:37.

⁴ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ج(6) ، ص83.

⁵ المؤمنون:38.

⁶ ينظر : ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ج(6) ، ص83.

- ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾¹ : في هذه الآية توجّه هود عليه السلام إلى الله عز وجل طلباً للانتصار من قومه الذين تصلّبوا وتحجّروا وأنكروا ما جاء به إنكاراً شديداً²، فالتكذيب محلّه القلب وتعكسه الجوارح قولاً وفعلًا، وقد توازنت النون مع هذا، إذ دلّت على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿نَدِمِينَ﴾³ : في هذه الآية توعّد الله عز وجل الذين كفروا بما جاء به هود عليه السلام بالعذاب الشديد إلى درجة الندم⁴ ، فهذه الكلمة محلّها القلب تدلّ على الحسرة والحزن الشديد، وهذا يدخل في المشاعر الإنسانية التي هي من دلالة النون.
- ﴿الظَّالِمِينَ﴾⁵ : أي الطاغين المعاندين، فقد أنزل الله عليهم عذاباً شديداً أهلّكهم ودمّرهم لفساد اعتقادهم وانحراف سلوكهم وطغيانهم وعنادهم الذي لا مبرر له⁶، فالنون تطابقت مع هذا و دلّت على الحركة من الداخل (القلب - عدم الإيمان -) إلى الخارج (الجوارح كالعناد والطغيان).

¹ المؤمنون:39.

² ينظر - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 32

³ المؤمنون:40.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص24.

⁵ المؤمنون:41.

⁶ ينظر : : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص24.

● ﴿قُرُونًا ءَاخِرِينَ﴾¹: أي أوجدنا بعد هلاك هؤلاء أمما وخلائق متتابعة ، كلّ

قوم ولهم تاريخهم وزمنهم²، وكلّ رسول وله مهمة وجهد في تقويم الاعوجاج وإصلاح البشر ، فالنون هنا دالة على الخروج والظهور ، لأنّ الأمة الأولى انتهت مصيرها فجاءت أمة أخرى وهكذا دواليك .

● ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾³ : أي لا تتقدم أمة مُهلكة من تلك الأمم وقتها المحدد

لهلاكها ولعذابها أبداً إن لم يؤمنوا، ولا تتأخر عن الأجل المقدّر لها⁴، كل شيء عند الله بمقدار لا يعلمه إلا هو، فالنون دلّت على الاستسلام والاستكانة لقضاء الله وقدره .

● ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁵ : أي كلّما أرسل الله عزّ وجلّ رسلاً متتابعة إلى أقوامهم إلاّ

وقابلوهم بالإنكار والجحود وعدم الإيمان⁶، لذلك دعا عليهم بالهلاك المبين، فالنون هنا توازنت وتطابقت مع هذا، إذ دلّت على الحركة من الداخل (الإنكار) إلى الخارج (انعكاس الإنكار قولاً وفعلاً).

¹ المؤمنون:42.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 33

³ المؤمنون:43.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص283.

⁵ المؤمنون:44.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص283.

● ﴿وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ﴾¹ : أي وحجة واضحة، فإله عز وجل أرسل موسى وأخاه

هارون بالحجج الدامغة والدلائل القاطعة إلى فرعون وقومه هداية لهم²، فالنون دلت على الظهور والبروز.

● ﴿عَالِيْنَ﴾³ : أي متكبرين ومتغطرسين ومتمردين وقاهرين لغيرهم بالظلم، فهذه

الصفات داخلية شنيعة وقبيحة في حق بني الإنسان دعاها وتصورها فرعون وقومه⁴، فانعكست في سلوكهم وجوارحهم بمختلف الجرائم، وقد تطابقت النون النون مع هذا ، لأنها دلت على الحركة من الداخل (صفة العلو والتكبر) إلى الخارج (قهر الغير وظلمه).

● ﴿عَبْدُوْنَ﴾⁵ : أي كيف لنا أن نتبع بشرين مثلنا وقومهما منقادون لنا

كالعبيد؟ والهدف من هذا هو محاولة إبطال ما جاء به موسى وهارون عليهما السلام⁶، فالنون أوحى بالاستكانة وخضوع القوم لفرعون وملئه.

¹ المؤمنون:45.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص35

³ المؤمنون:46.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص51.

⁵ المؤمنون:47.

⁶ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص51 و52.

- ﴿الْمُهْلِكِينَ﴾¹ : أي لما كذب فرعون وقومه بما جاء به الرسولان، أهلكهم الله تعالى بالغرق في البحر²، فالنون فيها دلالة النفاذ القسري والدخول في العذاب.
- ﴿يَهْتَدُونَ﴾³ : بمعنى لعل بني إسرائيل ينتصحون به ويمتثلون له، ويتبعون بما جاء به، فالنون هنا فيها دلالة الاستكانة والخضوع.
- ﴿وَمَعِينٍ﴾⁴ : فالمعنى هو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض⁵، وهذا تطابق مع دلالة النون، لأنها تدل على الظهور والانبثاق والخروج، لأن المعنى في الأصل يخرج من الأرض.
- ﴿عَلِيمٌ﴾⁶ : أي أن الله عز وجل علمه محيط بجميع أعمال عباده ظاهرها وباطنها، صغيرها وكبيرها، فلا تخفى عليه خافية⁷، وقد توازن ذلك مع دلالة الميم على الاتساع في معرفة خبايا الأمور والإحاطة بكل شيء.

¹ المؤمنون : 48.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص35 و36.

³ المؤمنون : 49.

⁴ المؤمنون : 50.

⁵ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفسير ، ص283.

⁶ المؤمنون : 51.

⁷ ينظر : ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ج(6) ، ص88.

● ﴿فَاتَّقُونَ﴾¹ : بمعنى خافوا عقابي وعذابي²، والخوف محلّ القلب وينعكس

في الجوارح، فيه دلالة على الحركة من الداخل إلى الخارج، أو هو من المشاعر الإنسانية، وقد توازن ذلك مع دلالة النون، فالفاصلة جاءت في موضع مخاطبة الرسل مع أقوامهم بأنّ الدين واحد والملة واحدة والهدف واحد، وهو عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، والاختلاف يكون في تباين الشرائع والأحكام بحسب اختلاف الأزمان.

● ﴿فَرِحُونَ﴾³ : الفرح هو الآخر مقره القلب فينعكس على الجوارح، فيه دلالة

على الحركة من الداخل إلى الخارج ، أو هو من المشاعر الإنسانية، جاءت الفاصلة في موضع تفرق الأمم إلى فرق وأديان كالمجوس واليهود والنصارى، كل واحد منهم يقول للآخر أنا على حق وأنت على باطل وهو في حالة اغتباط وسرور⁴.

● ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁵ : جاءت في موضع حثّ الرسول (ص) على ترك مكذبيه

¹ المؤمنون : 52.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 40.

³ المؤمنون : 53.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص 31 و 30.

⁵ المؤمنون : 54.

على ما هم عليه حتّى يروا العذاب الشديد رأي العين¹، فالنون دلّت على الاستقرار والطمأنينة وعدم الانشغال بالمكذّبين .

● ﴿وَنَبِّينَ﴾²: يعني الأولاد، فالنون فيها دلالة على الانبثاق والخروج، لأنّ الأطفال خرجوا من نطف آبائهم وأمّهاتهم بعد أن مرّوا بمراحل، جاءت الفاصلة في موضع مخاطبة الكفار قائلاً لهم: أتظنون أنّ منحكم الأولاد والأموال هو كرامة لكم؟³

● ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁴ : هذا تشبيه لهم بالبهائم التي ليس لها شعور حتى تفكر في ذلك الأمر أهو استدراج لهم في زيادة المعاصي أم هو مسارعة في الخيرات؟⁵ فالآية بدأت بـ (يحسبون)، وانتهت بـ (يشعرون) كلاهما ينتهي بالنون، كما أنّ محور الآية يدور حول الظن وعدم الشعور وعدم التفكير، وكل ذلك مركزه الداخل وينعكس في الجوارح، وهذا من دلالة النون.

● ﴿مُشْفِقُونَ﴾⁶ : أي أنّ المؤمنين من شدة خوفهم من عذاب ربهم دائبون في طاعته، مبتعدون عن المعاصي والآثام⁷، فالنون هنا توازنت مع هذا لأنّها تدل على الحركة من الداخل (نهاية الخوف) إلى الخارج (طاعة الله والابتعاد عن ما يغضبه قولاً وفعلاً) وهذا من صفات المؤمنين.

¹ ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 43 و44

² المؤمنون : 55.

³ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص285.

⁴ المؤمنون : 56.

⁵ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص285.

⁶ المؤمنون : 57.

⁷ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص286.

- ﴿يُؤْمِنُونَ﴾¹: فالإيمان تصديق قلبي² ينعكس في الجوارح ، فالمؤمنون آمنوا بآيات الله في الأنفس والآفاق وبما أنزل على محمد (ص)، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون.
- ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾³: فالمؤمنون حقاً هم الذين يوقنون بأن الله واحد أحد، وينفون عنه الشريك،⁴ وهذا أمر داخلي ينطبع على جوارحهم قولاً وفعلاً، وهذا متطابق مع دلالة النون .
- ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾⁵: جاءت الفاصلة في موضع ذكر صفة التصديق للمؤمنين وهم في حالة خوف ووجل من أن لا تقبل أعمالهم حين البعث والنشور⁶، فالنون فيها دلالة الانبثاق والخروج من القبور وإعادة الحياة إلى الأموات للحساب والجزاء وبذلك توافقت مع معنى الآية ومع الفاصلة.

¹ المؤمنون : 58.

² ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 44

³ المؤمنون :59.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص64.

⁵ المؤمنون :60.

⁶ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص65.

● ﴿سَيُفُونَ﴾¹ : فالمؤمنون يتصفون بالتسارع والتنافس في الطاعات لنيل

أعلى الدرجات بعكس الكفار²، فالفاصلة القرآنية شملت كل صفاتهم الحميدة المذكورة سابقا فهم جديرون بها، ولهم قدم السبق إليها، لا يتركون شيئاً يقربهم من الله إلاّ ويقومون به، فالنون دالة على إحاطة المؤمنين بكل ما يجعلهم ينالون أعلى المنازل عند الله عز وجل.

● ﴿وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾³ : بمعنى أنّ كلّ ما يقوم به العباد من أفعال تُسجّل في

صحائف أعمالهم، ويستحيل أن تنقص من الثواب أو تزيد في العقاب⁴ حيال ما قاموا به، فهذه المعاني تناسبت مع دلالة النون، إذ دلّت على الحركة من الخارج (نفي أيّ زيادة أو نقصان في صحائف الأعمال) إلى الداخل (على الإنسان معنويا وجسديا).

● ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾⁵ : فهذا حديث عن الكفار الذين قاموا بأعمال تغضب

الله عليهم إضافة إلى الكفر والإشراك به، نتيجة اعتقادهم الفاسد وضلالهم⁶، وعدم الإيمان بوحدةانيته، فالنون هنا توازنت مع الفاصلة القرآنية وهذه المعاني و دلّت على الحركة من الداخل (فساد الاعتقاد في القلب) إلى الخارج (ظهر ذلك في الجوارح قولاً وفعلًا).

¹ المؤمنون: 61.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص66.

³ المؤمنون: 62.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص286.

⁵ المؤمنون : 63.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص287.

● ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾¹ : بمعنى يصيحون ويستغيثون من شدة العذاب²،

فالنون فيها دلالة على الأصوات وقد توازن ذلك مع الفاصلة والآية، فقد ساهمت النون في تصوير مشهد الكفار وهم تحت وطأة العذاب كالجوع والقتل والأسر.

● ﴿لَا تُنْصَرُونَ﴾³ : بمعنى لا تمنعون من العذاب المفروض عليكم، فلن ينفعكم

صراخ ولا استغاثة⁴، فلنون نصيب في ذلك، لأنها دللت على النفاذ القسري في العذاب وعدم الخروج منه.

● ﴿تَنْكِصُونَ﴾⁵ : بمعنى تعرضون عن سماع تلك الآيات وتتفرون منها، كما

يذهب الناكص على عقبه⁶، مصرين على البقاء على طريقة آبائكم الأولين، وكان للنون تأثير في ذلك، لأنها دالة على الحركة من الداخل (الكفر والضلال) إلى الخارج (انعكس في شكل الإعراض والنفور).

¹ المؤمنون : 64.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 50 و 51.

³ المؤمنون : 65.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 287.

⁵ المؤمنون : 66.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 288.

● ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾¹ : بمعنى تتقولون على القرآن بالقول الفاحش عنه والظعن

به²، وتسيئون إلى النبي (ص)، فهذا سلوك قولي يظهر على الجوارح نتيجة الضلال والكفر وعدم الإيمان، فالنون هنا تطابقت مع هذه المعاني ودلت على الحركة من الداخل إلى الخارج.

● ﴿ أَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾³ : أي السابقين، فالنون توحى بالانبثاق والخروج، لأنّ

آبائهم هم الأصل وهم الفرع، جاءت الكلمة في موضع توبيخ لأنّهم صدّوا أنفسهم عن الانتفاع بالقرآن، فإرسال الرسل سنة قديمة عرفها حتّى آباؤهم السابقون⁴.

● ﴿ مُنْكَرُونَ ﴾⁵ : رغم معرفة الكفار بصدق الرسول (ص) وأمانته وأخلاقه،

وأخلاقه، فإنّهم أنكروا ما جاء به نتيجة ضلالهم⁶، وكان للنون تأثير في ذلك ذلك لأنّها دلت على الحركة من الداخل (الكفر) إلى الخارج (بان الإنكار في الأقوال والأفعال).

¹ المؤمنون: 67.

² ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص287.

³ المؤمنون: 68.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص40.

⁵ المؤمنون: 69.

⁶ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص40.

● ﴿كَرِهُونَ﴾¹ : فالكره داخل في المشاعر الإنسانية نتيجة فساد اعتقادهم

وانحرافهم عن جادة الصواب، وهذا من دلالة النون.

● ﴿مُعْرِضُونَ﴾² : فقد أعرض الكفار عما جاء به القرآن وعن سماعه، بل

لم يؤمنوا أصلاً بنزوله، وسخروا منه واستهزؤوا به³ نتيجة قلوبهم المتحجرة

والفاسدة ، فقد دلت النون على الحركة من الداخل إلى الخارج .

● ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾⁴ : فرزق الله قد يكون مادياً كالمال أو معنوياً كالهداية⁵،

وقد تناسبت دلالة النون مع هذا و دلت على الحركة من الخارج (الله) إلى

الداخل (الإيمان والهداية).

● ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁶ : أي الطريق المعتدل لا عوج فيه، وهو الإسلام

الموصل إلى جنات النعيم ومرضاة الله عز وجل⁷، فالطريق يوحى إلى

الاتساع، و (مستقيم) يوحى هو الآخر إلى الاتساع والتماسك، لتأثر هذه

الكلمة بما سبقها لاسيما وأنها صفة لها، ثم ابتدأها بالميم وانتهأها بها، ومن

ثمة توازنت الميم مع هذه المعاني.

¹ المؤمنون: 70.

² المؤمنون: 71.

³ ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 57

⁴ المؤمنون: 72.

⁵ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص 95.

⁶ المؤمنون: 73.

⁷ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص 96.

● ﴿لَنَكْبُوتَ﴾¹ : بمعنى عادلون عن الطريق الذي انتهجه الله لهم،

ومنحرفون عن الإسلام الذي ارتضاه لهم²، وهذا ظاهر على جوارح الكفار قولاً وفعلاً، نتيجة عدم إيمانهم بوحدايته، ولا بالبعث ولا بالنشور ولا بالحساب ، وهذه الأمور ساكنة في قلوبهم ومعتقداتهم، وللنون تأثير في ذلك بطريقة أو بآخرى، لأنها تدل على الحركة من الداخل إلى الخارج (الجوارح).

● ﴿يَعْمَهُونَ﴾³ : هذا وصف لحالة الكفار الظاهرة على جوارحهم من حيرة

وتردد وانغماسهم في الطغيان نتيجة فساد قلوبهم وكفرهم⁴، وقد تطابقت دلالة النون مع هذا، إذ تدلُّ على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).

● ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾⁵ : أي ما دعوا الله ليرفع عنهم العذاب بل استمروا في

الاستكبار والعتو، والمقصود هو عدم حصول تواضع منهم ولا رجوع إلى الله⁶، بسبب قلوبهم المتحجرة واعتقادهم الفاسد، وقد توازنت النون مع ذلك إذ دلَّت على الحركة من الداخل إلى الخارج.

● ﴿مُجِئُونَ﴾⁷ : أي يائسون من كل خير فانقطعت آمالهم وخاب رجاءهم⁸،

وهذا وصف لمشاعر الكفار لما أخذهم الله بالعذاب الشديد الذي لم يضعوه في الحساب فتتناسب ذلك مع دلالة النون على المشاعر الإنسانية.

¹ المؤمنون :74.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 57

³ المؤمنون :75.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص43

⁵ المؤمنون :76.

⁶ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص43.

⁷ المؤمنون :77.

⁸ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص44.

- ﴿ تَشْكُرُونَ ﴾¹ : أي لم يحمد الكفار الله على ما أنعمه عليهم من نعمة البصر والسمع والعقل، ولم يستعملوها في مواضعها الأصلية المؤدية إلى معرفة عز وجلّ لفساد قلوبهم²، فالنون هنا دالة على الحركة من الداخل (اعتقاد فاسد) إلى الخارج .
- ﴿ تُحْشَرُونَ ﴾³ : أي تُجمعون يوم القيامة للحساب والجزاء بعدما كنتم أمواتاً⁴، فالنون هنا توحى بالانبثاق والخروج من القبور وإعادة الحياة إلى الأموات، وبذلك تطابقت مع الآية في المعنى.
- ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾⁵ : أي أفلا تتفكرون في دلائل قدرة الله وقهره ؟ فمن قدر على الخلق ابتداءً، قادرٌ على إعادة الخلق والبعث بعد الفناء⁶ ، فالنون تدلُّ على استكانة الكفار وخضوعهم لعادة آبائهم الأولين نتيجة غرقهم في الشرك والمعاصي.

¹ المؤمنون : 78.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص62.

³ المؤمنون : 79.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص291.

⁵ المؤمنون : 80.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص291.

● ﴿الْأَوَّلُونَ﴾¹ : أي كذبوا مثل ما كذب أسلافهم، تقليداً لهم دون حجة أو

برهان أو إعمال للعقل²، فقد أوحى النون إلى استكانة الكفار وخضوعهم لمعتقدات أسلافهم وعاداتهم.

● ﴿أَيْنَأَ لَمَبْعُوثُونَ﴾³ : أي أنبعث من قبورنا أحياء بعد موتنا؟، فكفار مكة

أنكروا البعث والنشور والحساب⁴، ومن ثمة دلّت النون على نفي الانبثاق والخروج من القبور وإعادة الحياة مرة أخرى للأموات.

● ﴿أَسْطِيطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾⁵ : أي أكاذيب المتقدمين، فالنون أثّرت على معنى الآية

ككل، و دلّت على نفي الخروج وإنكار البعث، فكفار مكة أنكروا النشور وإعادة الحياة للحساب، واحتجوا بأن ما يعدمهم الرسول (ص) شبيه بما وعد أبائهم الأولون ولم يحدث منه شيء في زمانهم⁶.

● ﴿تَعْلَمُونَ﴾⁷ : إي إن كان لكم إحاطة بالأمر، وهو موجّه إلى الكفار لما

لما سألهم الرسول (ص) عن مالك السموات والأرض وما فيهما توبيخا لهم وتقريراً بجهلهم⁸، وللنون تأثير في ذلك، لأنها دلّت على نفي الإحاطة بالأمر.

¹ المؤمنون: 81.

² ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 62

³ المؤمنون: 82.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص46.

⁵ المؤمنون: 83.

⁶ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص47.

⁷ المؤمنون: 84.

⁸ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص48.

● ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾¹ : أي أفلا تتدبرون في الموجودات فتعلموا أن من خلق ذلك أول مرة قادرٌ على إعادة الحياة مرة أخرى بعد الممات²، فالنون دالة على استكانة الكفار وخضوعهم لما دأب عليه آبائهم وأسلافهم دون أعمال للعقل.

● ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾³ : أي الكبير، فيه إحياء إلى امتداد العرش واتساعه⁴، وقد تطابق ذلك مع دلالة الميم على الامتداد والاتساع، فجاء هذا في مقام التوبيخ للكفار.

● ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾⁵ : أي إذا عرفتم أن الله هو مالك كل شيء، لما لا تخافون عقابه؟ ولما لا تعبدونه وتوحدونه؟⁶ فهذا الكلام فيه إهانة لهم وتقريع، وأنكرت البعث والنشور فانعكس ذلك على جوارحهم قولاً وفعلاً واستمروا في الطغيان، وقد توازن ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل إلى الخارج.

● ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْمُونَ﴾⁷ : إن كانت لكم إحاطة بذلك فأخبروني عنه، حينما سألهم الرسول (ص) عن مالك الملك الواسع وصاحب خزائن كل شيء،

¹ المؤمنون :85.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 63

³ المؤمنون :86.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص291.

⁵ المؤمنون :87.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص292.

⁷ المؤمنون :88.

والذي يغيب من استغاث به¹، وقد تناسب ذلك وتوازن مع دلالة النون على الإحاطة.

● ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾² : فكيف تُخدعون وتُصرفون عن عبادته وتوحيده رغم أنكم تعترفون بأنه مالك كل شيء³، فالنون توحى بالدلالة على الحركة من الداخل إلى الخارج .

● ﴿لَكَذِبُونَ﴾⁴ : أي كل ما زعمه هؤلاء المشركون من افتراءات لإنكار التوحيد والبعث والجزاء ما هو إلا كذب في كذب، بل ما جئنا به هو الحق المبين⁵، فكذبهم هذا ظاهر في أقوالهم لفساد قلوبهم وعدم استسلامهم لله الواحد ، وكان للنون تأثير في ذلك لأنها دلّت على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).

● ﴿يَصِفُونَ﴾⁶ : أي تنزهه وتقدس عن كل ما وصفه المشركون من وجود ولد له وشريك في الملك، وغيرها من الافتراءات والأقوال الباطلة⁷ التي تظهر قلوبهم المريضة واعتقادهم الفاسد، وقد توازن ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل إلى الخارج .

¹ ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 65

² المؤمنون :89.

³ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص49.

⁴ المؤمنون :90.

⁵ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص50.

⁶ المؤمنون :91.

⁷ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص51.

- ﴿يُشْرِكُونَ﴾¹ : أي تعالى الله عما يقوله الظالمون الجاحدون²، وهذا تابع وتأكيد لما سبق، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب المليء بالكفر) إلى الخارج (أقوال باطلة عن الله عز وجل).
- ﴿يُوعَدُونَ﴾³ : أي ما ينتظرهم من العذاب الشديد الذي وعدتهم به لكفرهم وطغيانهم وعنادهم⁴، وقد تناسب ذلك مع دلالة النون على النفاذ القسري والدخول في العذب المفروض عليهم .
- ﴿الظَّالِمِينَ﴾⁵ : يخصّ كفار مكة لأنّهم ظلموا أنفسهم بعدم إيمانهم بوحداية الله تعالى وبما أنزل وغيرهم بطغيانهم⁶، وقد توافق ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).
- ﴿لَقَدْ رُؤِنَ﴾⁷ : أي لنا القدرة الكاملة على إرائك يا محمد العذاب الموعود لهم، ولكن نؤخره إلى حين لحكمة⁸، وقد توازن هذا مع دلالة النون على النفاذ القسري في القدرة وإنزال العذاب.

¹ المؤمنون :92.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 66و67

³ المؤمنون :93.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص95.

⁵ المؤمنون :94.

⁶ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص96.

⁷ المؤمنون :95.

⁸ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص96.

● ﴿يَصُفُونَ﴾¹ : أي أنّ الله يعلم بحال الكفار وما يقولونه من أباطيل

وأكاذيب مفتراة²، لفساد قلوبهم ، وقد دلّت النون على الحركة من الداخل إلى الخارج .

● ﴿الشَّيَاطِينِ﴾³ : أي وسوس الشياطين ونزغاتهم⁴ ، وهي مصدر خارجي

يؤثر في القلوب الضعيفة والخاوية من الإيمان بالله تعالى، وتُحرّكها لتفعل الأفاعيل التي تخالف المنهج الرباني، وقد كان للنون تأثير في ذلك، لأنها دلّت على الحركة من الخارج (وسوس الشياطين) إلى الداخل (القلوب الهشة الضعيفة).

● ﴿أَنْ تَحْضُرُونَ﴾⁵ : جاءت هذه الكلمة في مقام استعاذة النبي(ص) من

أن تصيبه الشياطين بوساوسها أو بإرسال أعدائه إليه⁶، فقد تطابقت دلالة النون مع ذلك و دلّت على الحركة من الخارج (نزعات الشياطين) إلى الداخل (محاولة إلحاق الضرر بالنبي (ص)).

● ﴿أَرْجِعُونِ﴾⁷ : أي أعيدوني إلى الدنيا تحسراً على ما فرّط وضيع من

عمره⁸، فالنون هنا تدلّ على الاستكانة والخضوع لله والتذلل بعد فوات الأوان.

¹ المؤمنون : 96.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 67

³ المؤمنون :97.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص292.

⁵ المؤمنون :98.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص292.

⁷ المؤمنون :99.

⁸ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص293.

● ﴿يُعْتُونَ﴾¹: أي يخرجون من القبور، وتُعاد إليهم الروح² استعداداً للحساب

والجزاء، وقد تناسبت النون مع ذلك لأنها تدلُّ على الانبثاق والخروج.

● ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾³: بمعنى إذا جاءت نفخة البعث والنشور لن تنفع الناس

قربة ولا نسب، ولا يسأل بعضهم بعضاً من شدة الهول والدهشة كل واحد ينشغل بنفسه⁴، فالنون هنا أثرت في الآية، ودلت على الاستكانة والخضوع للأمر.

● ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾⁵: أي الفائزون بجنة النعيم⁶، وهذا وعد قاطع للمؤمنين

الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله المصطفى، واتبعوا المنهج الرباني، فكثرت بذلك حسناتهم، فالنون هنا دالة على النفاذ القسري والدخول في الجنة.

● ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾⁷: أي مقيمون فيها لا يخرجون منها أبداً⁸، فهذا جزاء الكفار

الكفار الذين زادت سيئاتهم نتيجة الكفر والمعاصي، فحققت عليهم الشقاوة الأبدية، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون على الإقامة والاستقرار في جهنم.

¹ المؤمنون: 100.

² ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19، ص 70

³ المؤمنون: 101.

⁴ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 293.

⁵ المؤمنون: 102.

⁶ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 293.

⁷ المؤمنون: 103.

⁸ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 293.

- ﴿كَلِحُوتٌ﴾¹ : أي عابسون ومشوهو المنظر بسبب احتراق وجوههم بنار جهنم²، فهذا وصف لحالة الكفار وهم يتعذبون في النار، فالنون هنا جاءت متوازنة مع هذه المعاني و دلّت على الحركة من الخارج (نار جهنم) إلى الداخل (احتراق وجوههم وتشوهاها).
- ﴿تُكَذِّبُونَ﴾³ : أي لا تصدّقون بما جاء به القرآن مع وضوحه أمامكم، لمرض قلوبهم التي طغى عليها الران⁴، وقد تناسب ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح في شكل أقوال).
- ﴿ضَالِّينَ﴾⁵ : بمعنى ضللنا طريق الهدى بسبب سوء استعدادنا وتغلب شهواتنا علينا وانغماسنا في عادة آبائنا، ولم نؤمن رغم وجود الحجة⁶، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب المريض المنغمس في الكفر) إلى الخارج (قولا وفعلا).
- ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾⁷ : أي تجاوزنا الحدّ في الظلم والعدوان، هذا كلام الكفار

¹ المؤمنون: 104.

² ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19، ص 73

³ المؤمنون: 105.

⁴ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص 109.

⁵ المؤمنون: 106.

⁶ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص 109.

⁷ المؤمنون: 107.

داعين الله بأن يعيدهم إلى الدنيا ليستدركوا ما ضيَّعوه من أعمارهم¹، لكن هيهات هيهات لما يطلبون، فكان للنون تناسب مع ذلك لأنَّها دلَّت على الحركة من الداخل إلى الخارج .

● ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾² : بمعنى لا تطلبوا مني رفع العذاب، جاءت في موقع التذليل والزجر كما تُزجر الكلاب³، فالنون فيها دلالة الاستكانة والخضوع والذلّ.

● ﴿خَيْرُ الرَّحِمِينَ﴾⁴ : فالله عز وجل رحمته وسعت كل شيء، جاءت في موقع دعاء المؤمنين ربَّهم بالغفران والرحمة⁵، وقد تناسب ذلك مع دلالة النون على الحركة من الخارج (رحمة الله) إلى الداخل (على الإنسان من هداية ونعم أخرى).

● ﴿تَضَحَّكُونَ﴾⁶ : هذا الكلام موجه إلى الكفار لأنَّهم كانوا يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم، وتشاغلو بذلك حتى نسوا عقاب الله عز وجل⁷، فسلوكهم هذا يعكس ما في قلوبهم من غلٍّ وحقد عليهم وكره لما جاء به الرسول المصطفى، وقد تطابق ذلك مع دلالة النون على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).

¹ ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19 ، ص 77.

² المؤمنون : 108.

³ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 108.

⁴ المؤمنون : 109.

⁵ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 108.

⁶ المؤمنون : 110.

⁷ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 108.

- ﴿الْفَائِزُونَ﴾¹ : أي بالنعيم المقيم، فهذا جزاء المؤمنين الذين آمنوا بوحداية الله تعالى، وصبروا على أذى الكفار لهم وسخريتهم منهم²، فكان للنون توازن مع ذلك و دلّت على الحركة من الداخل (القلب المملوء بالإيمان) إلى الخارج (الفوز بالجنة).
- ﴿سِنِينَ﴾³ : أي المدة التي أقمتوها في الدنيا وأنتم أحياء، وهذا موجّه إلى الكفار على سبيل التوبيخ والتبكيت من طرف ملك مأمور بذلك⁴، وقد أوحى النون بالدلالة على الإقامة.
- ﴿الْعَادِينَ﴾⁵ : وهم الحفظة المكلفون بتسجيل أعمال العباد وأعمارهم بدقة متناهية، فمن شدة العذاب وهول ما رأى الكفار نسوا مدة إقامتهم⁶ في الدنيا فتوافقت النون مع معنى الآية ودلّت على الإقامة.
- ﴿تَعْلَمُونَ﴾⁷ : أي إن كان لكم إحاطة بالمدة التي لبثتموها لعرفتم زوال

¹ المؤمنون: 111.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 81

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص62.

⁵ المؤمنون: 113.

⁶ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص62.

⁷ المؤمنون: 114.

متاع الدنيا وحقارتها، ولَمَّا أوجب خلودكم في النار¹، فللنون دلالة على نفي إحاطة الكفار بمدة إقامتهم.

● ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾² : جاءت في مقام تأكيد الله خطأ اعتقاد الكفار في إنكار البعث والنشور ووبَّخهم على ذلك، قائلًا بأنَّه خلقهم للتكليف والعبادة، ثم مجازاتهم على ذلك بالعقاب أو بالثواب³، وقد توافقت النون مع هذا، ودلَّت على الانبثاق والخروج من القبور وإعادة الحياة للأموات للحساب.

● ﴿الْكَرِيمِ﴾⁴ : هذه الكلمة صفة للعرش الذي يُدبَّر فيه نظام الكون علويَّه وسفليَّه وجميع ما خلق، ووصف بذلك لشرفه وعلو مكانته⁵، لأنَّ كل بركة ورحمة وخير تنزل منه بإذنه تعالى، فالميم هنا توافقت مع معنى الآية ودلَّت على الاتساع في الرحمة والخيرات والبركات.

¹ ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج19 ، ص 83

² المؤمنون:115.

³ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص294.

⁴ المؤمنون:116.

⁵ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص294.

● ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾¹ : فيه جزم وتأكيد بعدم فلاح الكفار نتيجة عدم

إيمان قلوبهم بوحديته وكفرهم بما أنزل واستهزئهم به وبالمؤمنين²، فالنون دالة على الحركة من الداخل (فسادا معتقداتهم) إلى الخارج (عدم فلاحهم).

● ﴿خَيْرُ الرَّحِمِينَ﴾³ : هذا من صفات الله عز وجل، جاءت في مقام أمر

الرسول (ص) بالاستغفار والاسترحام تعليما لأمتة الدعاء والثناء، ففي الأولى محو للسيئات، وفي الثانية رفع للدرجات⁴، والإنسان لا يدخل الجنة بأعماله فقط، بل برحمته تعالى أيضا، فالملاحظ على النون أنها توازنت مع هذه المعاني ودلت على الحركة من الخارج (رحمة الله) إلى الداخل (على الإنسان من إيمان وهداية وغيرها من النعم).

الفرع الثاني : على مستوى السورة:

تعالج السورة قضيتين هما: الإيمان والكفران، كلاهما مقره القلب والفؤاد والجنان، ويظهران في الجوارح سواء أكانت أقوالا أم أفعالا، وهذا يوحي إلى الدلالة على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح). بالإضافة إلى دلالات أخرى، لاسيما الإظهار، والتبيان، والانبثاق، والخروج، وذلك حينما أظهر الله عز وجل دلائل قدرته في الأنفس والآفاق، وأثبت البعث والنشور والحساب.

لذلك كانت النون هي أحسن تلاؤما وتناسبا للتعبير عن ذلك، وأكثر توازنا مع مضمون السورة وعنوانها، فالإيمان يثمر حسن الأعمال والأقوال والسلوكات الطيبة،

¹ المؤمنون: 117.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19، ص 84

³ المؤمنون: 118.

⁴ ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 117.

وتزكو به نفس الإنسان الذي رزق الهداية، وتجلي ذلك في صفات المؤمنين وفلاحهم، خاصة إذا علمنا أن الإيمان هو استقرار واطمئنان وراحة، وإذعان في الوجدان وباطن الإنسان.

بينما الكفران بعكسه، فهو فساد الفطرة التي فُطر عليها الإنسان، لأن أصله أن يكون خيراً لقوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹، ونتيجة لذلك تغلبت سلبياته وشروره على جوارحه، فكان جحوداً كنوداً، ظهر ذلك في الكافرين وشبهاتهم واعتراضاتهم بالرغم من ظهور قدرة الملك العالم ووحدانيته ورسالاته عبر الأزمان، فحقَّ عليهم القول والعذاب فكان جزاؤهم في الدنيا الهلاك المبين، وفي الآخرة العذاب المهين.

¹ الروم: 30.

المبحث الثاني: في سورة الأحزاب

المطلب الأول: خواتم الفواصل القرآنية

بنظرة فاحصة ودقيقة إلى سورة الأحزاب تبين ما يلي:

- انتهاء كل فاصلة بحرف متحرك ويوقف على حرف مد (الألف اللينة).

- التنوع في الحرف المتحرك للفواصل القرآنية ابتداءً من الأكثر وروداً: الراء بعشرين مرة (20)، الميم بتسع عشرة مرة (19)، اللام بثماني عشرة مرة (18)، النون بأربع مرات (4)، والباء والdal بثلاث مرات (3) لكل واحد، والفاء والقاف والظاء والهاء والزاي مرة واحدة لكل منها.

هنا تتبادر أسئلة عديدة إلى الذهن: لما هذه الحروف بالذات؟ ما الأسرار التي تخفيها؟ ثم ما هي خصائصها الصوتية والدلالية؟ وما هي آراء علماء العرب القدامى والمحدثين فيها؟ وهل كان فيها اختلاف أم اتفاق؟

1- صوت الراء:

يرى ابن سينا أن صوت الراء يحدثُ «إذا كان الحبسُ أبيض وليس قويا ولا واحداً بل يتكرر الحبسُ في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات في الايقاعات، وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان حتى يحدث حبساً بعد حبسٍ غير محسوس¹»، ويجعلها الخليل بن أحمد الفراهيدي من الحروف الذلقية لأنها تخرج من ذلق اللسان أي طرف غار الفم².

¹ ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 82.

² ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، ج (1)، ص 51.

لكن تلميذه سيبويه يحدّد المخرج فيقول: « ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام »¹، وهذا ما ذهب إليه ابن جني²، ويضيف إلى ذلك أنه حرف مجهور مكرّر يكون أصلاً فقط كأن يقع في فاء الكلمة نحو: رُشد، أو في عينها نحو: جُرح، أو في لامها نحو: بدر³.

يتصف هذا الحرف بالانخفاض (مقابل الاستعلاء)، والتوسط بين الشدة والرخاوة، والانفتاح (مقابل الإطباق)، والصحة (مقابل الاعتلال)، كما أنه ينتمي إلى حروف الذلاقة المعتمدة على ذلق اللسان⁴.

جمع علي البيسوسي صفات الرائ في بيت شعري قائلاً فيه:

لِرائ ذَلَقٌ وانحرافٌ كُرِّرَتْ فَتَحٌ وجَهْرٌ واستفالٌ وَسَطَتْ⁵

وعند سليمان فياض هي من الحروف الصامتة والمستقلة والذلاقة، تتميز بالجهر والتكرار، فحينما يُنطق بها تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً متسارعاً⁶.

ويتقارب مع هذا أحمد زرقعة، إذ يرى أنّ الرائ قبلت التكرير لكون طرف اللسان يرتعد أثناء النطق بها⁷، والرأي نفسه عند محمود فهمي حجازي حينما شرح معنى "مكرّر" قائلاً بأنه تكرار اهتزازات اللسان حين التلفظ به⁸.

¹ سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 325.

² ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 60.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 203.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص من 75 إلى 78.

⁵ ينظر: البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، ص 44.

⁶ ينظر: فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، ص 59.

⁷ ينظر: زرقعة أحمد: أسرار الحروف، دار الحصاد، ط (1)، 1993م، ص 95.

⁸ ينظر: حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، ص 59.

أمّا محمود السعران فيُفصّل في طريقة حدوث الراء وتكرارها قائلاً: « يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرّر ... ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء، فالراء العربي صامت مجهور لثوي مكرّر»¹.

إذن صوت الراء عند العلماء العرب القدامى والمحدثين حرف مجهور، صامت ذلقي، ميزته الخاصة هي التكرير. فما هي دلالته؟

يرى محمد المبارك أنّ الراء تدل على التكرار، معطياً مثلاً يوضّح ذلك، وهو (غ ر ق) فهذه المادة تحمل معنىً ناتجاً عن التقاء معاني حروفها الجزئية وتداخلها، فالغين تدل على اختفاء الجسم في الماء، والراء على التكرار والاستقرار في السقوط، والقاف على اصطدام الجسم في عمق الماء.

أمّا حسن عباس فقد بحث في دلالة الراء مستعيناً بمعجم الوسيط²، و وجد كلمات تنتهي بالراء تحمل الدلالات الآتية:

- دلالة التحرك والترجيع والتكرار مثل: أكر أي حرث الأرض وزرعها، بحر الأرض أي شقّها، بطره بمعنى شقّه، التيار أي شدة جريان الماء، ثار بمعنى هاج وانتشر ، خطر بمعنى اهتزّ وتبختر مار الشيء موراً تحركّ وتدافع.

- دلالة على الرقة والنضارة والرخاوة مثل: الثمر، الزهر، اليسر، البشر.

¹ السعران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 171.

² ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة ، القاهرة ، (د.ت) ، باب الهمزة، والباء، والثاء، والخاء والذال، والراء، والزاي، والقاف، والميم، والهاء، والباء.

- دلالة على الأصوات التي فيها تكرار وترجيع متوافقا مع الخصائص الصوتية لحرف
الراء مثل: الخريز للماء ، أرر أريراً بمعنى صوت، زمجر بمعنى ردّد صوته، قرر قريراً
بمعنى صوت، هدر الجمل بمعنى ردّد صوته في حنجرته.

- دلالة على مشاعر الغضب التي فيها انفعال نفسي وجسدي واضطراب مثل: ذئر
بمعنى أنف وغضب، ذمر الأسد بمعنى غضب¹.

فالقاسم المشترك بين هذه الدلالات هو التكرار والترجيع والتحرك سواء كان معنوياً
أو مادياً.

2- صوت اللام:

يرى ابن سينا أن اللام تحدث « بحبس من طرف اللسان رطب غير قوي جداً،
ثم قلع إلى قدام قليلاً، والاعتماد فيها على الجزء المتأخر من اللسان المماس لما فوقه
أكثر من الاعتماد على طرف اللسان، وليس الحفز للهواء بقوي²».

وعند الخليل هي من حروف الذلاقة مثلها مثل الراء والنون³، أمّا كل من سيبويه
وابن جني فقد وصفها بـ "المنحرف" لانحراف اللسان مع الصوت، لأنّ مخرجهما من
أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرف اللسان بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ومما
فوق ذلك⁴. فهو حرف مجهور ومتوسط الشدة والرخاوة ، ومنفتح غير مطبق،
ومنخفض غير مستعل⁵.

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 86 و 87.

² ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 123.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ج (1)، ص 51.

⁴ ينظر: سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 325 . 326.

ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 60 و 77.

⁵ ينظر: المصدر نفسه ، ص 75 و 76.

وقد لخص علي البيسوسي تلك الصفات في بيت شعري :

للام الاستفال مع وسط فتح جهر والانحراف والدلق وضح¹

تكلم أحمد زرقة عن اللام قائلاً بأنها تحدث حينما تعتمد مقدمة اللسان على اللثة، وتسمح للهواء المزفور بالتسرب من أحد جانبي الفم مع حدوث اهتزاز للوترين الصوتيين².

بينما سليمان فياض يعرفها و يبين كيفية حدوثها قائلاً بأن اللام من الحروف الصامتة والمستقلة، فصولها أسناني لثوي ومجهور، تحدث لما يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، مع وجود عقبة في وسط الفم تمنع الهواء من المرور، لكن يُترك منفذ ليتمكن الهواء من النفوذ من جانبي الفم أو من أحدهما³.

ويتقارب مع هذا محمود السعران الذي فصل في طريقة حدوث اللام العربية وذلك بأن « يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان، أو عن حافتيه، يُرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، يتذبذب الوتران الصوتيان. فاللام العربي صامت مجهور سنّي منحرف »⁴.

فاللام إذن عند العلماء العرب القدامى والمحدثين حرف مجهور لثوي، صامت، أسناني، يتميز بصفة الانحراف . فماذا عن دلالاته؟

¹ ينظر: ينظر: البيسوسي علي: القول المؤلف في صفات الحروف، ص 45.

² ينظر: زرقة أحمد: أسرار الحروف، ص 83.

³ ينظر: فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، ص 103.

⁴ السعران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 169 و 170.

لاحظ حسن عباس أنّ صوت اللام يحدث مروراً بمرحلتين: الأولى: يلتصق اللسان بأول سقف الحنك قريباً من اللثة العليا ثمّ ينحبس النفس.

الثانية: ينفك اللسان عن سقف الحنك فينفلت النفس خارج الفم¹.

ونتيجة لذلك يرى أنّ اللام توهي إلى الليونة والمرونة والالتصاق والتماسك، واستعانة بمعجم الوسيط² وجد كلمات تبدأ باللام تحمل الدلالات الآتية:

- الدلالة على التماسك والالتصاق مثل: لبّ بالمكان لبا بمعنى أقام فيه، لبث بالمكان أي: مكث وأقام، لحك الشيء بالشيء بمعنى لأمه به وألزقه، لاحم الشيء بالشيء بمعنى ألزقه به.

- الدلالة على المرونة واللين مثل: لان ، لدن، لطف، لخي البطن بمعنى استرخى.

- الدلالة على أنواع الأطعمة وكيفيتها وأوصاف اللقمة مثل: اللبأ، اللبن، اللعاق (وهو بقية الطعام في الفم)، اللغفة (اللقمة).

- الدلالة على المضغ وكيفية تناول الأطعمة مثل: لأف الطعام بمعنى أكله جيداً، لجلج الشيء بمعنى أداره للمضغ، لهم الشيء ابتلعه³.

أمّا الكلمات التي تنتهي باللام فقد عثر على ست وثلاث مائة كلمة (306) لم تتأثر معانيها بخصائص اللام إلا بنسبة 8%، والسبب في ذلك أنّ اللسان لا يتلاعب بالحرف في نهاية الألفاظ مثلما يفعل في بدايتها، وهذا يسمح للحروف المشاركة معه من التأثير في المعنى⁴.

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 78 و 79.

² ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، باب اللام .

³ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 78 . 79.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 82.

3. صوت الباء والفاء:

يرى ابن سينا أنهما يشتركان في كونهما يحدثان عند مخرج واحد وهو الشفة، غير أن الباء يكون فيها الحبس تاماً قويا « لالتقاء جرمين لينين ثم انقلاعهما، وانحياز الهواء المصوت دفعةً إلى خارج. وأما الفاء فيكون الحبس فيها غير تام بل بأجزاء من الشفة، مضيقّة غير متلاقية ، ومعه إطلاق مستمرّ في الوسط فيفعل حبس أطراف باهتزازه وبمجازه كالصفير الخفي»¹.

وإلى هذا يذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ يعدّهما من الحروف الشفوية لأنّ مخرجهما هو الشفة².

يلتقي كل من سيبويه وابن جني مع رأي ابن سينا إذ هما يريان أن الصوتين يخرجان من الشفة غير أنهما يختلفان في كون الباء يتركّز موضعها ممّا بين الشفتين، بينما الفاء فمن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا³، كما أنهما يختلفان في الصفات ، فالباء من الحروف المجهورة والشديدة والقلقلة، بينما الفاء حرف مهموس ورخو، ويلتقيان في صفة الانفتاح (غير الإطباق) وانتمائهما إلى حروف الذلاقة.

لخص علي البيسوسي تلك الصفات في بيتين شعريين⁴ قائلا:

للباء فَتَحٌ شَدِيدٌ تَسْقُلُ ذَلَاقَةٌ جَهْرٌ كَذَا تَقْلُقُ

وعن الفاء يقول:

للفاء فَتَحٌ اسْتِقَالٌ قَدْ وَسِمَ رَخَوٌ وَذَلَقٌ ثُمَّ هَمْسٌ قَدْ وَسِمَ

¹ ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 125.

² ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ج (1)، ص 51.

³ ينظر: - سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 325 -/ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 61.

⁴ البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، ص 44 و 45.

لم يخرج أحمد زرقه عن تلك الصفات وأبقاها كما هي إلا أنه جعل الصوتين في مجموعة سمّاها المجموعة الفمية، لأنّ لهما مخرج واحد وهو الفم، إلا أنّهما يختلفان في كيفية الحدوث فالباء تحدث لمّا تتلامس الشفة العليا مع السفلى، فيقفّ الهواء الذي يصدر من الرئتين وقوفاً كاملاً، بعدها ينفجران ويندفع الهواء من الفم دفعة واحدة مع اهتزاز الوترين الصوتيين، بينما الفاء فتحدث عند تلامس الشفة السفلى مع الأسنان العليا ممّا يسمح للهواء من المرور مع سكون الوترين الصوتيين¹.

لقد حدّد محمود فهمي حجازي سمات مميزة² للأصوات الشفوية (ما يهمنها هو الباء والفاء) على أساس التقابل الفونولوجي معتمداً في ذلك على أمثلة هي: برّق وفرّق، ربيع ورفيع، عاب وعاف، وخرج بنتائج لا تختلف كثيراً عما قاله سيبيويه وابن جني وهي:

– الباء صوت شفوي بينما الفاء فهي صوت شفوي وأسنان.

– الباء صوت مجهور بعكس الفاء فهي مهموسة.

– الشدة في الباء والرخاوة في الفاء ليسا حاسمين فيهما من الناحية الفونولوجية³.

أمّا محمود السعران فقد كان تفصيله لطريقة نطق الصوتين أقرب إلى الدقّة، كما

أنّه أضاف إلى الفاء صفة الاحتكاك وإلى الباء صفة الانفجار، فالفاء عنده تحدث «بأنّ

تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يُسمح للهواء أن يشقّ طريقه بينهما

وخلال الثنايا، يرفع الحنك اللين، فلا يمرّ الهواء خلال الأنف، لا يتذبذب الوتران

¹ ينظر: زرقه أحمد: أسرار الحروف، ص 84 و 85.

² ينظر: حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، ص 59 و 60.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 60.

الصوتيان، فالفاء صامت مهموس شفوي سني احتكاكي»¹.

بينما الباء فتحدث «بأن يوقف الهواء وقفا تاماً، وذلك بأن تنطبق الشفتان انطباقاً كاملاً، ويرفع الحنك اللين فلا يسمح بمرور الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء مدة من الزمن، وعندما تتفرج الشفتان يندفع الهواء فجأة من الفم محدثاً صوتاً انفجارياً، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق، وهكذا يوصف الباء بإيجار بأنه: صامت مجهور شفوي (شفتاني) انفجاري»².

فالباء والفاء عند علماء العرب القدامى والمحدثين يلتقيان في أنّ كلّ منهما صوت صامت شفوي وذلقي، ويختلفان في كون أنّ الباء من الحروف المجهورة والشديدة والقلقلة والانفجارية، بينما الفاء فهي من الحروف المهموسة والرخوة والاحتكاكية. فما دلالتهما؟

استعان حسن عباس بالمعجم الوسيط³، للبحث في دلالة الحرفين، و وجد كلمات تبدأ بالباء تتشارك في المعاني الآتية:

- الدلالة على الاتساع والامتلاء مادياً ومعنوياً، وهذا يتوافق مع انفتاح الفم على مداه
مثل: البأج بمعنى غلام سمين، بسق أي تمّ ارتفاعه، بطنّ البدن أي امتلأ ونضر،
بسط الشيء بمعنى نشره.

¹ ينظر: السعمران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 173.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 154.

³ ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، باب الياء والفاء.

- الدلالة على الظهور والانبثاق والانفراج توافقا مع خروج الباء من بين الشفتين بعد انطباق وانفراج مثل: برز بمعنى ظهر، بجس الماء أي انفجر، بزغ النجم أي ظهر، بسم أي انفجرت شفتاه عن ثناياه، بلج الصبح أي أسفر.
- الدلالة على الحفر والشقّ والبعج والقطع والشدة توافقا مع صوته الانفجاري مثل: بأر أي حفر حفرة، بثّ الشيء وبتره بمعنى قطعه، بعج البطن وبقره بمعنى شقّها.
- الدلالة على البعثرة والتبديد محاكاة لبعثرة النفس بعد خروج صوته مثل: بثّ الشيء بمعنى فرّقه، بذر الحبّ بمعنى ألقاه في الأرض للزراعة¹.
- أمّا عن الفاء فقد وجد كلمات تبدأ بالفاء تتأثر معانيها بخصائصها الصوتية، بينما يقل تأثيرها بتلك الخصائص بنسبة 30% إذا انتهت بالفاء²، ويعود ذلك إلى تأثير الحروف المشاركة معها في عملية التركيب، وهذه المعاني تتمثل في:
- الدلالة على الشقّ والفصل والحفر توافقا مع ضرب الأسنان العليا على الشفة السفلى بشيء من الشدة مثل: فأس الخشبة أي شقّها، فتق الشيء بمعنى شقه، فرّق، فصل بين الشيئين أي فرّق، فرص الثوب بمعنى شقه طولا، غرف الشيء بمعنى قطعه.
- الدلالة على الانفراج والتباعد والاتساع محاكاة مع انفراج الفمّ عند خروج الصوت مثل: فجّ بمعنى باعد بين رجليه، فجوة وهو المتسع بين الشفتين، تفضّج الشيء أي توسّع، فقّ الشيء بمعنى انفرج، الكهف، الجوف.

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 99 و 100 و 101.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

- الدلالة على البعثرة والتشتت والانتشار برقة ولطافة محاكاة مع بعثرة النفس عند خروج الصوت مثل: فرش النبات بمعنى البسط، فاح فوحاً بمعنى انتشرت رائحته، فاج فيجاً بمعنى انتشر.

- الدلالة على الأصوات توافقاً مع ظاهرتي الانفراج والانغلاق مثل: فرقع بمعنى سُمع له صوت أو دوي، فققق الماء أي صَوَّت.

- الدلالة على الضعف والرقّة والوهن مثل: فتر معنى لان بعد شدّة ، فشفش بمعنى ضعف رأيه، فهفه الرجل بمعنى عَيَّ وكلّ لسانه، ألفه بمعنى أنس به، رَهَفَ بمعنى رقّ ولطّف.

- الدلالة على المشاعر الإنسانية مثل: فرح . فرع¹.

4 - صوت الدال والقاف:

هذان الحرفان حسب ابن سينا يلتقيان في وجود حبس تام قبل خروج الصوت، ثم إخراج للهواء دفعة واحدة، ويختلفان في المخرج إذ أنّ القاف تحدث حيث تحدث الخاء، والدال تخرج من المقدم من السطح الممتد على الحنك².

بينما الخليل فيرى أنّ الدال نطعية لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى وهي تشارك الطاء والتاء، والقاف لهوية لأنّ مبدأها من اللهة مشاركة الكاف في ذلك³.

لكن سيبويه وابن جني يُخصّصان تلك المواضع ويتقاربان مع ابن سينا، إذ يريان أنّ القاف مخرجها من أقصى اللسان وما فوق الحنك الأعلى، والدال تخرج من بين

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 131 و 132.

² ينظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 117، و 121.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ص 58.

طرف اللسان وأصول الشنايا¹.

يلتقي هذان الحرفان في صفة الجهر والشدة والانفتاح (مقابل الإطباق) والقلقلة،
ويختلفان في كون أن القاف من الحروف المستعلية، و الدال من الحروف المنخفضة
المستقلة².

جمع تلك الصفات علي البيسوسي في بيتين شعريين:

الأول عن الدال:

للدال إصماتٌ وجهرٌ وقلقلةٌ وشدةٌ فتحٌ وسفلٌ فاعقله³

والثاني عن القاف:

للقاف إصماتٌ وجهرٌ قلقلهٌ وشدةٌ فتحٌ وعلوٌ فاعقله⁴

جعل أحمد زرقه القاف ضمن المجموعة الحلقية، تحدث لما تلتقي مؤخرة اللسان
مع اللهاة، ويتم التلاصق التام بينهما، هناك ينحبس الهواء ليطبق سراحه مع سكون
الوترين الصوتين، بينما الدال فقد صنفها داخل المجموعة اللثوية، تحدث عند التصاق
مقدمة اللسان باللثة بحيث يرتكز اللسان على الأسنان، بعدها يتسرب الهواء إلى خارج
الفم مع اهتزاز الوترين الصوتين، ثم يتم هبوطهما⁵.

¹ ينظر: - سيبويه: الكتاب ج (4)، ص 324 . 325.

- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج(1)، ص 60.

² ينظر: - سيبويه: الكتاب، ص 6 327 .

- ابن جني: سر صناعة الإعراب، 75 . 76 . 77.

³ البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، ص 44 ..

⁴ المرجع نفسه ، ص45.

⁵ ينظر: زرقه أحمد: أسرار الحروف، ص 81 . 82 . 83.

وضع محمود فهمي حجازي سمات مميّزة للدال وللقاف على أساس التقابل الفونولوجي، الأولى ضمن المجموعة الأسنانية والثانية ضمن المجموعة التي مخرجها أقصى الحنك واللهاة وسمى تلك الأصوات بالوحدات الصوتية، وخرج بالنتائج الآتية:

- الدال صوت أسناني مجهور وغير مطبق، يتميز بالشدة تبعا للمخرج .

- القاف صوت لهوي ومجهور، يُنطق عند المتخصصين في العربية والمذيعين كصوت مهموس¹.

أمّا محمود السعران، فقد صنّف الدال والقاف ضمن الأصوات الانفجارية، فالدال « يتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها الباء إلا أنّ الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق، فالدال صوت صامت مجهور سني انفجاري»².

بينما القاف تحدث « بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، ولا يُسمح للهواء بالمرور خلف الأنف، وذلك برفع الحنك اللين، يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يُطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت، فالقاف صوت صامت مهموس لهوي انفجاري»³.

فالملاحظ هنا أنّ محمود فهمي حجازي ومحمود السعران يلتقيان في جعل القاف من الأصوات المهموسة، على عكس سابقهم مثل سيبويه وابن جني إذ جعلها صوتا مجهورا.

¹ ينظر: حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، ص 64 و 65 و 73 .

² السعران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 155.

³ المرجع نفسه، ص 156.

عند علماء العرب القدامى الدال صوت صامت مجهور سني، ينتمي إلى حروف القلقة والشديدة، وقد أضاف علماء العرب المحدثين على ذلك صفة الانفجارية، بينما القاف فهي حرف صامت لهوي مجهور، يُعدُّ ضمن الحروف الشديدة والقلقة عند علماء العرب القدامى ، لكن المحدثين خالفوا صفة الجهر فيها، وجعلوها من الأصوات المهموسة والانفجارية.

فما دلالتهما؟

بحث حسن عباس في معجم الوسيط ووجد كلمات تبدأ بحرف الدال تشترك في المعاني الآتية :

- الدلالة على الشدة والفعالية المادتين وعلى الدعس والتحطيم مثل: دَبَّ فلان بالعصا أي: ضربه، لحمه أي: دفعه بشدة، درمك الشيء أي: دَقَّه وطحنه، دَمَّرَ الشيء أي: أباده ، داسه أي: وطئه بشدة.

- الدلالة على الدحرجة والتحريك السريع مثل: دَجَّ أي دبَّ وأسرع، دهرج أي أسرع في مشيته، دلق أي خرج مسرعاً.

- الدلالة على الظلام واللوان السواد مثل: دحدح الليل بمعنى أظلم، الدجى أي سواد الليل، دَحَّ بمعنى اسودَّ لونه كمداً ، دعلج الليل أي أظلم.

- الدلالة على المشي البطيء مثل: دأل أي : مشى مشية المتقل، دبَّ أي: مشى رويداً، درمج في مشيه أي: دبَّ دبيباً¹.

أمّا عن القاف فقد اشتركت الكلمات التي تبدأ بها في المعاني الآتية:

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 66 . 67.

- الدلالة على الأصوات مثل: قرع أي: ضرب بصوت، قرّ قريرا أي: صوّت، قصف الرعد بمعنى اشتدّ صوته، قضّ قضيا أي: سُمع له صوت.

- الدلالة على القوة والشدة والفعالية مثل: قاض الحرّ بمعنى اشتدّ، قاوم، قاد قهره.

- الدلالة على القطع والكسر والقشر مثل: قرضه، قطه أي: قطعه عرضا، قدّه أي: قطعه طولا، قصم الشيء أي: كسره.

- الدلالة على الجفاف مثل: قحط، قح، قتن المسك أي: يبس¹.

5- صوت الظاء والهاء:

يرى ابن سينا أنّ الهاء تحدث نتيجة حفز قوي، غير أنّ الحبس لا يكون تاماً، بل تقوم به حافات المخرج ويكون الطريق مفتوحاً لمرور الهواء، بينما الظاء فمخرجها من المقدم من السطح الممتد من الحنك، مع وجود حبس خفيف ليمرّ الهواء بعدها مرّاً سلساً مع صفير خفي².

جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي الهاء من الحروف الحلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والطاء من الحروف اللثوية لأنّ مخرجها من اللثة³.

يتقارب مع هذا سيبويه وابن جني، إذ يريان أنّ الهاء مخرجها من أقصى الحلق، بينما الظاء فتخرج من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا⁴، تشترك الهاء مع الظاء في أنّ كلّ منهما حرف صامت ورخو، ويختلفان في كون أنّ الهاء تتصف بالهمس

¹ ينظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 114 . 122 . 123.

² ينظر: المصدر نفسه ، ص114.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ص 58.

⁴ ينظر: - سيبويه: الكتاب، ص 324 . 325.

- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 60 . 61.

والانفتاح والانخفاض (غير الاستعلاء)، بينما الظاء تتميز بالإطباق والاستعلاء والجهر¹.

جمع علي البيسوسي تلك الصفات في بيتين شعريين الأول عن الظاء يقول فيه:

لِلظاء صمت مع إطباق عُرِفَ عَلُوٌّ وَجَهْرٌ ثُمَّ رَخُوٌّ قَدْ وُصِفَ²

والثاني للهاء قائلاً فيه:

لِلهاء الاستفال مع فَتْحٍ كَذَا هَمْسٌ وَرَخُوٌّ ثُمَّ إِصْمَاتٌ خُذَا³

وقد تكلم سليمان فياض عنهما قائلاً بأنّ الظاء من حروف التفخيم والاستعلاء، فهو صوت مجهور أسناني احتكاكي⁴، يحدث « بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، ولكن مع رفع مؤخر اللسان إلى أقصى الحنك ، ورجوعه إلى الخلف قليلاً، فيحدث الإطباق أو التفخيم بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق، فيحدث الاحتكاك مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، ومع تذبذب الأوتار الصوتية فيحدث الجهر»⁵.

أمّا الهاء فهي من الحروف المصمتة والمستقلة، وهو صوت مهموس حنجري و احتكاكي⁶، ينطق « باتخاذ الفم الوضع الصالح للنطق كالفتحة مثلاً، ويمرّ الهواء

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 75، 76، 77، 78.

² ينظر: البيسوسي علي: القول المؤلف في صفات الحروف، ص 44 .

³ المرجع نفسه ، ص45.

⁴ ينظر: فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، ص 84.

⁵ المرجع نفسه.

⁶ ينظر : المرجع نفسه ، ص 114.

خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الصوتين بالحنجرة، محدثاً صوتاً احتكاكياً، يرفع الحنك اللين»¹.

يتوافق مع هذا محمود السعران، إذ يرى أنَّ الهاء العربي صوت صامت و حنجري ومهموس واحتكاكي، بينما الظاء فهو صامت و مطبق ومجهور واحتكاكي².
فالملاحظ على آراء علماء العرب القدامى والمحدثين أنَّها متقاربة صفة ومخرجاً،
إلا أنَّ المحدثين أضافوا صفة الاحتكاكية للطاء والهاء.

فماذا عن دلالتهما؟

بحث حسن عباس في معجم الوسيط³ ووجد أنَّ الكلمات التي تبدأ بالطاء تشترك في المعاني الآتية:

- الدلالة على الرقة والأناقة والنضارة مثل: الطبي، الطريف، ظأرت المرأة على ولدها
أي: عطف عليه.

- الدلالة على القساوة المادية مثل: الظفر للإنسان، الطبة أي حدّ السيف.

- الدلالة على الشدة والظهور مثل: الظلم، ظهَر، الظمأ أي شدة العطش، غطَّ أي:
اشتدّ.

أمّا عن الهاء فالكلمات المبدوءة بها والمنتھية بها تشترك في المعاني الآتية:

- الدلالة على الرقة مادياً ومعنوياً مثل: نقه بمعنى برئ ولا يزال ضعيف الجسم، بره أي
: ثاب جسمه بعد علة.

¹ فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية ، ص114 .

² ينظر: السعران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 174 و 178.

³ ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، باب الظاء والهاء.

- الدلالة على الشدة دون سحق أو قطع أو كسر مُحَاكِياً شدة الصوت مثل: بدهه أي فاجأه، زَمِهَ الحرُّ أي: اشتدَّ، وَمِهَ النهارُ أي اشتدَّ حرُّه.

- الدلالة على الأصوات مثل: فاه بالقول أي نطق به، قهقهه أي ضحك فسمع له صوت، صهصه بالقوم أي: زجرهم ، قه بمعنى ضحك.

- الدلالة على المشاعر الإنسانية من حزن وألم وحيرة مثل: أَلِهَ أَلْهًا أي: تحيَّر، كره، وَلِهَ بمعنى حزن حتى ذهب عقله، وَهَوَّهَ أي حزن، العمه بمعنى الحيرة والتردد. أو التكبر والفرح مثل: تاه تيتها أي تكبَّر، فَرِهَ أي: بَطَرَ ونَشِطَ وفرح.

- الدلالة على الاضطرابات والعيوب النفسية والجسمانية والعقلية مثل: أَمَهَ أي: ذهب عقله، تَرِهَ أي: وقع في الأباطيل، تَاهَ تَوْهًا أي: ضَلَّ الطريق، شَاهَ شَوْهًا أي قُبِحَ¹.

6 - صوت الزاي:

يرى ابن سينا أنَّ الزاي من حروف الصفير ف « الجزء الحابس فيها من اللسان يكون ممَّا يلي وسطه، ويكون طرف اللسان غير ساكن سكونه الذي كان في السين، بل يمكَّن من الاهتزاز، فإذا انفلتَ الهواءُ الصافرُ عن المَحْبَسِ اهتَزَّ له طرف اللسان، واهتزت رطوبات تكون عليه وعنده نقص من الصفير»².

جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي ذلك الحرف من الحروف الأسلية لأنَّ مخرجه من أسلة اللسان وهي مستدقه، فوضعه ضمن حَيِّز واحد مع السين والصاد³.

أمَّا سيبويه وابن جني فيريان أنَّ مخرج الزاي ممَّا بين الثنايا وطرف اللسان، تتميز

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية وصفاتها، ص 121 إلى 123.

² ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 78.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ج (1)، ص 58.

بالجهر والرخاوة والانفتاح والانخفاض والإشراب¹.

جمع تلك الصفات علي البيسوسي في بيت شعري قائلًا فيه:

للزاي جهرٌ مع صفيرٍ مُستَقَلٍّ صَمْتُ ورِخُوٍّ ثم فَتَحٌ قَدْ نُقِلَ²

أما أحمد زرقة فقد صنّفها ضمن المجموعة اللثوية، تحدث « عندما تقترب مقدمة اللسان من اللثة تاركًا ممرًا ضيقًا يسمح للهواء بالتسرّب، مع ارتكاز رأس اللسان على الأسنان السفلى، واهتزاز الحبلين الصوتيين»³، تُعدُّ من حروف الإصمات والصفير إلى جانب الصفات المذكورة عند سيبويه وابن جني⁴.

بينما محمود السعران فقد جعلها ضمن الصوامت الاحتكاكية (المقابلة للصوامت الانفجارية)، وهي أصوات متمادة يضيق فيها « مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكًا مسموعًا»⁵، فالزاي نظيرة السين، فهي حرف مجهور و صامت و لثوي واحتكاكي⁶.

إذن فما دلالة هذا الصوت؟

بحث حسن عباس في دلالاته مستعينًا بمعجم الوسيط⁷ فوجد أنّ الكلمات المنتهية به يغلب عليها المعاني الآتية:

¹ ينظر: . سيبويه: الكتاب ، ص 325 و 326.

. ابن جني: سر صناعة الإعراب ج(1) ، ص 60 و 75 و 76 و 77.

² ينظر: البيسوسي علي: القول المألوف في صفات الحروف، ص 44.

³ زرقة أحمد: أسرار الحروف، ص 84.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص من 90 إلى 95.

⁵ السعران محمود: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ، ص 172.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 175.

⁷ ينظر: مرجع اللغة العربية : معجم الوسيط، باب الهمزة، الباء، العين، الغين، اللام، الهاء.

- الدلالة على الشدة والضعف والقوة والفعالية نحو: بَرَّهُ أي: غلبه، جَهَزَ على الجريح أي: أسرع في قتله، عَرَّ أي: قوي وبرئ من الذلّ، لَكَزَه أي: ضربه بمجمع كفه.
- الدلالة على القشر والقطع والنفاد نحو: جَزَرَ الشيءَ أي: قطعه واستأصله، جَرَّ الصوفَ أي: قطعه، غَرَزَ وَغَرَّ وَلَهَزَ فلانا بالرمح أي: طعنه في صدره.
- الدلالة على الاضطراب والاهتزاز والتحرك نحو: أَرَّ أي: تحرك واضطرب، زَأَزَأَ الشيءَ أي: حرّكه وزعزعه ، هَزَّ الشيءَ بمعنى: حرّكه بقوة¹.

7- الألف الممدودة:

سمّاها ابن سينا بالألف المصوتة وهي أخت للفتحة ، لأنّ مخرجهما يكون مع إطلاق الهواء سلساً دون مزاحمة أو عائق²، بينما الخليل بن أحمد الفراهيدي جعل لها مخرجاً وهو الجوف، فليست هي من مدارج اللسان، ولا الحلق، ولا اللهاة، وإنّما هي هاوية في الهواء³.

أمّا سيبويه وابن جني فيريان أنّ مخرجهما هو أقصى الحلق إلى جانب الهمزة والهاء، فهي حرف لئّن هاوي لاتساع هواء الصوت، يتميز هذا الحرف بالتوسط بين الشدة والرخاوة⁴، أضف إلى ذلك فهو من حروف المدّ واللين، والحركات هي أبعاض

¹ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 138.

² ينظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 84.

³ ينظر: ابن أحمد الفراهيدي الخليل: معجم العين، ج (1)، ص 57.

⁴ ينظر: - سيبويه: الكتاب، ج (4)، ص 324 و 326.

- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج (1)، ص 60 و 75.

لها، فالفتحة هي بعضُ الألف¹، وقد شرح ذلك محمد المبارك، قائلاً بأنها من حروف المدّ الطويلة، بينما الحركات تسمى الحروف المد القصيرة، والفتحة هي أخت الألف².

جعل أحمد زرقة الألف ضمن المجموعة الجوفية مع الواو والياء، لأنها "تحدث عندما يندفع الهواء من الرئتين في القصبة الهوائية دون حصول عائق في طريقه حتى خروجه من الفم، يرافقه اهتزاز في الحبلين الصوتيين. وعند نطق الألف يرتفع ظهر اللسان ، ويكون الفم مفتوحاً إلى أقصى درجة نطقية."³.

يتقارب مع هذا غازي مختار طليعات قائلاً بأنّ الألف من الأصوات الجوفية، ويقصد بالجوف فراغ الحلق والفم⁴.

إنّ الألف هي من حروف المدّ واللين، مخرجها الجوف ، تنطق مع إطلاق الهواء دون حاجز لذلك تسمى هوائية، وهذا ما توافق عليه علماء العرب القدامى والمحدثين.

ماذا عن وظيفتها ودلالاتها؟

أشار علماء العرب القدامى والمحدثين إلى قيمة حروف المدّ واللين، فقد تكلم سيبويه عن ذلك قائلاً بأنّ العرب إذا أرادوا التزمّ ومدّ الصوت فإنّهم يلحقون الألف والياء والواو⁵.

¹ ينظر: المصدر السابق، ص 33.

² ينظر: المبارك محمد: فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية - ، ص 154.

³ ينظر: زرقة أحمد: أسرار الحروف، ص 81.

⁴ ينظر: طليعات غازي مختار: في علم اللغة، ص 139.

⁵ ينظر: سيبويه: الكتاب، ص 151 . 153.

أمّا الزركشي فيرى أنّ هذه الحروف لها من التطريب مالها¹، وهذا مصطفى صادق الرافعي عند حديثه عن أواخر الفواصل القرآنية قال بأنّ حرف المد هو طبيعي، له بُعدٌ موسيقي في النظم القرآني².

تحدّث حسن عباس عن دلالة الألف اللينة مشيراً إلى أنّ تأثيرها مقصور في إضفاء خاصية الامتداد في الزمان أو المكان³.

يتقارب مع هذا أحمد أبو زيد الذي يرى أنّ لحروف المدّ قيمة في الفواصل القرآنية، فهي تؤدّي وظيفتين الأولى: إيقاعية تتمثل في السماح للصوت بالامتداد والارتفاع وفق مقدار مناسب في نهاية كلّ آية.

والثانية: دلالية تمثّلت في المساهمة في رسم المشاهد وتصويرها⁴.

المطلب الثاني: وظيفة الحرف الأخير للفاصلة القرآنية

السورة التي بصدد دراستها تنتهي فواصلها بحرف متحرك صامت ثمّ يوقف على حرف مدّ صائت (الألف اللينة) يتميز هذا الحرف المتحرك بالتنوع، من راء، وميم، ولام، ونون، وباء، ودال، وفاء، وقاف، وطاء، وهاء، وهذا لم يكن عبثاً، وإنّما لحكم وأسرار بيانية، فما سببه؟ وإلى أي مدى تتطابق دلالة هذه الأحرف مع معاني الآيات ومحتوى السورة؟ ولماذا تُوقف الفواصل على حرف المدّ؟ ما العلاقة التي تجمعها؟ ثمّ ماهي مظاهر التوازن الصوتي في السورة؟

¹ ينظر: الزركشي: البرهان في علم القرآن، ص 62.

² ينظر: الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 150.

³ ينظر: عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 95.

⁴ ينظر: أبو زيد أحمد: التناسب البياني في القرآن، ص 355.

بعد الإمعان في السورة تبين أن التنوع في الحرف المتحرك راجع إلى الاختلاف في المواضيع، لأنَّ السورة تعالج أكثر من موضوع، كلُّ وسياقه وحاله وجوُّه الخاص، فانعكس ذلك في الفواصل القرآنية، وحتى يكون هناك ترابط بينها، أوقفت كلَّ آية على حرف المدِّ (الألف اللينة) الذي كان امتداده طبيعياً بمقدار مناسب، لينتج عن ذلك إيقاع موسيقي موحَّد تطرب له الآذان، ومساهمة في تصوير المشاهد داخل كلَّ آية جنباً إلى جنب الأحرف المتحركة التي جاءت متوازنة مع محتوى السورة ومقاصد الآيات، فكان بينها التناسب والتداخل والتطابق.

نشأ عن كلِّ ذلك لُحمة يصعبُ شقها، فإن حدث أيُّ تغيير في تلك الحروف أو غيّر مكان الفواصل القرآنية وقع اضطرابٌ وخللٌ، وهذا دلالة على وجود توازن صوتي بين تلك الأحرف الأخيرة ومدّها من جهة ومحتوى السورة وآياتها من جهة أخرى، والآتي هو بيان لذلك.

الفرع الأول :على مستوى الآيات:

- ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾¹: هما من صفات الله عزَّ وجلَّ، يتميزان بالاتساع والشمول لكلِّ ما خلقه، فقد أحاط بكلِّ أعمال عباده وما تضمّره نفوسهم، فكيف لا وهو العليم بذات الصدور، وشملت حكمته تدبير شؤون خلقه منهم أمرٌ وأمر أصحابك وأعدائك، لذلك فهو الأحقُّ أن تُتَّبَعَ أوامره وتُطَاع، ودعُ ما يقوله لك كفار مكّة ومنافقو المدينة ويهودها².

¹ الأحزاب: 01.

² ينظر: . . الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20، ص 202

.المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج(21)، ص124.

. الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، مج(2)، ص469.

أضف إلى ذلك فعلم الله تعالى وحكمته ممتدان إلى يوم الدين، وليس لهما حدود
زمانية أو مكانية، لذلك توازنت هذه المعاني مع دلالة الميم والألف، الأولى دالة
على الاتساع، والثانية على الامتداد.

● ﴿حَبِيرًا﴾¹ : الآية التي جاءت فيها تأكيد للآية السابقة عن طريق تكرار

المعنى، لكن بألفاظ مغايرة (اتبع . يوحى)، وبفاصلة جديدة (خبيرا)، إذ فيها أمر
بالتزام أوامر الله تعالى، واتباع الوحي المنزل، فإضافة إلى علمه سبحانه
وحكمته يعلم بدقائق بواطن الأشياء وظواهرها، فلا تخفى عليه خافية²، لذلك
علمه واسع باتساع عظمته وجلاله، وممتد إلى يوم الدين، لا تحدّه حدود، فالراء
هنا فيها دلالة على التكرار المؤثر في معنى الآية، والألف تدلّ على الامتداد.

● ﴿وَكَيْلًا﴾³ : اسم من أسماء الله الحسنى، يقصد به الحافظ الذي يوكل إليه

العبد جميع شؤونه، ولا يلتفت في أيّ منها إلى غيره⁴، فيه دلالة الالتصاق
والتماسك بين العبد وربّه، وهذا ما احتوته الآية، إذ أمرت النبي (ص) بتفويض
أموره إلى الله عزّ وجلّ ، فالنفع والضرر لا يكون إلّا منه، كما أنّ ألف المدّ
جاءت في موقعها المناسب، إذ أنّ تفويض كلّ الأمور إليه سبحانه ممتدّ إلى
يوم الدين.

¹ الأحزاب:02.

² ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص124.

³ الأحزاب:03.

⁴ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص469.

● ﴿السَّيِّلَ﴾¹ : أي: الطريق المستقيم المتَّصل بناموس الفطرة، دلَّت اللام على التماسك والالتصاق ، فالله تعالى أَكَّد على السبيل الأول، وأبطل الطريق الذي صنعه البشر بأفواههم، وهذا إشارة إلى المزاعم الجاهلية العمياء وهي: ادعاء قلبين في الرجل، وعادة الظهار وعادة التبني، فكما لا يجتمع الكفر والإيمان في قلب، كذلك لا تجتمع الزوجية والأمومة في امرأة، ولا البنوة الحقيقية مع التبني في إنسان²، فهذا نفي للتلاصق في كلٍّ منهما، وبذلك توازنت دلالة اللام مع هذه المعاني.

● ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾³ : الآية التي وردت فيها تأكيد للآية السابقة، إذ أبطلت عادة التبني، ودعت إلى مناداة الأبناء بأسماء آبائهم، وإن لم يُعرف لهم آباء يُجعلوا إخوانا في الدين أو موالى⁴، فالله واسع المغفرة بالمخطئ عظيم الرحمة بالتائب، كما أنَّ غفرانه ورحمته ممتدان إلى يوم الدين، وبذلك توافقت دلالة الميم وألف المد مع هذه المعاني.

● ﴿مَسْطُورًا﴾⁵ : أي مقَدَّر في الأزل لا يُغَيَّر ولا يُبَدَّل، فالآية التي وردت فيها جاءت بأمور تصحَّح ما كان يفعلُه المؤمنون آنذاك، كالتوريث بالتأخي، وأقرَّت أمورًا متوافقة مع الفطرة، كالولاية للرسول (ص) على جميع المؤمنين، والعلاقة

¹ الأحزاب: 04.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20 ، ص 205 و 206

³ الأحزاب: 05.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص 131.

⁵ الأحزاب: 06.

الشعورية بين زوجاته والمؤمنين، وأحقية الميراث لأولي الأرحام بحق القرابة¹، وكلّ ذلك يُطبّق قولاً وفعلاً وهذا فيه معنى الحركة على مستوى الجوارح ، وبذلك توازنت هذه المعاني مع دلالة الرأى على الحركة، وألف المدّ على الامتداد الزمنى لما سطرّ إلى يوم الدين.

● ﴿غَلِيظًا﴾² : أي وثيقاً على الوفاء بالعهد وتبليغ الرسالة، وأنّ ينصر بعضهم بعضاً وأنّ يصدق بعضهم بعضاً، وهو مأخوذ من أولي العزم من الرسل وأصحاب الشرائع والكتب، فبدأ بمحمد (ص) رغم أنّه أخرهم تشريفاً له وتعظيماً لمكانته ، ثم بنوح وإبراهيم وموسى وعسى عليهم السلام³، فالطاء هنا توحى بالشدة والقوّة، وهذا ما يلمس من كلمة (غليظاً)، خاصة إذا علمنا أنّ حمل الرسالة فيه نوع من الصعوبة والثقل، لذلك اختير أولوا العزم من الأنبياء، كما أنّ ألف المدّ توحى بامتداد زمانى فى الدعوة من نوح عليه السلام إلى محمد (ص) صاحب الرسالة العالمية إلى يوم الدين.

● ﴿أَلِيمًا﴾⁴ : أي: مؤلماً موجعاً، ويقصد به نار جهنم ، ففي يوم القيامة يسأل الله الأنبياء عمّن صدّقهم بما جاؤوا به فيكافئهم بالجنة ، وعمّن كفر فيدخله نار جهنم⁵، فالميم هنا توحى بالحرارة والشدة توافقاً مع كلمة (أليماً)، لاسيّما وأنّها

¹ ينظر : المراغى أحمد مصطفى: تفسير المراغى ، ص132 .

² الأحزاب:07.

³ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، مج(2) ، ص471.

⁴ الأحزاب:08.

⁵ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص472.

صفة للعذاب المخصّص للكافرين، يتّسم بالامتداد الزمني خاصّة وأنّهم سيخلدون في النار، وقد ساهم في ذلك دلالة ألف المدّ.

● ﴿بَصِيرًا﴾¹ : اسم من أسماء الله الحسنى، جاء في موقع تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم على أعدائهم في غزوة الأحزاب، فجاءت الآية تلخيصاً لبدء المعركة وختامها والعناصر الحاسمة فيها، فالله عزّ وجلّ عليم بجميع الأعمال ومطلع عليها في تلك الحادثة لإعلاء كلمته ونصر رسوله²، ففي الآية معنى التحرك عملاً بالأسباب في تلك المعركة من طرف المؤمنين، وقد توافّق ذلك مع دلالة الرأى، أضف إلى ذلك أنّ علم الله وإطلاعه على أعمال عباده ممتدّ إلى يوم الدين.

● ﴿الظُّنُونُ﴾³ : الآية التي جاءت فيها بدأت في تفصيل غزوة الأحزاب، فقد حاصرت فريش وأحزابها المدنية ، لمّا رأى الناس ذلك زاغت أبصارهم عن مستوى نظرها حيرةً ودهشةً، واشتدّ خوفهم وعظمُ فرعهم، هناك اختلفت تصوراتهم، فالمؤمنون ظنوا خيراً بالله في نصرته نبيّه وإعلاء دينه، بينما المنافقون ظنوا شراً اعتقاداً منهم أنّ محمداً وأصحابه سيُهزمون ويستأصلون⁴، وقد كان للنون تأثير في ذلك، إذ دلّت على الظهور والاضطراب في المشاعر والحوالج، وزهّابها كلّ مذهب، وعلى الحركة من الخارج (هول المنظر) إلى

¹ الأحزاب:09 .

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20 ، ص 217

³ الأحزاب:10.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص140.

الداخل (اضطراب في التصور) ، كما كان لألف المد دور في تصوير ذلك الاضطراب المعنوي.

● ﴿شَدِيدًا﴾¹ : الآية التي جاءت فيها تكشف أنَّ هذه الواقعة هي أكبر امتحان مرَّ به المؤمنون في ذلك الوقت، لأنَّ فيها ابتلاء بكثرة العدو وبالحصار المطوَّف عليهم وبالخوف والقتال والنزال² ، حينها بان المخلص الصادق من المنافق، وقد دلَّت الدال على الشدَّة والقوَّة، كما أنَّ ألف المد كان لها مساهمة في تصوير حالة الاضطراب والخوف لعظم الواقعة.

● ﴿غُرُورًا﴾³ : الآية التي وقعت فيها تأكيد للآية عشرة (10) وتفصيل لها بعد إجمال وكشف لبواطن المنافقين واليهود السيئة، فشدة الواقعة⁴ وهول المنظر كشفوا المستور القلبي بعد ما كان مخفيا في شكل أقوال، وفي هذا يلمس معنى التحرك على مستوى الجوارح وهذا متطابق مع دلالة الراء، كما أنَّ لألف المد مساهمة في تصوير ذلك المشهد.

● ﴿فِرَارًا﴾⁵ : أي هروبا من القتال ومن معسكر الرسول (ص) وعدم مساعدة المؤمنين⁶، فهذا تصوير لحقيقة المنافقين ومدى استجابتهم لمن طلب منهم

¹ الأحزاب:11.

² ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص141.

³ الأحزاب:12.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ج(21) ، ص259.

⁵ الأحزاب: 13 .

⁶ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ج(21) ، ص268.

العودة إلى الشرك وترك محمدا وأصحابه، ولتحقيق ذلك تحجّجوا بحجج كدّبها القرآن الكريم، وقد توازن ذلك مع دلالة الرأى على التحرك وألف المدّ على تصوير المشهد.

● ﴿يَسِيرًا﴾¹ : أي: قليلاً، فالآية التي فيها هذه الكلمة تصوير لوهن الإيمان وضعفه في قلوبهم، فلو أنّ الأحزاب دخلوا عليهم وطلبوا منهم العودة إلى الكفر لفعلوا ذلك مسرعين خوفاً وهلعاً منهم²، وقد ساهم في كشف سرعة التحرك نحو الفتنة وتصور ذلك المشهد كل من الرأى وألف المدّ.

● ﴿مَسْئُولًا﴾³ : بمعنى أنّ الله عزّ وجلّ سيسألهم عن ذلك العهد يوم القيامة، هنا يكشف عن سابقة الفرار قبل غزوة الأحزاب رغم إعطائهم العهود والمواثيق بالوفاء بها، إلّا أنّهم خالفوا ذلك وأعادوا الكرة مرّة أخرى⁴، ويفهم من هذا أنّ العهد مرتبط بصاحبه وأكثر التصاقاً به وهو مسؤول عنه ، فما بالك إذا كان أمام الله ورسوله، وقد توازن ذلك مع دلالة اللام على الالتصاق، وألف المد على رسم صورة الفرار وعدم الوفاء بالعهد.

● ﴿قَلِيلًا﴾⁵ : أي: زمناً يسيراً، في الآية توبيخ وتقريع بمعنى: إنّ فراركم من القتل أو الموت لا يؤخّر آجالكم ولا يطيل أعماركم⁶، فالموت مآل كلّ مخلوق،

¹ الأحزاب:14.

² ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص269.

³ الأحزاب:15.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص269 .

⁵ الأحزاب:16.

⁶ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص143.

فبقاؤكم أحياء مرتبط ومتعلق بالأجل المقدّر لكم وملتصق به، فهذه المعاني توافقت مع دلالة اللام على الالتصاق وألف المدّ على تصوير ذلك المشهد.

● ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾¹ : أي: لا مجير ولا مغيث² ، ويُلاحظ في هذا معنى التحرك تأثرا بدلالة الراء، ويُقصد من الآية أنّ النفع والضرر بيده سبحانه، وليس لغيره دخل في تصريف ذلك أو تبديله و هذا دائم إلى يوم الدين، وقد كان لألف المدّ دلالة على الامتداد الزمني وتصوير المشهد.

● ﴿قَلِيلًا﴾³ : أي: زما يسيرا، بمعنى أنّ الله عزّ وجلّ له علم شامل بأمر أولئك المنافقين الذين يثبطون العزائم ويصرفون الناس عن القتال مع محمد وأصحابه، ولا يدخلون في المعركة إلّا زما يسيراً رياءً أمام المخلصين بعدها يتسلّلون هرباً من الموت⁴، ففعلهم هذا متعلق ومرتبطة بما في قلوبهم من نفاق

¹ الأحزاب:17.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 230

³ الأحزاب:18.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص145.

وخبث، وهذا بتأثير اللام على محتوى الآية، كما أن تصوير ذلك المشهد بمساهمة حرف ألف المدّ.

● ﴿يَسِيرًا﴾¹: أي: هينًا، ذكر هنا أبرز معائب المنافقين كالبخل في النفقة

والنصرة والخوف من الموت والفخر الكاذب، وبذلك أحبط الله أعمالهم، وكلّ ذلك عليه هين²، يلمس من ذلك معنى الحركة سواء قولاً أو فعلاً، وقد توافق ذلك مع دلالة الراء، ودلالة ألف المدّ على تصوير مشهد المنافقين الخاص.

● ﴿قَلِيلًا﴾³: أي: قتلاً يسيراً وزمناً يسيراً: فالآية الواردة فيها تؤكد ما قيل

سابقاً في صفات المنافقين، فالجبن والخوف مرتبط بهما على الدوام لما في قلوبهم من نفاق⁴، وقد كان اللام مساهمة في ذلك إذ دلّت على الالتصاق، كما أن ألف المدّ صوّرت مشهد حال المنافقين.

● ﴿كثيرًا﴾⁵: أي: دوام اللسان على ذكر الله يؤدي إلى طاعته، والافتداء بالنبي

(ص) في أقواله وأفعاله وأحواله⁶، فذكر الله على الدوام فيه معنى تحرك اللسان

¹ الأحزاب:19.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 233

³ الأحزاب:20.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص14.

⁵ الأحزاب:21.

⁶ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص275.

وتكراره، وهذا تأثراً بدلالة الراء على التكرار والتحريك، كما أن ألف المدّ دلت على الامتداد الزمني في ذكر الله إلى يوم الدين.

● ﴿وَتَسْلِيماً﴾¹ : أي: مستسلمون لقضائه وقدره، فتسليم المؤمنين كلّ أمورهم إلى الله عزّ وجلّ وتفويضهم إليه وعملهم بالأسباب داخل المعركة² إلى حين تحقيق الوعد بالنصر فيه معنى الاتساع، وذلك بمساهمة الميم الدالة على التوسع، وألف المدّ الدالة على تصوير مشهد المؤمنين وهم في كامل إيمانهم.

● ﴿تَبْدِيلاً﴾³ : أي: ما غيَّروا تغييراً، الآية تتحدث عن المؤمنين الذين صدقوا الله ما عاهدوا عليه من الصبر في حال الشدّة والبأس والعمل بالأسباب⁴ ، فوفاءهم بالعهد مرتبط بإيمانهم بالله وتصديقهم بما جاء به الرسول (ص)، يُلاحظ هنا معنى الالتصاق الناتج عن دلالة اللام، كما أنّ تصوير حال المؤمنين ساهم فيه ألف المد.

● ﴿رَحِيماً﴾⁵ : فرحمته تعالى شملت كلّ شيء، إذ يجزي الصادقين بما عاهدوه عليه، ويتوب على المنافقين الذين نقضوا عهده وخالفوا أوامره بعد أن يستغفروا

¹ الأحزاب:22.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص277.

³ الأحزاب:23.

⁴ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفسير ، ص479.

⁵ الأحزاب:24.

الله ويتوبوا إليه¹، فهذه الرحمة ممتدة إلى يوم الدين، وقد ساهم في ذلك دلالة الميم على الاتساع وألف المدّ على الامتداد الزمني.

- ﴿عَزِيزًا﴾² : اسم من أسماء الله الحسنى، يُقصد به الغالب الذي لا يُغلب، فقد هزم الأعداء بقوته وحوله، ونصر المؤمنين عليهم بإرسال ريح باردة في ليلة ظلماء وجنود إلهية³، وقد توازن ذلك مع دلالة الزاي على القوة والشدة سواء في اللفظ أو في محتوى الآية، كما أنّ لألف المدّ مساهمة في تصوير مشهد المعركة والدلالة على الامتداد الزمني، إذ أنّ صفة العزيز ممتدة إلى يوم الدين.
- ﴿فَرِيقًا﴾⁴ : أي طائفة من الناس وهم أكبر من الفرقة فيه معنى القوة والشدة والفعالية، وذلك بتأثير من القاف، ، إذ أنّ الله تعالى هزم يهود بني قريظة شرّ هزيمة على يد رسول الله (ص) والمؤمنين، بنشر الرعب في قلوبهم وقتل بعض منهم وأسر بعضهم الآخر⁵، أضف إلى ذلك أنّ ألف المدّ ساهمت في تصوير مشهد قوّة أصحاب الحقّ وهم مؤيّدون من الله تعالى وهزيمة أصحاب الكفر.

¹ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص479.

² الأحزاب:25.

³ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص479.

⁴ الأحزاب: 26.

⁵ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص280.

● ﴿قَدِيرًا﴾¹ : اسم من أسماء الله الحسنى، لمّا ننظر إلى الكلمة ونربطها بال مخلوق نرى شيئاً آخر، فالإنسان القادر معناه أنّ له حركة واستطاعة على القيام بعمل ما، وهذا بتأثير حرف الراء الدالة على الحركة، وعكسه العاجز لأنّه قدّ ميزة التحرك، لكن لمّا يتعلق الأمر بالخالق فليس كمثله شيء، فهي مطلقة وشاملة لكلّ شيء²، فدلالة الراء تتاسب محتوى الآية، فأصحاب الحقّ خاضوا المعركة وتوكّلوا على الله عزّ وجلّ وعملوا بالأسباب، فكانت النتيجة النصر وحصولهم على الغنائم من أراضي وأموال وديار وفتح أراضي جديدة لنشر الإسلام فيها، كما أنّ لألف المدّ مساهمة في الدلالة على الامتداد الزمني، فقدرته ممتدّة إلى يوم الدين.

● ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾³ : أي: طلاقاً بغير ضرار ولا شجار ولا مخاصمة، فالجميل معناه الحسن⁴ وهو متعلق مرتبط بالشيء الموصوف، وهذا بتأثير اللام الدالة على الالتصاق، ، إذ أنّ الطلاق الجميل جاء في موضع الجزاء المرتبط بالشرط الذي تمثّل في الرغبة في الحياة الدنيا، والرابط بينهما هو الفاء، كما

¹ الأحزاب:27.

² ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص153.

³ الأحزاب:28.

⁴ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص288.

أنها دلت أيضا على اللين في التسريح، أضف إلى ذلك ألف المدّ ساهمت في تصوير مشهد النبي (ص) مع زوجاته.

● ﴿عَظِيمًا﴾¹ : أي ثوبا لا مثيل له لعظم مكانتهنّ، لاسيّما وأنهنّ زوجات النبي (ص)، وفعلاً اخترن الله ورسوله والدار الآخرة²، حتى إنّ الكلمة في حدّ ذاتها فيها معنى الاتساع بتأثير الميم، كما أنّ لألف المدّ مساهمة في تصوير ذلك المشهد.

● ﴿يَسِيرًا﴾³ : أي: هيّنا وسهلا على الله تعالى بمضاعفة العذاب لزوجاته (ص) في حال إتيانهن الفاحشة لشدة قريهنّ منه، ولأنهنّ أيضا أزواجه في الجنة، فالآية تأثرت بدلالة الراء على الحركة، فإتيان الفاحشة فيه معنى الحركة، أمّا ألف المدّ فدلت على تصوير المشهد.

● ﴿كَرِيمًا﴾⁴ : أي: رفيع الدرجات و عظيم المنازل لكريم المكان الذي هنّ

¹ الأحزاب:29.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ج(22) ، ص7.

³ الأحزاب:30.

⁴ الأحزاب:31.

فيه، لاسيما وأنهن زوجاته (ص) دنيوياً وأخروياً وأمّهات المؤمنين¹، وقد توازن ذلك مع دلالة الميم على الاتساع، وألف المدّ على تصوير ثواب زوجات النبي (ص) حين قنوتهنّ وقيامهنّ بالصالحات.

● ﴿مَعْرُوفًا﴾²: أي: الكلام الحسن البعيد عن الريبة ومطمع أحد، فقد نهاهنّ الله تعالى عن النبرة اللينة وترخيم الصوت عند الكلام مع الأغراب وعدم الخضوع لهم بالقول، لأنّ ذلك يثير الغرائز والشهوات³، ويلاحظ هنا نهى عن اللين والرقّة وهذا من دلالة الفاء ، كما أنّ ألف المدّ ساهمت في الدلالة على الامتداد الزمني، إذ أنّ الالتزام بتلك النواهي ممتدّ إلى يوم الدين وهو موجّه إلى كافّة النساء.

● ﴿تَطَهِّرًا﴾⁴: أي: يُبعد عنكم دنس الفسق والفجور، وينزهكنّ من كلّ العيوب حتى تحظين مكانة لا يفوقها أحد، وذلك حين التزامكنّ بالأوامر والنواهي⁵، فالتطهير في الأصل مادي يقصد به تنقية الثوب من الدنس وغيره، وفيه معنى الحركة للقيام بذلك، بينما المقصود هنا هو التطهير المعنوي حتّى يتنوّر القلب بنور الإيمان ويزداد تقوى، وهذا أيضا فيه معنى الحركة، لأنّه مشروط بالالتزام بالأوامر والنواهي من صلاة وزكاة وعدم التبرج وغيرها، كما أنّ لألف المدّ

¹ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص8.

² الأحزاب:32.

³ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، مج(2) ، ص481.

⁴ الأحزاب:33.

⁵ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص482.

مساهمة في الامتداد الزمني، لأنَّ الخطاب موجَّه إلى كافة النساء وممتد إلى يوم الدين.

• ﴿حَبِيرًا﴾¹: في اللغة: إنسان خبير يعني: عالم بالشيء وذلك باستخدام جوارحه التي تدل على وجود الحركة كالعينين للمطالعة، أو اللمس لمعرفة الأشياء وغير ذلك، لكن لما نربطها بالله عزَّ وجلَّ تُصبح شيئاً آخر، وهو العلم الشامل المطلق ، فإله تعالى عالم باختياره الرسول زوجاً لهنَّ ، فعظمة مكانته انتقلت إليهنَّ لاسيما وأنهنَّ في بيت تنزل فيه الآيات لتكون مناراً للعالمين²، وبذلك توازنت دلالة الراء مع هذه المعاني، أمّا ألف المدّ فقد دلَّت على الامتداد الزمني فعلمه المطلق ممتدّ إلى يوم الدين.

• ﴿عَظِيمًا﴾³: أي: أجراً كبيراً لا حدَّ له ولا وصف في جنات النعيم، وهذا لمن توفرت فيه الأوصاف الآتية: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، والذكر الكثير⁴، هنا يلاحظ معنى الاتساع والشمول في الكلمة نتيجة حرف الميم، كما ساهمت ألف المدّ في الدلالة على الامتداد الزمني والخلود في جنة النعيم.

• ﴿مُيِّنًا﴾⁵: أي: طاهراً، وهذا من تأثير دلالة النون على الظهور والحركة من الداخل إلى الخارج، فإبّان يعني ظهر واتضح، ويُقصد من الآية أنَّ الرسول

¹ الأحزاب:34.

² ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 267

³ الأحزاب:35.

⁴ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص181.

⁵ الأحزاب:36.

(ص) إذا قضى أمراً فلا يحقّ لأيّ مؤمن أن يختار أمراً آخر غير ما أَراده الرسول (ص)، لأنّ ذلك عصيان وخروج عن سبيل الهدى والرشاد¹، فكلّ من العصيان والضلال فيهما دلالة على الحركة من الداخل (عدم الالتزام بالأوامر والنواهي) إلى الخارج (في شكل أقوال وأفعال)، أمّا ألف المدّ فقد كان لها دلالة على امتداد المنهج الرياني إلى يوم الدين.

• ﴿مَفْعُولًا﴾²: أي: كائنًا لا محالة، فاللام تدلّ على شدة التماسك، بمعنى أنّ ما قدّره الله هو الوارد ولا يمكن تغييره أو تبديله، فقد أمر النبي (ص) بالزواج بزَيْنَب بنت جحش بعدما طلقها زيد الذي كان مولى عنده لحكمة إلهية وهي إبطال عادة تحريم أزواج الأعداء³، كما أنّ لألف المدّ مساهمة في تصوير ذلك المشهد، والدلالة على الامتداد الزمني لأمر الله إلى يوم الدين.

• ﴿مَقْدُورًا﴾⁴: أي: وكان أمر الله كائنًا لأبَدٍ منه، وواقعاً لا محيد عنه، فهذا تأكيد للآية السابقة، إذ ما فرضه الله على رسوله لا حرج فيه، فما أباحه الله له من الزوجات والسراري سنة من سبقه من الأنبياء⁵، فالقرآن كرّر الفكرة السابقة، لكنّ بأسلوب مغاير وحجة مغايرة، فتوازن ذلك مع دلالة الراء على التكرار والحركة، و ألف المدّ على الامتداد الزمني لكل قضاء قدّره الله إلى يوم يُبعثون.

¹ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص484.

² الأحزاب:37.

³ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص28.

⁴ الأحزاب:38.

⁵ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص486.

- ﴿حَسْبًا﴾¹: أي: وكفى بالله معينا وناصرًا وحافظًا لأعمال عباده ومحاسبًا لهم عليها، جاء هذا في سياق ذكر الأنبياء السابقين الذين يخشون الله وحده دون غيره²، وقد توازن ذلك مع دلالة الباء على الشدة لاسيما وأنه صوت انفجاري، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني في الاحتساب به إلى يوم الدين.
- ﴿عَلِيمًا﴾³: أي: أن الله يعلم بما هو الأصلح للبشرية من النظم والقوانين والشرائع توافقا معها، لذلك فرض على النبي ما فرض، واختار له ما اختار، وهذا بعد تبين طبيعة العلاقة بين محمد (ص) والمسلمين، فهي علاقة نبي مع قومه⁴، فالميم توازنت مع هذه المعاني و دلّت على الاتساع والشمول في العلم، و ساهمت ألف المدّ في الدلالة على الامتداد الزمني لعلم الله.
- ﴿كَثِيرًا﴾⁵: أي: أكثروا من ذكر الله بألسنتكم وقلوبكم وجوارحكم، وهو موجّه إلى المؤمنين⁶، وفي الذكر معنى التكرار مع الحركة تأثرا بالراء، كما تناسب ذلك مع دلالة ألف المدّ على لامتداد الزمني في ذكر الله.
- ﴿وَأَصِيلًا﴾⁷: وقت اصفرار الشمس لمغربها، فالله عزّ وجلّ ربط الذكر وقرّنه بأفضل الأوقات، لأنّ فيهما تنزل الملائكة وهما طرفي النهار: البكرة وهو

¹ الأحزاب:39.

² ينظر: - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص 277 و278

³ الأحزاب:40.

⁴ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص181.

⁵ الأحزاب:41.

⁶ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص193.

⁷ الأحزاب:42.

بدايته، والأصيل هو آخره¹، وقد توازن ذلك مع دلالة اللام على الالتصاق والارتباط، وألف المدّ على الامتداد الزمني للذكر في هذين الوقتين .

• ﴿رَحِيمًا﴾² : أي: واسع الرحمة بالمؤمنين دنيويا بأن هداهم إلى طريق الحقّ، وأخرويا بأن آمنهم من الفزع الأكبر وبشرهم بالجنة³، وقد توازن ذلك مع دلالة الميم على التوسّع، و ألف المدّ على الامتداد الزمني للرحمة.

• ﴿كَرِيمًا﴾⁴ : أي: أجراً حسناً وهو الجنة، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يلاحظ أنّ الأجر واسع لا حدّ له خاصّة إذا تعلّق بالنعيم الأبدي⁵، وقد جاء هذا متناسبا مع دلالة الميم على الاتساع ، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني والخلود في الجنة.

• ﴿وَنَذِيرًا﴾⁶ : أي: منذراً لهم بالنار إنّ كذبوا بما جئتهم به، وخالفوا بما أمرتهم به ونهيتهم عنه، وهذا أحد وظائف النبي (ص) مع قومه⁷، يلاحظ فيها معنى الحركة سواء كانت قولية أو فعلية، وبذلك توافق ذلك مع دلالة الراء على الحركة، ودلالة ألف المد على تصوير بعض وظائف النبي (ص).

¹ ينظر : - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 279

² الأحزاب:43.

³ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 42.

⁴ الأحزاب:44.

⁵ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 43.

⁶ الأحزاب:45.

⁷ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ص 47.

● ﴿مُنِيرًا﴾¹ : أي: يستضيء الضالون عن جادة الصواب، ويقتبس من نورك

المهتدون فيسلكون طريق الحق والسعادة، وذلك عند تبليغه الرسالة الإلهية من خلال أقواله وأفعاله²، يستشف من ذلك معنى الحركة، وهذا من دلالة الراء أما ألف المدّ فقد دلّت على لأنّ الامتداد الزمني للرسالة المحمدية.

● ﴿كَبِيرًا﴾³ : أي: عطاءً واسعاً في جنات النعيم يخصّ المؤمنين فقط، فهذا

تأكيد لما ورد في الآية (44) لمّا تحدّث عن الأجر العظيم الذي ينتظرهم في الجنّة⁴، وكأنّه يستشف معنى التكرار لكن بأسلوب مغاير وألفاظ مغايرة، وبذلك تناسب مع دلالة الراء على التكرار، وألف المدّ على الامتداد الزمني لخلود المؤمنين في الجنّة.

● ﴿وَكَيْلًا﴾⁵ : أي: حافظاً قائماً على الأمر وكافيك وكالكك وراعيك وحسبك

في جميع أمورك، جاء هذا في سياق نهي الرسول (ص) عن طاعة الكفار والمنافقين⁶، يستشف من هذا معنى الارتباط والتعلّق والتمسك بالله عزّ وجلّ ، وبذلك توافق هذا مع دلالة اللام على التماسك والالتصاق، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني في تفويض الأمور إليه وحده الله.

¹ الأحزاب:46.

² ينظر :. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 282

³ الأحزاب:47.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص487.

⁵ الأحزاب:48.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص487.

• ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾¹: بمعنى أخرجهم إخراجاً حسناً مشتملاً على لين الكلام خال من الأذى والضرار وهضم للحقوق²، يفهم من هذا معنى اللين، وهذا من دلالة اللام ، بينما ألف المدّ فقد دلّت على الامتداد الزمني للأمر الرباني إلى يوم الدين.

• ﴿غُفُورًا رَحِيمًا﴾³: أي: غفور لك وللمؤمنين ورحيم بك وبالمؤمنين لما صدر منهم من ذنب بعد توبتهم، فرحمته واسعة لا تحدّها حدود، جاء هذا حينما قالت الآية بأنّه لا حرج على الرسول فيما أحلّ له من زوجات، وبما فرض على المؤمنين من أمور، فهو أعلم بما ينفعهم وما يضرهم⁴، وقد توازن ذلك مع دلالة الميم على الاتساع في الرحمة، وألف المدّ على الامتداد الزمني للرحمة إلى يوم الدين.

• ﴿عَلِيمًا حَلِيمًا﴾⁵: أي: عليماً بالسرائر وما تبطن القلوب، حلّماً فلا يعاجل أهل الذنوب بالعقوبة، ويترك لهم المجال للتوبة والإنابة إليه، جاء هذا لما تحدثت الآية عن حال النبي (ص) بين زوجاته⁶، رغم أنّ الله عزّ وجلّ ترك الأمر له، فتناسب ذلك مع دلالة الميم على اتساع علمه بعباده، وألف المدّ على الامتداد الزمني لحلمه إلى يوم يُبعثون.

¹ الأحزاب:49.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 283

³ الأحزاب:50.

⁴ ينظر : ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص205.

⁵ الأحزاب:51.

⁶ ينظر : ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان ، ص208.

- ﴿رَقِيبًا﴾¹: أي: مطلعاً على أعمالكم شاهداً عليها وعليها بالسرائر والنجوى، فيه تحذير من تجاوز حدوده وتخطي حلاله وحرامه فلا تخفى عليه خافية²، يُستشف من ذلك معنى الاتساع والشدة والقوة، فتناسب ذلك مع دلالة الباء، لاسيما وأنها حرف انفجاري، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني في مراقبة الله تعالى واطلاعه على كل أعمال عباده.
- ﴿عَظِيمًا﴾³: أي: إنّ ذلك الإيذاء له وزواج نسائه من بعده أمرٌ جلل، لا يعرف قدره إلا الله لعظم شأنه (ص)، ومن ثمة وجوب حرمة حيا وميتاً⁴، وقد توافق ذلك مع دلالة الميم على الاتساع من خلال تلك الكلمة، و دلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني لحرمة (ص) إلى يوم الدين.
- ﴿عَلِيمًا﴾⁵: أي له إحاطة شاملة بما تكنه الضمائر وما تتطوي عليه السرائر، فلا تخفى عليه خافية⁶، فتوازن ذلك مع دلالة الميم الاتساع والشمول، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني لعلمه عزّ وجلّ إلى يوم الدين.
- ﴿شَهِيدًا﴾⁷: أي: لا تخفى عليه خافية من أموركنّ (زوجات النبي (ص)) ، فهو يعلم بمكنونات القلوب وحركات الجوارح، فيجازي على العمل خيراً أو شراً، فتناسب ذلك مع دلالة الدال على القوة والشدة، لاسيما وأنه صوت انفجاري، وألف المدّ على الامتداد الزمني في إحاطته بكل شيء وفي كونه شهيداً عليها .

¹ الأحزاب:52.

² ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 304

³ الأحزاب:53.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص492.

⁵ الأحزاب:54.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص492.

⁷ الأحزاب:55.

- ﴿تَسْلِيمًا﴾¹: أي: أكثروا من الصلاة والسلام عليه بألسنتكم تشريفاً له وتعظيماً لمكانته، فقد كان المنقذ من الضلالة إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور²، فتناسب ذلك مع دلالة الميم على الاتساع وألف المدّ على الامتداد الزمني في الصلاة والتسليم عليه (ص).
- ﴿مُهِينًا﴾³: أي: أعدّ لهم عذاباً شديداً، بالغ الغاية في الخزي والإهانة والتحقير⁴، ف (مهينا) من الفعل (أهان) له تأثير على المشاعر الإنسانية، وهذا من دلالة النون، كما أنّ ألف المدّ ساهمت في الدلالة على الامتداد الزمني في ذلك العذاب يوم الحساب والعقاب لأنّهم سيخلدون في النار.
- ﴿مُيِّنًا﴾⁵: أي: إثماً ظاهراً بيّناً، لأنّهم نسبوا للمؤمنين والمؤمنات أعمالاً لم يقوموا بها وهم منها براء⁶، فتوافق ذلك مع دلالة النون على الظهور، وألف المد على تصوير الوضع الذي كان يعيشه المؤمنون آنذاك من كيد الكائدين وتدبير المؤامرات وإشاعة التهم ضدهم، وهو عام في كل زمان ومكان.

¹ الأحزاب:56.

² ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص 320 و321

³ الأحزاب:57.

⁴ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص100.

⁵ الأحزاب:58.

⁶ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص101.

- ﴿ غُفُورًا رَحِيمًا ﴾¹: أي : غفوراً لما سلف من الأخطاء والذنوب و واسع الرحمة بعباده² ، فتناسب ذلك مع دلالة الميم وألف المد، فرحمته تعالى واسعة وممتدة إلى يوم يُبعثون.
- ﴿ قَلِيلًا ﴾³: بمعنى: لا يساكنوك إلا زمنا قليلا ريثما يتأهبون للخروج، في الآية توعد للمنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض، بتسليط الرسول (ص) عليهم بالقتل والإخراج من بلادهم⁴، يُستشف من ذلك معنى الارتباط والالتصاق والتماسك، وهذا من دلالة اللام، فالزمن القليل مرتبط بخروجهم من المدينة، كما أن ألف المد ساهمت في تصوير الوضع الذي كان يعيشه المؤمنون آنذاك.
- ﴿ تَقْتِيلًا ﴾⁵: أي : يُقتلون شرّاً قتل جزاءً بما فعلوه سابقا ولم يتوقفوا عنه، فهذا العقاب مرتبط بأفعالهم وبما في قلوبهم من مرض⁶، فتوازن ذلك مع دلالة اللام على الالتصاق، وألف المدّ على تصوير ذلك العقاب الخاص بالمنافقين.
- ﴿ تَبْدِيلًا ﴾⁷: أي لن تجد لسنة الله تحويلا فلا يقدر أحد تغييرها، فما سنّه عليك سنّه على الذين من قبلك⁸، يُستشف من هذا معنى ارتباط السنة بالله عزّ

¹ الأحزاب:59.

² ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 325

³ الأحزاب:60.

⁴ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص38.

⁵ الأحزاب:61.

⁶ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص 39 .

⁷ الأحزاب:62.

⁸ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص39.

وجلّ وقدره فتناسب ذلك مع دلالة اللام على الالتصاق، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني لما سنّه الله تعالى.

• ﴿قَرِيبًا﴾¹: ي: لعلّ ظهور الساعة يكون في وقت قريب، جاء هذا في سياق مساءلة المشركين الرسول (ص) عنها استهزاءً أو تعنتاً أو امتحاناً²، فتوافق ذلك مع دلالة الباء على الظهور وألف المدّ على تصوير مشهد المشركين وهم يسألون الرسول (ص) عن الساعة، وما قصده من ذلك.

• ﴿سَعِيرًا﴾³: أي: ناراً شديدة الانتقاد والاستعار، وهذا خاصّ بالكافرين المطرودين من رحمة الله⁴، يستشف من ذلك معنى حركة الحرق أو حركة الكفار وهم فيها في حالة صراخ، فتوازن ذلك مع دلالة الراء على الحركة والتحرك، ودلالة ألف المدّ على الامتداد الزمني في الخلود النار.

• ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾⁵: بمعنى لا يجدون ناصراً يخرجهم من النار ويُنجيهم من عذاب الله⁶، يستشف من ذلك معنى الحركة والتحرك وهذا من دلالة الراء، فالنصير إذا لم يتوفر فيه ذلك لا يسمى نصيراً، هذا للبشر بينما نصره الله ليس كمثله شيء ، أما ألف المدّ فقد دلّت على الامتداد الزمني في النار أخروياً.

• ﴿الرَّسُولَ﴾⁷: عبارة قالها الكفار تحسراً حين دخولهم النار وعدم وجود من ينصرهم: "يا ليتنا أئماناً بالله واتبعنا رسوله فنكون من أهل الجنة وننجو من

¹ الأحزاب:63.

² ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 329

³ الأحزاب:64.

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص495.

⁵ الأحزاب:65.

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص495.

⁷ الأحزاب:66.

النار"¹، يستشف من ذلك أنَّ النجاة مرتبطة بطاعة الله ورسوله، فدلَّت اللام على الالتصاق و ألف المدّ على تصوير مشهد الكفار وهم في حالة حسرة.

• ﴿السَّيْلَ﴾²: أي: طريق الهدى والإيمان، تحجَّج الكفار على كفرهم بتصريف كبرائهم لهم عن الإيمان به وتضليلهم³، وكأَنَّهُم ربطوا عدم إيمانهم بتضليل ساداتهم لهم، فتوازن ذلك مع دلالة اللام على الالتصاق ودلالة ألف المدّ على تصوير مشهد ندم الكفار على ما هم فيه.

• ﴿لَعَنَّا كَبِيرًا﴾⁴: أي: العَنَمُ أشدُّ أنواع اللعن وأعظمه، هنا دعا الكفار على ساداتهم تشفيا بهم بمضاعفة العذاب لهم وطردهم من رحمته شرَّ طرد⁵، يفهم من ذلك معنى التكرار في العذاب، فدلَّت الراء على التكرار وألف المدّ على الامتداد الزمني في النار.

• ﴿وَجِيهًا﴾⁶: أي: ذو منزلة ورفعة عالية عند الله ، يُقصد به موسى عليه السلام، هنا نهى عن أذية الرسول (ص) بالكلام أو بالفعل، كما أوودي موسى عليه السلام فبرَّاه الله من ذلك، فالإنسان المتَّصف بتلك الصفات يكون في موقع القوة والشدة، وهذا ما توفر في موسى من الناحية الجسمية والمعنوية⁷، كما في الآية تحذير من أذية الرسول (ص) لمكانته الرفيعة عنده، فتوازن ذلك

¹ ينظر : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 330

² الأحزاب: 67 .

³ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص42 .

⁴ الأحزاب: 68 .

⁵ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص43 .

⁶ الأحزاب: 69 .

⁷ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص43 .

مع دلالة الهاء على الشدة وألف المدّ على الامتداد الزمني دنيويا وأخرويا لمكانته (ص) العظيمة.

• ﴿سَدِيدًا﴾¹: أي قولاً صادقاً يخلُ من الباطل بمعنى أن الله تعالى أمر المؤمنين بالصدق في الأقوال لنيل المثوبة العظمى²، يستشف من هذا معنى الشدة لأنه أمر من الله تعالى، كما أن في الكلمة دالين، أضف إلى ذلك، فالحرف انفجاري الصوت، فتناسب ذلك مع دلالة الدال على الشدة وألف المدّ على الامتداد الزمني في الصدق.

• ﴿عَظِيمًا﴾³: أي: ظفر بالمثوبة العظمى وهي جنة النعيم⁴، يفهم من هذا معنى الاتساع الذي هو من دلالة الميم، كما أن ألف المدّ دلّت على الامتداد الزمني في جنة النعيم أخرويا.

• ﴿ظُلُومًا جَهُولًا﴾⁵: أي: ظلوماً لنفسه ولغيره، جهولاً بعواقب الأمور، رغم أن الله خلقه مستعداً لتلقي تلك الأمانة وحملها والقيام بأعبائها، فكلّ من يخرج عن طريق الهدى والإيمان والالتزام بالأوامر والنواهي فهو خائن للأمانة⁶، يستشف من هذا أن الخيانة مرتبطة بالخروج عن سبيل الحقّ، فتوافق ذلك مع دلالة

¹ الأحزاب: 70 .

² ينظر : : الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20 ، ص 336

³ الأحزاب: 71 .

⁴ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص 495.

⁵ الأحزاب: 72 .

⁶ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير ، ص 496.

اللام على الالتصاق ودلالة ألف المدّ على تصوير مشهد حمل الأمانة من
عدمه.

- ﴿ غُفُورًا رَحِيمًا ﴾¹: أي: أَنَّ الله غفور لمن استغفره وتاب إليه، و واسع الرحمة لمن أناب إليه وقبل توبته²، فالميم دالة على اتساع الرحمة و ألف المدّ على الامتداد الزمني لرحمته تعالى إلى يوم الدين.

الفرع الثاني :على مستوى السورة

من يقرأ سورة الأحزاب ويتمعن فيها آية آية، يجد أنَّها تعالج مواضيع مختلفة،
فتتنوع تبعاً لذلك الحرف الأخير للفواصل القرآنية، من راء، وميم، ولام، ونون، وباء،
ودال، وفاء، وقاف، وظاء، وهاء، وزاي، يربط ما بينها حرف المد (الألف)، إذ تُوقف
الآيات عليه، وله أهمية كبيرة من جانبين :الأول: موسيقي، إذ يعمل على توحيد النظام
الموسيقي داخل السورة، والثاني: معنوي، إذ يساهم في الامتداد الزمني والمكاني
وتصوير الأحداث والوقائع والمشاهد داخل السورة.

تناولت السورة ما يلي:

- دعوة النبي (ص) إلى تقوى الله واتباع ما يوحى إليه وعدم طاعة الكفار.
- إبطال التقاليد والنظم الاجتماعية السائدة آنذاك كعادة وجود قلبين في الرجل، وعادة التبني، وعادة الظهار، وعادة تحريم أزواج الأعداء، وأُخضع كلّ ذلك للمنهج الإسلامي الجديد آنذاك.

- الحديث عن زوجات النبي (ص) وأدب بيت النبوة.

¹ الأحزاب:73.

² ينظر :. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص 243

- بيان وظيفة النبي (ص) نحو قومه لإبلاغ الرسالة الإلهية.

- النهي عن إذاء النبي (ص) وبيان أنَّ من أطاع الله ورسوله يُجازى الجنة ومن كفر وعصى يُجازى النار.

- الحديث عن أضخم حدث مرَّ على المسلمين آنذاك، إذ يُعدُّ امتحاناً صعباً تعرَّضوا له، ألا وهو غزوة الأحزاب ولعظمتها سميت السورة باسمها.

كلَّ آية من الآيات السابقة تحمل موضوعاً من المواضيع السابقة، تنتهي فواصلها بحروف تحمل دلالات تتوازن وتتناسب وتتوافق مع معانيها وتعكس محتواها، فعلى سبيل المثال حادثة غزوة الأحزاب التي أخذت مساحة كبيرة من السورة، بلغ عدد آياتها تسع عشرة آية (19)، بدأت برسم بداية المعركة وختامها، ودَعَتْ المؤمنين إلى تذكر نعمة الله عليهم بنصرهم على أعدائهم بإرسال ريح باردة في ليلة ظلماء شاتية، وجنود من الملائكة عليهم السلام.

بعدها تدخل في التفصيل بتصوير مشاهدتها و وقائعها وذكر العناصر الحاسمة فيها، لتختتم بانتصار المسلمين على قريش وأحزابها ومحاصرة بني قريظة في عقر دارها وحصولهم على الغنائم.

وقد كانت أواخر فواصلها كلها مجهورة تحمل دلالات تعكس معانيها، وتصوِّر أحداثها، وترسم معالمها، وقد تبيَّن ذلك على مستوى الآيات، فكانت ما بين راء الدالة على الحركة والتحريك والتكرار، واللام على التماسك والالتصاق والشدة والارتباط، والنون على الظهور، والميم على الاتساع والشمول، والقاف الدالة على القوة والشدة والفعالية، وما هذا إلا مظهر من مظاهر التوازن الصوتي بين أواخر الفواصل القرآنية ومحتوى السورة.

خلاصة لهذا الفصل، فإنّ اختيار الكلمة لتكون فاصلة قرآنية وانتهائها بحرف من الأحرف السابقة الذكر لم يكن عبثاً، بل جاء ذلك لحكم وأسرار بيانية بيّنها البحث، لا يمكن لغيرها أن تحلّ مكانها، أو يُغيّر موقعها.

فقد حدث هناك توازن وتوافق وتناسب بين دلالات تلك الأحرف الأخيرة، ومحتوى السورة وآياتها كما رأينا ذلك في سورة "المؤمنون"، ومدى ارتباطها بحرف النون الدالة على الظهور، والحركة من الداخل إلى الخارج والعكس، وسورة الأحزاب التي تنتوّع أواخر فواصلها القرآنية لتتنوّع مواضيعها المعالجة.

وما هذا إلا مظهر من مظاهر التوازن الصوتي في السورتين.

الفصل الثاني

التوازن الإفرادي في السورتين

اقتصر الفصل على نماذج من كلمات مأخوذة من كل مقطع من مقاطع السورتين و تحليلها إفراديا على سبيل المثال لا الحصر، لمعرفة مدى توازنها مع السورة وآياتها الواردة فيها على أن يكون ذلك حافزا للقيام ببحوث مستقبلية تشمل كل مفردات السورتين .

المبحث الأول: التوازن الإفرادي في سورة المؤمنون

المطلب الأول: نماذج من الكلمات ومفهومها اللغوي والاصطلاحي

1/أفلح:

لغة: مأخوذة من مادة (ف ل ح) قال الجوهري: « الفلاح: الفوز والنجاة، والبقاء، والسحر، يقول الرجل لامرأته: استفطي بأمرك أي فوزي بأمرك ... وحيّ على الفلاح، أي أقبل على النجاة ... وفلحت الأرض: شققتها للحرث »¹.

أما ابن فارس فقد جعل لهذه الكلمة أصلين الأول: يدلّ على شقّ، والثاني: على فوز وبقاء².

وأما الراغب الأصفهاني فقد دقّق في الشرح قائلا: « الفلحُ الشقّ، وقيل الحديد بالحديد يُفلحُ، أي يُشقُّ والفلاح الأكار لذلك، والفلاح الظفر وإدراك بُغيةٍ، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيبُ بها حياة الدنيا، وهو البقاء والغنى والعزُّ ... وفلاح أخروي وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل »³.

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1) ، ص 392.

² ينظر: ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة ، ج (4)، ص 450 .

³ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 430.

أما ابن منظور فيقول: « الفلح والفلاح: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير ... وقد أفلح، قال الله عزّ من قائل: "قد أفلح المؤمنون" أي أصبحوا إلى الفلاح ... والفلاح: الفوز بما يغتبط به وفيه صلاح الحال، وأفلح الرجل: ظفر ... وقوم أفلح: مفلحون فائزون ... فلحت الأرض إذا شقتها للزراعة. وفلح الأرض للزراعة يفلحها فلحاً إذا شقّها للحرث. ¹»

الملاحظ على هذه الأقوال أنّها تتوافق في الشرح، إذ "فلح" لها دالتان الأولى: الشقّ، والثانية: الفوز والبقاء ما عدا الأصفهاني الذي كان أقرب إلى الدقة، إذ الفلاح عنده هو الظفر وإدراك البغية دنيوياً وأخروياً.

أما اصطلاحاً، فيرى النسفي أنّ « الفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب، أي فازوا بما طلبوا أو نجوا ممّا هربوا ²»، بينما عند القرطبي فالفلاح هو البقاء في الثواب والخير ³، ويتقارب مع هذا كل من أحمد مصطفى المراغي والزحيلي إذ يريان أنّ "أفلح" تعني فاز وسعد ⁴.

و لا يخرج عن هذه المعاني محمد علي الصابوني، إذ جعل "أفلح" تعني فاز، أي فاز المؤمنون وسعدوا وحصلوا على المطلوب والبغية ⁵.

مهما اختلفت الآراء فإنّها تصب في معنى واحد وهو أنّ فلاح المؤمن دنيوي وأخروي، فهو الذي يحسه بقلبه، ويجد مصداقه في واقع حياته، وما يدّخره له الله عزّ وجلّ في الآخرة، سبقت كلمة "أفلح" "قد" التي للتحقيق، فقد أگدت ثبات الخير والنصر

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (2)، ص 547 و 548.

² النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط (1)، ج (2)، 1419هـ/1998م، ص 458.

³ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (12)، ص 103.

⁴ ينظر: . المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، المجلد (6)، ج (18)، ص 5.

. ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج (18)، ص 11 .

⁵ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، المجلد (2)، ص 303.

والتوفيق والسعادة والمتاع الطيب في الدنيا ، والفوز والثواب والنجاة والرضوان في الآخرة.

2/المؤمنون:

لغة: جمع مؤمن وهي مأخوذة من مادة (أ م ن) جاء في الصحاح: « الأمانُ والأمانة بمعنى، وقد أمنتُ فأنا آمنٌ، وآمنتُ غيري، من الأمن والأمان، والإيمان: التصديق، والله تعالى المؤمنُ لأَنَّهُ آمن عباده من أن يظلمهم ... والأمنُ: ضد الخوف ... والأمانةُ أيضا: الذي يثق بكل أحد»¹.

أما أحمد بن فارس فيقول: « الهمز والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانةُ التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق»².

وأما الراغب الأصفهاني فقد توسّع في الشرح والتفصيل إذ يقول: « أصلُ الأمن طمأنينة النفس، وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ... وآمنَ إنما يُقال على وجهين أحدهما مُتَعَدِّيا بنفسه يقال آمنتَه أي جعلتُ له الأمنَ ومنه قيل لله مؤمن، والثاني غير مُتَعَدِّ ومعناه صار ذا أمن، والإيمان يُستعمل تارة اسما للشيعة ... وتارة على سبيل المدح ويُراد به إذعان النفس للحقّ على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح »³.

¹. الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 2071.

². ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج(1)، ص 133.

³ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 33 و 34.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور إذ يقول: «الأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم»¹.

يفهم من تلك الأقوال أنَّ "أمن" لها ثلاثة معانٍ: الأمن الذي ضده الخوف، والأمانة التي تقابل الخيانة، والإيمان الذي يقابل الكفر، إلّا أنَّ الراغب الأصفهاني أعطى الإيمان بُعداً آخر هو المقصود والأقرب للدقّة، فهو ما وقر في القلب وأقرّه اللسان وعملت به الجوارح²، والمؤمن من اتصف بذلك الإيمان.

أمّا اصطلاحاً، فيرى كلّ من أحمد الصاوي وإسماعيل حقي أنَّ المؤمن هو المصدّق بكل ما أنزل على محمد (ص) وبدينه³، بينما أحمد مصطفى المراغي فيرى أنَّ المؤمن هو من اتصف بالإيمان وصدّق بكل ما أنزل على النبي المصطفى من النبوة والتوحيد والبعث والجزاء⁴.

ويتقارب ذلك مع ما قاله محمد علي الصابوني إذ المؤمن عنده من اتصف بالأوصاف الجليّة التي عدتها السورة فيما بعد⁵.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (13)، ص 21.

² ينظر: الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 34.

³ ينظر : . الصاوي أحمد: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، المجلد (3)، ص 112.

ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ج (6)، ص 66.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 4.

⁵ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 303.

3/خلق:

لغة: جاء في الصحاح: « الخلق: التقدير: خلقت الأديم إذا قَدَّرته قبل القطع ... والخليقة: الطبيعة ... والخليقة: الخلق، والجمع الخلائق»¹

أما ابن فارس فيرى أنَّ: « الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، فأما الأول فقولهم: خلقتُ الأديم للسفهاء، إذا قَدَّرته ... ومن ذلك الخَلْقُ وهي السجية، لأنَّ صاحبه قد قَدَّر عليه...أما الأصل الثاني فصخرة خلقاء أي ملساء. »².

وأما الراغب الأصفهاني فقد شرح تلك الكلمة وفصل فيها قائلاً: « الخَلْقُ أصله التقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾³ ... ويُستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو ... ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾⁴ ... وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله تعالى ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره ﴿ أَمَّنْ خَلَقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾⁵ »⁶.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور إذ يقول: « الله تعالى وتقدس الخالق والخالق ... وأصل الخلق التقدير ... والخلقُ في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه ... وكلُّ شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه ... قال أبو بكر بن الأنباري: الخلقُ في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على

¹ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح لعريية، ج (4)، ص 1470.

² ابن فارس : مقاييس اللغة، ج (2)، ص 213.

³ الأنعام: 73.

⁴ المؤمنون : 12.

⁵ النحل: 17.

⁶ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 176 و 177.

مثالٍ أبدعه، والآخر التقدير، وقال في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾¹، معناه أحسن المقدّرين².

أمّا في إصطلاح المفسرين، فقد جاء ضمن أقوالهم أنّ "خلق" تعني أمرين: الأول إيجاد على غير مثال كخلق السموات والأرض لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾³، وإيجاد الشيء من الشيء لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾⁴، يرى المفسرون أنّ الله خلق آدم عليه السلام من خلاصة الطين، وأنشأ ذريته من النطفة أي وفق قانون التناسل⁵.

كما وردت كلمة "خلق" مقرونة بـ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ التي يقصد بها "سبع سموات"، أي أنّ الله أبدع وأنشأ السموات السبع على غير مثال، بالإضافة إلى ذلك، فقد فسّروا قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ بأحسن الصانعين والمصورين والمقدّرين، ومن هنا يستشف منه إيجاد على غير مثال، فلا يمكن لأيّ أحد أن يأتي بما أتى به الله تعالى.

¹ المؤمنون:14.

² ابن منظور : لسان العرب، ج (10)، ص 85.

³ المؤمنون : 17.

⁴ المؤمنون : 12.

⁵ ينظر: . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 461 و 462.

. الصاوي أحمد: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ص 112 إلى 114.

. سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2458 و 2459.

. المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي: ص من 4 إلى 9.

. ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 18 إلى 20.

لغة: جاء في الصحاح: « العبدُ: خلاف الحرّ ... وأصل العبودية الخضوع والذلُّ، والتعبيد: التذليل ... والعبادة: الطاعة، والتعبدُ: التتسُّك »¹.

أمّا ابن فارس فيقول: « العين والباء والدا ل أصلان صحيحان، كأنَّهما متضادان، و[الأول] من ذينك الأصلين يدلُّ على لين وذلٍّ، والآخر على شدةٍ وغِلَظ، فالأول للعبدُ وهو المملوك، والجماعة العبيد ... والأصل الآخر العبدَّة وهي القوة والصلابة »².

وأما الراغب الأصفهاني فقد فصلَّ في ذلك قائلاً: « العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنَّها غاية التذلل ولا يستحقُّها إلّا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ...، والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير وهو كما ذكرناه في السجود، وعبادة بالاختيار وهي لذوي النطق وهي المأمور بها في نحو قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾³ ... والعبد يُقال على أربعة أضرب: عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصحُّ بيعه وابتياعه نحو ﴿اعْبُدْ بِالْعَبْدِ﴾⁴ ... الثاني: عبدٌ بالإيجاد وذلك ليس إلا الله وإيَّاه قصد بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾⁵، والثالث: عبد بالعبادة والخدمة والناس في هذا ضربان: عبدٌ لله مخلصاً وهو المقصود ... وعبدٌ للدنيا وأغراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها»⁶.

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (2)، ص 502 و 503.

² ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (4)، 205 و 206.

³ البقرة: 21.

⁴ البقرة: 178.

⁵ مريم: 93.

⁶ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 357 و 358.

ولا يخرج عن هذا ابن منظور حين يقول: « العبدُ: الإنسان، حراً كان أو رقيقاً، يُذهب بذلك إلى أنّه مَرْبُوبٌ لباريه، جَلٌّ وعَزٌّ ... وأصلُ العبودية الخضوع والتذلل ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله، والعابد: الموحّد ... ورجل عابد من قوم عبدة وعُبد وعُبدٍ وعُباد. والتعبدُ: التتسُّك. والعبادة: الطاعة »¹.

ما يفهم من تلك الأقوال أنّ "عبد" تحمل معاني عدّة منها: التذلل والخضوع، والاستسلام للمعبود وطاعته.

أمّا في اصطلاح المفسرين فإنّ "عبد" تقتصر فقط على التذلل لله تعالى وحده والاستسلام له وتوحيده وعدم الإشراك به وطاعته قلباً وقالباً لقوله تعالى: ﴿يَقَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾².

يرى كلّ من النسفي والألوسي وسيد قطب أنّ كلمة ﴿اعْبُدُوا﴾ تعني أطيعوه ووحدوه ولا تُشركوا به شيئاً، فليس لكم إله غيره سبحانه³، وشبيه بهذا ما قاله أحمد مصطفى المراغي: « يا قوم اعبدوا الله وأطيعوه دون الأوثان والأصنام، فإنّ العبادة لا تنبغي إلّا له ولا تصلح لسواه »⁴.

ولا يخرج عن هذه المعاني كلّ من محمد علي الصابوني و هبة الزحيلي إذ يريان أنّ المعنى: اعبدوا الله وحده وأطيعوه فليس لكم رب سواه⁵.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (3)، ص 270 إلى 273.

² المؤمنون : 23.

³ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 464.

. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)،

ج (9)، 1415هـ، ص 227.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي: ص 17.

⁵ ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة الشريعة والمنهج، ج (18)، ص 32 .

5/بعث:

لغة: جاءني الصحاح: « بعثه وابتعثه بمعنى أي أرسله ... وبعثت الناقة: أثرتها ، وبعثه من منامه أي أهبّه. وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث وانبعث في السير أي أسرع »¹، وقريب من هذا ما قاله أحمد بن فارس: « الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة، ويقال: بعثت الناقة: إذا أثرتها »².

أمّا الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلاً: « أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال: بعثته فانبعث ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فبعثت البعير أثرتُه وسيّرتُه، وقوله عزّ وجل: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾³ ... أي يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة ... فالبعث ضربان: بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة، وإلهي وذلك ضربان: أحدهما إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس وذلك يختص به الباري تعالى ولم يُقدّر عليه أحدًا. والثاني إحياء الموتى، وقد خصّ بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام وأمثاله »⁴.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور إذ يقول: « بعثه يبعثه بعثاً: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره. وابتعثه أيضا أي أرسله فانبعث ... يُقال: انبعث فلان لشأنه إذا ثار ومضى ذاهبا لقضاء حاجته ... وانبعث الشيء وتبعث اندفع، بعثه من نومه: بعثاً: فانبعث: أيقظه وأهبّه والبعث: إثارة باريك أو قاعد ... والبعث أيضا: الإحياء من الله للموتى ... وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث »⁵.

¹ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 273.

² ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة ، ج(1) ، ص266.

³ الأنعام : 36.

⁴ الاصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 63.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، ج (2)، ص من 110 إلى 117.

وما يستخلص من تلك الأقوال أَنَّ "بعث" لها معانٍ عدة، منها: الإرسال، والإثارة، والإيقاظ، والنشر، والإحياء.

أما اصطلاحاً فإنَّ الكلمة تتخصَّص أكثر وتقتصر على معنى النشر والإحياء من الله تعالى للموتى يوم الحساب والجزاء ، فهذا ما توافق عليه المفسرون مع وجود النفي لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾¹، قال أحمد مصطفى المراغي: «تموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا ويولدون، وما نحن بمبعوثين بعد الموت»².

بينما سيد قطب و وهبة الزحيلي فيريان أَنَّ الكفار نفوا نفيا تاماً لوجود البعث وحياة أخرى بعد الموت، فلا حياة ولا نشور بعد الفناء عندهم³، ولا يخرج عن هذه المعاني محمد علي الصابوني، إذ يرى أَنَّ المقصود هو : لا بعث ولا نشور بعد الموت⁴.

6/هلك:

لغة: جاء في الصحاح: « هلك الشيء يهلك هلاكاً وهلوکاً، ومهلكاً ومهلكاً، وتهلكة ... والمهلكة: المفازة ... والهالك بالتحريك: الشيء الذي يهوى ويسقط »⁵.
وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الهاء واللام والكاف: يدلّ على كسر وسقوط. منه الهالك: السقوط، ولذلك يُقال للميت هلك »⁶.

¹ المؤمنون: 37.

² المراغي احمد مصطفى: تفسير المراغي، 23.

³ ينظر . قطب سيد: في ظلال القرآن، ص 2467.

ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 43.

⁴ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 309.

⁵ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (4)، ص 1617.

⁶ ابن فارس احمد : مقاييس اللغة، ج (6)، ص 62.

وقد فصل في ذلك الراغب الأصفهاني قائلاً: « الهلاك على ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾¹ ... ، وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله: ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾² ... والثالث: الموت كقوله: ﴿إِنَّ أَمْرُؤًا هَلَكَ﴾³ ... والرابع: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً وذلك المسمى فناء ...، ويقال للعذاب والخوف والفقر الهلاك»⁴.

ويقرب ابن منظور من هذه المعاني إذ يقول: « الهَلَكُ: الهلاك ... هَلَكَ يَهْلِكُ هُلُكًا وَهَلَكًا وَهَلَاكًا: مات ... والهَلَكَةُ: الهلاك ... والمَهْلَكَةُ والمَهْلُكَةُ والمَهْلُكَةُ: المفازة لأنه يَهْلِكُ فيها كثيرًا ... والهَلَكُ بالتحريك: الشيء الذي يهوى ويسقط، والتَهْلُكَةُ: الهلاك»⁵.

الملاحظ على هذه الأقوال أنها تتقارب في المعاني إلا الأصفهاني الذي كان أوسعهم شرحاً وإماماً، إذ جعل لكلمة هلاك معان عدة منها: فقدان الشيء، والفساد، والفناء، والموت، والعذاب، والخوف، والفقر.

أما اصطلاحاً فقد توافقت آراء لمفسرين في شرح كلمة "المهلكين" من قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾⁶، وجعلوها تقتصر على معنى: الذين عاقبهم الله فعجل لهم العذاب في الدنيا بالإهلاك والإغراق في اليم، فصاروا عبرة للآخرين.

¹ الحاقة : 29.

² البقرة : 205.

³ النساء : 176.

⁴ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 576 و 577.

⁵ ابن منظور : لسان العرب، ج (10)، ص 503 و 504 و 505 و 506.

⁶ المؤمنون : 48.

يرى كل من النسفي والقرطبي وسيد قطب أنَّ المهلكين هم فرعون وملؤه، فقد أنزل الله عليهم العذاب وأهلكهم بالغرق في يوم واحد في البحر الأحمر نتيجة تكذيبهم واستكبارهم¹.

وقريب من هذا ما قاله المراغي: « فأهلكهم الله بالغرق في بحر قلزم (البحر الأحمر) كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبهم لرسولهم »². ولا يخرج عن تلك المعاني كل من محمد علي الصابوني و وهبة الزحيلي إذ يريان أنَّ فرعون وملئه أهلكهم الله بالغرق في البحر (الأحمر)³.

7/ غمر:

لغة: جاء في الصحاح: « الغَمَرُ: الماء الكثير، وقد غمره الماء يغمره أي علاه. ومنه قيل للرجل: غمره القوم إذا علوه شرفاً ... والغمرة: الشدة ... وغمرات الموت: شدائده ... والغمرة: الزحمة من الناس والماء والجمع غمار ... قال أبو عمرو: رجل مغامر إذا كان يقتحم المهالك، والغمرة طلاء يتخذ من الورس ... والغمر بالكسر أيضاً: الحقد والغل »⁴.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الغين والميم والراء أصل صحيح، يدلّ على تغطية وتشديد في بعض الشدة، ومن ذلك الغمر: الماء الكثير، وسمي بذلك لأنه يغمر

¹ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 470.

. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 126.

. سيد قطب: في ظلال القرآن، ج (4)، ص 2468.

² المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 27.

³ ينظر : . الصابوني محمد علي: صفوة التفسير، ص 310.

. ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 52.

⁴ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (2)، ص 772 و 773.

ما تحته ... ومن الباب: الغَمْرُ: الانهماك في الباطل وللهو، وُسِّمَتْ غَمْرَةً لِأَنَّهَا شَيْءٌ يَسْتُرُ الْحَقَّ عَنْ عَيْنِ صَاحِبِهَا. وغمراتُ الموت: شدائدهُ التي تَغْشَى ... والغَمْرُ: الحقد في الصدر»¹.

أَمَّا الْأَصْفَهَانِي فَقَدْ شَرَحَ ذَلِكَ قَائِلًا: «أَصْلُ الْغَمْرِ إِزَالَةُ أَثَرِ الشَّيْءِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَاءِ الْكَثِيرِ الَّذِي يُزِيلُ أَثَرَ سَيْلِهِ غَمْرٌ وَغَامِرٌ ... وَالْغَمْرَةُ مَعْظَمُ الْمَاءِ السَّاتِرَةِ لِمَقَرِّهَا وَجُعِلَ مِثْلًا لِلْجَهَالَةِ الَّتِي تَغْمُرُ صَاحِبَهَا وَإِلَى نَحْوِهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَهُمْ﴾² ... وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَافِ قَالَ: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾³ ... «⁴.

وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي ابْنُ مَنْظُورٍ إِذْ يَقُولُ: «الْغَمْرُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ... الْغَمْرُ: بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَسُكُونِ الْمِيمِ: الْكَثِيرُ، أَيْ يَغْمُرُ مَنْ دَخَلَهُ وَيُغَطِّيهِ ... وَغَمْرُهُ الْمَاءُ يَغْمُرُهُ غَمْرًا وَاغْتَمَرَهُ: عَلَاهُ وَغَطَّاهُ ... لَغَمْرَةُ: الشَّدَّةُ ... وَالْغَمْرَةُ: حَيْرَةُ الْكَفَّارِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْغَمْرَةُ مِنْهُمْكَ الْبَاطِلُ، وَمَرْتَكُضُ الْهَوْلِ غَمْرَةُ الْحَرْبِ، وَيُقَالُ: هُوَ يَضْرِبُ فِي غَمْرَةِ اللَّهِو وَيَتَسَكَّعُ فِي غَمْرَةِ الْفِتْنَةِ ... اغْتَمَرَ فِي الشَّيْءِ: اغْتَمَسَ»⁵.

يُفْهَمُ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ أَنَّ كَلِمَةَ "غَمْر" تَتَضَمَّنُ مَعَانِي عَدِيدَةً حَسَبَ الصِّيغَةِ الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا، فَالْغَمْرَةُ مِثْلًا تَعْنِي: الشَّدَّةَ، وَالزَّحْمَةَ مِنَ النَّاسِ وَالْمَاءِ، وَالْجَهَالَةَ وَالْعِمَايَةَ، وَالْانْغِمَاسَ فِي اللَّهِو وَالْبَاطِلِ.

¹ ابن فارس : مقاييس اللغة، ج (4)، ص 392 و 393.

² يس: 09.

³ المؤمنون : 54.

⁴ الْأَصْفَهَانِي الرَّاعِبُ : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 408.

⁵ ابن منظور : لسان العرب، ج (5)، ص 23 إلى 32.

أما اصطلاحاً فقد جاءت الكلمة اسماً وهو "غَمْرَة" وتوافقت نظرات المفسرين في فهمها، إذ تعني الغفلة، والجهالة والحيرة، والضلالة، وذلك حينما فسّروا قوله تعالى: ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾¹.

يرى كلّ من النّسفي والقرطبي وإسماعيل حقي والألوسي أنّها تعني الحيرة والغفلة والضلالة أي دَعَهُمْ في غفلتهم وضلالتهم حتّى يروا العذاب والموت عياناً². وشبيه بهذا ما قصده سيد قطب، إذ هي عنده تعني الغفلة والانشغال عن الحقّ إذ يقول: « ذرهم في هذه الغمرة غافلين مشغولين بما هم فيه حتّى يفاجئهم المصير حين يجيء موعده المحتوم »³.

أمّا أحمد مصطفى المراغي فيبيّن ذلك قائلاً: « أي فذرهم في غيِّهم وضلالهم حتّى يرون العذاب رأي العين »⁴ ولا يخرج محمد علي الصابوني عن تلك المعاني قائلاً: «أي فاترك يا محمد هؤلاء المشركين في غفلتهم وجهلهم وضلالتهم»⁵.

8/ بلس:

¹ المؤمنون : 54.

² ينظر: . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج (2)، ص 472.

. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (12)، ص 130.

. ابن مصطفى اسماعيل حقي: روح البيان، ج (6)، ص 89.

. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المتأخي، ج (9)، ص 242.

³ سيد قطب : في ظلال القرآن: ص 2472.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 31.

⁵ الصابوني محمد علي : صفوة التفسير، ص 312.

لغة: جاء في الصحاح: «أَبْلَسَ من رحمة الله، أي يئس . ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل، والإِبلاس أيضا: الانكسار والحزن، يقال: أَبْلَسَ فلانٌ، إذا سَكَتَ غَمًّا»¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: «الباء واللام والسين أصل واحد، وما بعده فلا مُعَوَّل عليه، فالأصل اليأس، يُقال أَبْلَسَ إذا يئسَ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾² ... ، قالوا: ومن ذلك اشتق اسم إبليس، كأنه يئسَ من رحمة الله. ومن هذا الباب أَبْلَسَ الرجلُ سَكَتًا»³.

ولا يخرج عن تلك المعاني الأصفهاني إذ يقول: «الإِبلاس الحزن المعترض من شدة البأس، يُقال أَبْلَسَ، ومنه اشتق إبليس فيما قيل قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾»⁴ ... «⁵.

أما ابن منظور فهو الآخر يقارب تلك المعاني قائلا: «أَبْلَسَ الرجلُ: قُطِعَ به، عن ثعلب، وأَبْلَسَ: سَكَتَ، وأَبْلَسَ من رحمة الله أي يئسَ ونَدِمَ، ومنه سُمي إبليسُ وكان اسمه عزازيل...المِبْلَسُ: اليأس... والمِبْلَسُ: الساكت من الحزن أو الخوف، والإِبلاس: الحيرة ... وقال أبو بكر: الإِبلاس معناه في اللغة القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى»⁶.

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(3)، ص909.

² المؤمنون : 77.

³ ابن فارس : مقاييس اللغة، ج (4)، ص 392 و 393.

⁴ الروم : 12.

⁵ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 71.

⁶ ابن منظور: لسان العرب، ج (6)، ص 29 و 30.

فكلمة "بَلَسَ" إذن لغة تحمل معاني عدة منها: اليأس والقنوط، والانكسار والحزن، والحيرة، والدهشة، والسكوت عند انقطاع الحجة، وتختلف بحسب الصيغة التي عليها، والسياق الذي هي فيه.

أما اصطلاحاً، فقد جاءت الكلمة اسماً "مبلسون" في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾¹ ، وقد تشابهت آراء المفسرين في تفسيرها، إذ تعني عندهم: المتحيرون، واليائسون من كل خير لَمَّا حلَّ عليهم عذاب الله وجاءتهم الساعة بغتة.

قال القرطبي: « أي يائسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون كالأئس من الفرح ومن كل خير»²، وجاء في روح البيان: "مبلسون متحيرون آيسون من كل خير»³.

وشبيه بهذا ما رآه المراغي إذ يقول: « أي حتَّى إذا جاءهم أمر الله، وجاءتهم الساعة بغتة، وأخذهم من العذاب ما لم يكونوا يحتسبون، أيسوا من كل خير، وانقطعت آمالهم وخاب رجائهم»⁴.

والمعنى نفسه نجده عند كل من الصابوني و وهبة الزحيلي إذ رأيهما لا يخرج عن: الحيرة واليأس من كل خير في نفس أولئك الذين نزل عليهم العذاب وخرجوا من رحمته تعالى⁵.

¹ المؤمنون : 77.

² القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 143.

³ ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان، ص 98.

⁴ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 44.

⁵ ينظر : . الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 317.

. ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 71.

لغة: جاء في الصحاح: « السُّحْرُ: الرُّثَّةُ جمع أسحار ... والسَّحَرُ: قبيل الصبح ... والسحور: ما يُتَسَحَّرُ به. والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطَفَ مَأْخَذُهُ ودَقَّ فهو سِحْرٌ، وقد سحره يسحره سحرا، والساحر: العالمُ، وسحره أيضا: بمعنى خدعه»¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: أحدهم عضو من الأعضاء، والآخر خدعٌ وشبهه، والثالث وقت من الأوقات ... وأمّا الثاني فالسُّحْرُ، قال قومٌ: إخراجُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ، ويُقال هو الخديعةُ ... وأمّا الوقت فالسَّحَرُ، والسُّحْرَةُ، وهو قبل الصبح»².

أمّا الراغب الأصفهاني فقد فصل في ذلك قائلا: « السُّحْرُ يُقال على معانٍ: الأول الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المُشَعُوذُ بصرف الأبصار عمّا يفعله لخفة يدٍ، وما يفعله النَّمَامُ بقولٍ مزخرفٍ عائقٍ للأسماع وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾³ ... والثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه ... والثالث ما يذهب إليه الأغنام وهو اسم لفعل يزعمون أنّه من قوّته يُغيّرُ الصور والطبائع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المُحَصِّلِينَ»⁴.

أمّا ابن منظور فيقول: «قال الأزهري: السُّحْرُ عمل تُقَرَّبُ فيه إلى الشيطان وبمعاونة منه ... ومن السُّحْرِ الأُخْذَةُ التي تأخذ العين حتى يُظَنَّ أَنَّ الأمرَ كما يرى وليس الأصل على ما يرى، والسَّحَرُ: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطَفَ ما أَخَذَهُ ودَقَّ، فهو سِحْرٌ، والجمع أسحارٌ وسحورٌ، وسحره يسحره سحراً وسِحْراً وسَحَرَهُ، ورجل ساحرٌ من

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (2)، ص 678 و 679.

² ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (3)، ص 138.

³ الأعراف: 116.

⁴ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 254.

قوم سَحَرَةٍ وَسُحَّارٍ من قوم سَحَرِينَ ... والسَّحَرُ: البيان في فطنية ... قال الأزهري:
وأصل السَّحَرُ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأنَّ السَّاحِرَ لما رأى الباطل في
صورة الحق وَخَيَّلَ الشيء على غير حقيقته، قد سَحَرَ الشيء عن وجهه أي صَرَفَهُ ...
السَّحَرُ: الفساد ... والسَّحَرُ والسَّحَرُ: آخر الليل قبيل الصبح»¹.

فكلمة "سحر" تحمل إذن معاني عدة بحسب الصيغ الواردة فيها: فالسحر يعني:
الخداع، والفساد، والصَّرْفُ، والأخذة التي تأخذ العين.

أما اصطلاحاً، فقد جاءت الكلمة في صيغة المضارع مبني لما لم يُسم فاعله
﴿تُسَحَّرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسَحَّرُونَ﴾² ، فكل المفسرين
يرون أنَّ المعنى: كيف تُخدعون وتُصرفون عن طاعة الله وتوحيده؟، بعدها كلُّ
وأسلوبه في التفسير.

يرى كلُّ من النَّسْفِي وإِسْمَاعِيل حَقِّي والألوسي أنَّ المعنى هو: فكيف تُصرفون
وتُخدعون وتُبعدون عن طاعة الله وتوحيده مع علمكم أنكم ما عليه هو بغي؟، فكيف
لعقولكم أن تقبل عبادتكم مع الله غيره رغم اعترافكم بأنه هو الخالق المدبِّر³.

أما المراغي فقد أبان ذلك قائلاً: « أي قُلْ لهم على طريق الاستهجان والتوبيخ:
كيف تُخدعون وتُصرفون عن توحيد الله وطاعته؟ فأنتم بعبادة الأصنام أو بعض البشر
قد سحرت عقولكم كأنَّما غابت عن رشدِها، واعتراها الذهول فتصورت الأشياء على
غير ما هي عليها»⁴.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (4)، ص 348.

² المؤمنون : 89.

³ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 479.

. ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 101.

⁴ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 49.

وقريب من هذا ما قاله سيد قطب: « فمالهم يُصرفون عن عبادة الله؟ وما لعقولهم تتحرف وتتخبط كالذي هَشَّهُ السَّحَرُ: "قُلْ: فَأَنَّى تسحرون؟" ألا إِنَّه الاضطراب والتخبط الذي يُصاب به المسحرون! »¹.

ومثله محمد علي الصابوني يقول: « أَي قُلْ لهم: فكيف تُخدعون وتُصرفون طاعته وتوحيده مع اعترافكم وعلمكم بأنَّه وحده المتصرف المالك؟ »².

10/خسأ:

لغة: جاء في الصحاح: « خَسَأْتُ الْكَلْبَ خَسْأً: طَرَدْتُهُ ... أَبُو زَيْدٍ: خَسَأَ بَصَرُهُ خَسْأً وَخَسُوعاً أَي سَدَرَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾³ ، وَتَخَاسَأَ الْقَوْمُ بِالْحَجَارَةِ: تَرَامَوْا بِهَا »⁴.

وقريب من هذا ما قاله أحمد بن فارس: « الخاء والسين والهمزة يدلُّ على الإبعاد، يُقَالُ خَسَأْتُ الْكَلْبَ وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾⁵ ... ، كَمَا يُقَالُ ابْعُدُوا »⁶.

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلاً: « خَسَأْتُ الْكَلْبَ فَخَسَأُ أَي زَجَرْتُهُ مُسْتَهِينًا بِهِ فَانْزَجَرَ وَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ لَهُ اخْسَأْ، قَالَ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْكَفَّارِ ... ﴿فَلَمَّا عَتَوْا

¹ قطب سيد : في ظلال القرآن، ص 2478.

² الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 318.

³ الملك : 04.

⁴ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(1)، ص 47.

⁵ المؤمنون : 108.

⁶ ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (2)، ص 182.

عَنْ مَا يُهَوُّ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴿١﴾ ... ، ومنه "خسأ البصر" أي انقبض عن مهانة².

أما ابن منظور فيقول: « الخاسئ من الكلاب والخنازير والشياطين: البعيد الذي لا يُترك أن يدنو من الإنسان، والخاسئ: المطرود، وخسأ الكلب يخسؤه خساً وخُسوءاً، فخسأ وانخسأ: طرده ... والخاسئ: المبعد ... وقال الزجاج: خاسئاً أي صاغراً ... وتخاسأ القوم بالحجارة: تراموا بها³. »

إن كلمة "خسأ" لغة فيها نوع من الإهانة، إذ تعني: طرد وأبعد و زجر، تستعمل في الأصل للكلاب.

أما اصطلاحاً فقد جاءت الكلمة فعل أمر ﴿أَخْسُؤْا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْسُؤْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾⁴، واقتصرت على معنى "امكثوا فيها أذلاء صاغرين مهانين، وانزجروا ككلاب".

قال النسفي: « اسكتوا سكوت ذلة وهوان⁵، وإلى هذا يذهب الألوسي قائلاً: « أي ذلوا وانجروا انزجار الكلاب إذا زجرت ... أو اسكتوا سكوت هوان ... وقيل: ولا تكلمون في رفع العذاب⁶. »

¹ الأعراف: 166 .

² الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 168.

³ ابن منظور: لسان العرب ، ج(1) ، ص65.

⁴ المؤمنون : 108.

⁵ النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 483.

⁶ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 266.

وأما المراغي فيقول: « امكثوا فيها أذلاء صاغرين واسكتوا، ولا تعودوا إلى مثل سؤالكم فإنه لا رجعة لكم في الدنيا»¹، ومثل ذلك ما قاله الصابوني: « ذلوا في النار وانزجروا كما تزجر الكلاب ولا تكلموني في رفع العذاب»².

أما الزحيلي فقد فسر ذلك قائلا: « قال الله للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى الدنيا: امكثوا فيها - أي في النار - أذلاء صاغرين مُهانين، واسكتوا ولا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي، ولا رجعة في الدنيا»³.

11/لفح:

لغة: جاء في الصحاح: « لَفَحَتُهُ النَّارُ وَالسَّمُومُ بِحَرِّهَا أَحْرَقَتْهُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَا كَانَ مِنَ الرِّيحِ لَفَحٌ فَهُوَ حَرٌّ، وَمَا كَانَ مِنَ الرِّيحِ نَفْحٌ فَهُوَ بَرْدٌ، وَلَفَحَتُهُ بِالسَّيْفِ لَفَحَةً، إِذَا ضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً خَفِيفَةً. »⁴.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « اللام والفاء والحاء كلمة واحدة، يُقال: لَفَحَتُهُ النَّارُ بِحَرِّهَا وَالسَّمُومُ إِذَا أَصَابَهُ حَرُّهَا فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ. »⁵ ، ولا يخرج عن ذلك الراغب الأصفهاني إذا يقول: « يُقال لَفَحَتُهُ الشَّمْسُ، وَالسَّمُومُ، قَالَ: ﴿قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾... وعنه استعير لَفَحَتُهُ بالسيف. »⁶.

¹ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 59.

² الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير، ص 321.

³ ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 108.

⁴ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 401.

⁵ ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (5)، ص 259.

⁶ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 507.

أما ابن منظور فقد شرح ذلك قائلا: « لَفَحَتُهُ النَّارُ تَلَفَحُهُ لَفْحًا وَلَفَحَانًا: أَصَابَتْ وَجْهَهُ ... وقال الأزهري: لَفَحَتُهُ النَّارُ إِذَا أَصَابَتْ أَعْلَى جَسَدِهِ فَأَحْرَقَتْهُ ... لَفَحُ النَّارِ: حَرْبُهَا وَهَجُّهَا. وَالسَّمُومُ تَلَفَحُ الْإِنْسَانَ، وَلَفَحَتَتْهُ السَّمُومُ لَفْحًا: قَابَلَتْ وَجْهَهُ»¹.

إذن كلمة "لفح" لغة تعني: إصابة الوجه أو الجسم بالنار أو الإحراق أو الضرب بالسيف.

أما اصطلاحًا، فقد وردت فعل مضارع ﴿تَلَفَحُ﴾ في قوله: ﴿تَلَفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾²، أي تحرق وجوههم بلهيبها و هجها، وتأكل لحومهم وجلودهم إلى درجة تقلص الشفاه عن الأسنان، وهذا ما توافق عليه المفسرون.

يرى كل من النسفي والقرطبي وإسماعيل حقي أن لفح الوجوه بالنار يعني إحراقها وتشويهها لشدة لهيبها و هجها³، وقريب من هذا ما قال المراغي: « تَحْرُقُ النَّارُ وَجُوهَهُمْ وَهُمْ فِيهَا مَنْقَلَصُوا الشَّفَاهُ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ اللَّفْحِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْوُجُوهَ مِنْ بَيْنِ بَاقِي الْأَعْضَاءِ، لِأَنَّهَا أَشْرَفُهَا، فَذَكَرَ مَا يَنْبَغُهَا مِنْ أَلَمٍ، وَيَلْحَقُهَا مِنْ أَذَى، يَكُونُ أَزْجَرَ عَنْ الْمَعَاصِي الَّتِي تَصِلُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ»⁴.

ومثله ما قاله الصابوني: « أي تحرقها شدة حرّها، وتخصّص الوجوه بالذكر لأنّها أشرف الأعضاء»⁵، ولا يخرج عن تلك المعاني الزحيلي إذ يقول: « وتَحْرُقُ النَّارُ

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (2)، ص 579.

² المؤمنون : 104.

³ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 482.

. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 152.

. ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ج (6)، ص 109.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 58.

⁵ الصابوني محمد علي : صفوة التفسير، ص 320.

وَجُوهَهُمْ وَتَأْكُلُ لَحُومَهُمْ وَجُلُودَهُمْ، وَهُمْ فِي النَّارِ عَابِسُونَ، مَتَقَلِّصُوا الشَّفَاهُ عَنِ
الْأَسْنَانِ»¹.

12/ فاز:

لغة: جاء في الصحاح: « الْفَوْزُ: النَّجَاةُ وَالظَّفَرُ بِالْخَيْرِ، وَالْفَوْزُ أَيْضًا: الْهَلَاكُ
... وَالْمَفَاذَةُ أَيْضًا: وَاحِدَةُ الْمَفَاوِزِ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مَهْلَكَةٌ، مِنْ
فَوْزٍ أَيْ هَلَكَ»².

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الفاء والواو والزاي كلمتان متضادتان .
فالأولى النّجاة والأخرى الهلكة. فالأولى قولهم: فاز يفوز، إذ نجّا وهو فائز. وفاز
بالأمر إذا ذهبض به وخلص ... والمفازة: المنجاة »³.

أمّا الراغب الأصفهاني فقد تقارب مع تلك الآراء قائلا: « الفوز الظفر بالخير مع
حصول السلامة، قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾⁴ ... والمفازة قيل: سُمِّيَتْ تَفَاوُلاً لِلْفَوْزِ ...
وقال بعضهم: سميت مفازة من قولهم فَوَّزَ الرجل إذا هلك»⁵.

وأما ابن منظور فيقول: « الفوز: النجاة والظفر بالأمنية والخير ... والفوز أيضا:
الهلاك. فاز يفوز وفوّز أي مات ... وفاز الرجل وفوّز: هلك»⁶.

إذن كلمة "فاز" لغة لها معنيان متناقضان: الأول: النّجاة والظفر بالخير،
والثاني: الهلاك والموت.

¹ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير الوسيط، ج (2)، ص 1721.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (3)، ص 890.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (4)، ص 459.

⁴ البروج : 11.

⁵ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 433.

⁶ ابن منظور : لسان العرب، ج (5)، ص 393.

أَمَّا اصطلاحاً، فقد جاءت اسماً في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾¹ ، واقتصرت على معنى محدّد وهو الظفر بالسعادة والسلامة والنعيم المقيم في الجنّة، والنجاة من النار أخروباً، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

يرى كلّ من النّسفي والقرطبي والألوسي أنّ المعنى هو الظفر بالجنّة والنجاة من النار²، وقريب من هذا ما قاله المراغي: « إِنِّي جَزَيْتُهُمْ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْأَذَى وَالسَّخَرِيَّةِ بِهِمْ بِالْفَوْزِ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، وَالْخُلَاصَةِ إِنَّهُمْ صَبَرُوا فَجُوزُوا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ »³.

ولا يخرج عن تلك المعاني وهبة الزحيلي إذ يقول: « أَيِ إِنِّي جَزَيْتُهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَاكُم لِهِمْ وَاسْتَهْزَائِكُمْ بِهِمْ بِالْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَالسَّلَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ فِي الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ »⁴.

المطلب الثاني: مدى توازنها مع الآيات والسورة

عرفنا سابقاً أنّ السورة مكية تعالج موضوعاً يمسّ العقيدة ألا وهو الإيمان والكفر، قُسمت إلى أربعة مقاطع، كلّ مقطع يتناول موضوعاً من المواضيع ، تتخذ له مفردات في غاية الدقّة، تصبّ مباشرة في دلالة السورة، لا يمكن لغيرها أن تأخذ مكانها، ويستحيل تغيير هيئتها، أو تقديمها أو تأخيرها عن مكانها الأصلي، فلو حدث ذلك لكان الاضطراب والخلل داخل السورة وآياتها.

¹ المؤمنون: 111.

² ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 483.

. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 155.

. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 268.

³ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 60.

⁴ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 109.

فكل كلمة جاءت لموضع معيّن، ولأداء معنىّ محدداً يتناسب ومعاني الكلمات المجاورة لها، و وفق سياق خاص، وفي إطار آية من الآيات، وداخل المقصد العام للسورة، فهذا هو المقصود من التوازن الإفرادي في السورة، فأَيُّ تغيير في بنية الكلمة أو في موضعها أو استبدالها بغيرها من الكلمات يحدث خلاً ومن ثمةً ينعدم التوازن.

فالمقطع الأول يتحدث عن فلاح المؤمنين وأوصافهم الجليلة التي أهلتهم لذلك، وعن دلائل ذلك الإيمان في الأنفس والآفاق، وما الكلمات المنتقاة إلا إشارة لذلك وهي: ﴿أَفْلَحَ﴾، و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿خَلَقْنَا﴾.

فكلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ هي فعل ماض يثبت به المعنى مع اقتضاء التجدد شيئاً فشيئاً كما يقول عبد القاهر الجرجاني¹ تسبقها "قد" التي للتحقيق والتأكيد، دلّت على ثبوت ما يَرْجُوهُ المؤمنون من البشارة، حملت هذه الكلمة معاني شاملة لا تحملها غيرها كـ "فاز" التي تقتضي الظفر بالخير في الدنيا أو بالجنة في الآخرة، بينما الفلاح فيكون دنيوياً وأخروياً معاً، فهو الظفر بالخير والنصر والتوفيق والمتاع الطيب والسعادة في الأرض، والفوز والنجاة والثواب والرضوان في الآخرة².

وقد توازن مع كلمة ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم هم المقصودون بالفلاح، لاكتمال إيمانهم وصبرهم أمام الصعاب والابتلاءات، وعلى أذى الكفار لهم وتحملهم الشدائد، ف﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ جمع مُؤْمِنٍ وهو عبارة عن اسم فاعل دال على من وُصِفَ بالإيمان القلبي المنعكس في لسانه و جوارحه، والمُصَدِّق بكلّ ما جاء به النبي (ص) وبلغه عن ربه عز وجلّ.

¹ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 174.

² ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 303.

يدلُّ هذا الاسم حسب نظرة عبد القاهر الجرجاني على ثبوت المعنى به من غير تجدده¹، فهو يَصْبُ مباشرة في المغزى العام من السورة، لأنَّه يحمل أهم قضية في القصيدة ألا وهي الإيمان.

أما كلمة ﴿خَلَقْنَا﴾ فهي تُبرز قدرة الله تعالى في الكون بما فيه وما عليه، ودليل وجوده تعالى، فهي فعل ماضٍ دالٌّ على ثبوت المعنى به مع التجدد، يُقصد بها إيجاد على غير مثال كخلق السموات والأرض، وإيجاد الشيء من الشيء كخلق الإنسان من الطين والنفطة، تحمل معاني شاملة كالإيجاد والإبداع والإنشاء والصنع تعجز عن حملها كلمة أخرى، فهذا الفعل خالد غير مرتبط بزمن معين، لأنَّ الرحمان خلق ويخلق وسيخلق إلى أن يرث الله لأرض ومن عليها².

أما المقطع الثاني فيتحدَّث عن حقيقة الإيمان التي تَوَافَق عليها الرسل ابتداءً من نوح عليه السلام إلى محمد (ص)، واعتراض المكذِّبين لما جاؤوا به، ودعوة الرسل ربَّهم بإهلاك الكفار، ونجاة المؤمنين، يشير إلى ذلك الكلمات: ﴿أَعْبُدُوا﴾، و ﴿مَبْعُوثِينَ﴾، و ﴿الْمُهْلَكِينَ﴾.

فكلمة ﴿أَعْبُدُوا﴾ فعل أمر ثبت به المعنى مع اقتضاء التجدد، وهو خالد لا يحدُّه زمان، فعبادة الله غير مقتصرة على مجموعة معينة أو في زمن معين، فهي مستمرة باستمرار الحياة إلى يوم الدين، وما يدلُّ على ذلك هذا المقطع الذي وردت فيه هذه الكلمة، فكلُّ رسول يأتي إلَّا ويدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ابتداءً من نوح عليه السلام وانتهاءً بمحمد (ص)، كما أنَّ الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الله لقوله

¹ ينظر : المرجع السابق.

² ينظر : الدجني عبد الفتاح: الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط(1)، 140هـ/1984م، ص 198.

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ مَّا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾¹.

فعبادة الله تعني الاستسلام له والتذلل له وحده وتوحيده وطاعته قلبا وقولا وفعلا، وعدم إشراك غيره معه²، وقد توازن ذلك مع الكلمات المجاورة لها لاسيما ﴿اللَّهُ﴾ ، ومع السورة لأنها تصب في موضوع العقيدة ألا وهو الإيمان والتوحيد.

أما كلمة ﴿مَبْعُوثِينَ﴾ فهي الأخرى تكشف ما يمس العقيدة وهو الإيمان بالبعث والحساب والجزاء، فهي اسم مفعول دال على وصف من وقع عليه الفعل، وعلى ثبوت الصفة فيه، تخص الكفار الذين ينفون البعث والنشور والآخرة، ويؤمنون بوجود حياة واحدة ألا وهي الدنيا لقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَحَيَاتٍ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾³ ، فقد تناسب ذلك مع الآية ومع السورة في حد ذاتها.

وفيما يخص كلمة ﴿الْمُهْلَكِينَ﴾ فهي تعكس الكفر المؤدي إلى الهلاك، جاءت اسم مفعول دال على وصف من وقع عليه الفعل وثبوته فيه، تخص فرعون وملئه الذين كفروا بما جاء به موسى عليه السلام واستكبارهم وتمردهم، فعاقبهم الله وعجل لهم العذاب بالغرق في اليم ليكونوا عبرة لغيرهم⁴، فكان ذلك أدق وصف لعقابهم مما لو استبدل بـ "المغرقين" مثلا.

¹ الذاريات : 56 و 57 و 58.

² المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص17.

³ المؤمنون: 37.

⁴ ينظر:النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ص470.

تطرق المقطع الثالث إلى اختلاف الناس وتفرقهم حول الحقيقة التي جاء بها الرسل، ثم التوقف مع محمد (ص) ومعتزليه الذين كذبوه رغم معرفتهم به وبأخلاقه وما الكلمات المختارة إلا إشارة لذلك: ﴿عَمْرَ﴾، و ﴿مُبْلِسُونَ﴾، و ﴿تُسْحَرُونَ﴾ .

فمفردة ﴿عَمْرَ﴾ شملت معاني الضلالة والغفلة والحيرة والجهالة¹، فعبرت بدقة عن ذلك ممّا لو غيّرت بـ "غفلتهم" أو "عمائتهم"، فهي اسم دلّ على ثبوت المعنى به من غير تجدد، عكست صورة الكفار وهم يتخبطون في جهالتهم وضلالاتهم وغفلتهم عن توحيد الله، وانغماسهم بالملذات والمتاع والترف، فجاء ذلك متوازنا مع الآية و وصف الكفار وهم بعيدون عن توحيد الله ، ومع السورة أيضا لأنها تعالج قضية الكفران .

أمّا كلمة ﴿مُبْلِسُونَ﴾ فهي اسم فاعل دلّ على وصف من قام بالفعل والثبوت به، عكست حالة الكفار الذين لم يؤمنوا بالآخرة ، وزاغوا عن الحق، وكذبوا الرسول (ص)، فلما نزل عليهم العذاب وفاجأهم به إذا هم في حيرة ويأس من كل خير، وانقطع رجائهم من رحمة الله، بل هم مطرودون منها نتيجة أعمالهم الشنيعة².

فهذا الوصف هو الأدقّ والمناسب لحالتهم تلك، يستحيل لكلمة أخرى أن تكشف ذلك كـ "متخبرون" أو "يائسون" لأنّ هذين المثالين هما ضمن معانيها، أضف إلى ذلك، أنّ تلك الكلمة توازنت مع وصف حالة الكفار وتأخت مع معاني الكلمات المجاورة لها داخل الآية، ومع المقصد العام للسورة، لأنّها تمسّ ما له علاقة بالعقيدة ألا وهو: عدم الإيمان والكفر بوحديته تعالى، وبما أنزله على محمد (ص).

¹ ينظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ص130.

² ينظر: الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، ص317.

أَمَّا عَنْ الْفَعْلِ ﴿تُسْحَرُونَ﴾ فهو مبني لما لم يُسمَ فاعله، يدل على معنى ثابت به ومتجدد كما يقول عبد القاهر الجرجاني¹، فهو وصف صادق ودقيق لحالة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا بالبعث ولا بالجزاء، وصددهم عن توحيد عز وجلٍّ، ومدى سيطرة وساوس الشياطين والأهواء عليهم إلى درجة السحر، فلا تقدر أيّ كلمة على هذا الوصف الدقيق كـ "تُخدعون" أو "تصرخون" لأنَّهما ينضويان ضمن معانيها، وهذا يكشف مدى توازنهما مع ذلك الوصف وتلك الحالة.

والمقطع الرابع تناول حث النبي (ص) على ترك المشركين وزعمهم والكشف عن هلاك الكفار يوم الحساب والجزاء وفوز المؤمنين بالجنة، ومن الكلمات المشيرة إلى ذلك: ﴿تَلْفَحُ﴾ ، و ﴿أَخْسَعُوا﴾ ، و ﴿الْفَآيُزُونَ﴾ .

أَمَّا كَلِمَةُ ﴿تَلْفَحُ﴾ فهي فعل مضارع دالٌّ على ثبوت المعنى به وتجده، يعكس حالة الذين صَدُّوا عن توحيد الله، وأنكروا البعث والنشور وهم في جهنم خالدين، ولهيب النار و هجها يحرق وجوههم، ويأكل جلودهم ولحومهم إلى درجة تقلص الشفاه عن الأسنان، وتشوه المنظر، وخصصت الوجوه دون الأعضاء الأخرى لأنَّها أشرفها، وبها يتباهى الإنسان.

فهذا الوصف الدقيق تعجز عنه الكلمات الأخرى لو استبدلت بها، كـ "نفح" على سبيل المثال، وكما يقول المفسرون²، فَإِنَّ "لَفَحَ" أَبْلَغُ التَّعْبِيرِ وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ "نَفَحَ" رَغْمَ

¹ ينظر : الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 174.

² ينظر : . الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 265.

وجود آيات ذكرت هذه الكلمة، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾¹ ، فالموضع الذي نتكلم عنه لا تُلائمه إلا "لفح" لتصوير بشاعة المنظر والعقاب الشديد الذي لحق بالكفار.

أما كلمة ﴿أَحْسُوا﴾ فهي فعل أمر دال على ثبوت المعنى به مع اقتضاء التجدد، تصور حالة الذل والمهانة التي يعيشها الكفار وهم في نار جهنم، فلما طلبوا من الله تعالى فرصة ثانية لعمل الصالحات زجرهم كما تُزجر الكلاب، وردعهم، وأهانهم، ومنعهم من الكلام²، وليس لكلمة أخرى قدرة على تصوير ذلك كـ "انزجروا" لأنها متضمنة فيها.

وفيما يخص مفردة ﴿الْفَائِزُونَ﴾ فهي اسم فاعل دل على وصف من قام بالفعل، تعكس صورة المؤمنين وهم في قمة السعادة لما جزاهم الله الجزاء الأوفى وهو الفوز بجنة النعيم أخروياً نتيجة إيمانهم بوحدانيته، وصبرهم على الشدائد والابتلاءات، وسخرية الكفار منهم.

ومما أكد ذلك الجزاء مجيء الكلمة على صيغة اسم فاعل دال على ثبوت الفوز لهم، ثم وجود ضمير الفعل (هم) الذي وظيفته التأكيد وإزالة الشك والاحتمال، فلو حدث واستبدلنا ذلك الاسم بفعل وقلنا "فازوا" لعجز عن التعبير عن كل المعاني السابقة، لأنه يقتضي التجدد شيئاً فشيئاً، والسياق يتطلب بشارة ثابتة لا احتمال فيها.

¹ الأنبياء : 46.

² ينظر: . ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ح(1) ، ص 109.

المبحث الثاني: التوازن الإفرادي في سورة الأحزاب

المطلب الأول: نماذج من الكلمات ومفهومها اللغوي والاصطلاحي

1/ وكل:

لغة: قال الجوهري: « يُقال: فلانٌ وكَلَهُ تَكْلَةً، أي عاجزٌ يَكِلُ أمره إلى غيره، ويَتَكَلَّ عليه ... والوكيل معروف. يقال: وَكَّلْتُهُ بأمر كذا توكيلاً، والاسم الوَكَّالَةُ والوكَّالَةُ، والتَوَكَّلُ: إظهار العجز، والاعتماد على غيرك ... واتَّكَلْتُ على فلانٍ في أمري، إذا اعتمدته»¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الواو والكاف واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على اعتماد غيرك في أمرك ... والتَوَكَّلُ منه وهو إظهارُ العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، و واكَلَ فلانٌ إذا ضيَّع أمره مُكَلِّلاً على غيره، وسَمِّيَ الوكيلُ لِأَنَّهُ يوكَلُ إليه الأمرُ»².

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد فصلَّ في ذلك قائلاً: « التَّوَكَّلُ أنْ تعتمدَ على غيرك وتجعلهُ نائباً عنك، والوكيلُ فعيل بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾³ ... أي اكَتَفَ به أن يتولى أمرك ويتَوَكَّلَ لك ... والتَوَكَّلُ يقال على وجهين، يقالُ تَوَكَّلْتُ لفلان بمعنى تولَّيتُ له، ويُقالُ وَكَّلْتُهُ فتَوَكَّلَ أي: وتَوَكَّلْتُ عليه بمعنى اعتمدته»⁴.

ولا يخرج ابن منظور عن هذه المعاني إذ يقول: « في أسماء الله تعالى الوكيل: هو المقيمُ الكفيلُ بأرزاق العباد، وحقيقتهُ أَنَّهُ يستقلُّ بأمر الموكول بأمر الموكول إليه

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 1844 و 1845.

² ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (6)، ص 136.

³ الأحزاب: 48.

⁴ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 604 و 605.

... والمتوكل على الله: الذي يعلم أنَّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره، ابن سيده: وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه ... وتواكل القوم مواكلةً وكالاً: اتكل بعضهم على بعض»¹.

إذن مادة "وكل" تخرج منها معانٍ مختلفة بحسب الصيغة التي عليها منها: وكل إليه الأمر أي سلمه إليه، وكل فلان فلاناً أي استكفاه أمره، الوكيل بمعنى الكفيل بأرزاق العباد، اتكلت على فلان بمعنى اعتمدت عليه.

أما اصطلاحاً، فقد وردت فعل أمر "توكل" في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وكفى بالله وكيلاً ﴿٢﴾، واقتصر على معنى: فوض جميع أمورك وأحوالك إلى الله عز وجل، واعتمد عليه في جميع شؤونك، فهو وحده جالب النفع ودافع الضرر، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

يرى النسفي أن المعنى هو: أسند كل أمورك إليه ووكله إلى تدبيرها، وفوضها إليه وحده³، وفي موضع آخر يقول الألوسي: «أي فوض جميع أمورك إليه عز وجل، وكفى بالله وكيلاً حافظاً موكولاً إليه كل الأمور»⁴.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (11)، ص 734 و 735 و 736.

² الأحزاب: 03.

³ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج (3)، ص 15.

⁴ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج (11)، ص 143.

وشبيه لهذا ما قاله الصابوني: «أي اعتمد عليه، والجأ في أمورك إليه»¹، ولا يخرج وهبة الزحيلي عن تلك المعاني قائلا: «أي فوض جميع أمورك وأحوالك إلى الله، وكفى به وكيلا لمن توكل عليه، وأناب إليه»².

2/ قسط:

لغة: جاء في الصحاح: «القسط: الجور والعدول عن الحق، وقد قسطَ يَقْسطُ قُسُوطاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾»³، والقسط بالكسر: العدل تقول أقسط الرجل فهو مُقسطٌ ... والقسط: المكيال، وهو نصف صاع ... والقسط: الحصة والنصيب»⁴.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: «القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد، فالقسط: العدل، ويقال منه أقسطَ يَقْسطُ ... والقسطُ بفتح القاف: الجور، والقسط: العدول عن الحق. يقال قسطَ إذا جَارَ ... والقسطاس: الميزان»⁵.

أمّا الراغب الأصفهاني فلم يخرج عن تلك المعاني حينما قال: «القسط هو النصيب بالعدل كالنصف والنصفة قال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾»⁶ ... والقسط هو أن يأخذ قسطَ غيره وذلك جورٌ، والإقساط أن يُعطي قسطَ غيره وذلك

¹ الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، المجلد (2)، ص 511.

² ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج (21)، ص 229.

³ الجن: 15.

⁴ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (3)، ص 1152.

⁵ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (5)، ص 85 و 86.

⁶ يونس: 04.

إنصاف، ولذلك قيل قَسَطَ الرجلُ إذا جَارَ، وأَقْسَطَ إذا عَدَلَ ... والقَسْطَاسُ الميزانُ
ويعبرُ به عن العدالة كما يعبرُ عنها بالميزان»¹.

أما ابن منظور فيقول: « في أسماء الله تعالى الحسنَى المُقْسِطُ: هو العادل، يُقال:
أَقْسَطَ يَقْسِطُ، فهو مُقْسِطٌ إذا عدل، وقَسَطَ يَقْسِطُ، فهو قَاسِطٌ إذا جَارَ، فكأنَّ الهمزة في
أَقْسَطَ للسلب كما شكا إليه فأشكاه ... القسِطُ: الميزان سُميَ به من القِسطِ العَدْلِ ...
وقيل: أراد بالقِسطِ القِسمَ من الرزق الذي هو نصيبُ كُلِّ مخلوقٍ، وخَفَضَهُ تَقْلِيلُهُ، ورفعهُ
تَكْثِيرُهُ والقِسطُ: الحصة والنصيب»².

إذن هذه الكلمة تحمل معانيَ مختلفة باختلاف الهيئة التي عليها، كالعدل،
والجور، والنصيب، والمكيال.

أما اصطلاحاً، فإنَّ الكلمة جاءت اسم تفضيل على وزن "أفعل" "أقسط" في قوله
تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾³، يُقصد بها: هو أعدلُ في شرع الله،
وأصوبُ من دعائكم إيَّاهم لغير آبائهم، أي قولوا: زيد بن حارثة، ولا تقولوا زيد بن
محمد، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

يرى النسفي أنَّ مناداة الابن باسم أبيه هو الأصوب والأرشد في حكم الله⁴،
وشبيه بهذا ما قاله القرطبي: « أي أعدلُ. فرفع الله حكمَ التبني ومنع من إطلاق لفظه،
وأرشد بقوله إلى أنَّ الأولى والأعدل أن يُنسب الرجل إلى أبيه نسباً»⁵، وقريب من هذا

¹ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 450.

² ابن منظور : لسان العرب، ج (7)، ص 377 و 378 و 379.

³ الأحزاب : 05.

⁴ ينظر: النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 17.

⁵ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 119.

ما قاله إسماعيل حقي: « فالمعنى انسبوا الأدعياء إلى الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة ... وفي كشف الأسرار هو أعدل وأقسط من دعائهم إيّاهم لغير آبائهم»¹.

وفي موضع آخر يقول الألوسي: « وأقسطُ أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل والمراد البالغ في الصدق ... والمعنى أعدل مما قالوه»².

ولا يخرج عن هذا كلّ من المراغي والصابوني إذ يريان أنّ الأقسط والأجدر القول: زيد بن حارثة وليس زيد بن محمد³.

أمّا وهبة الزحيلي فهو الآخر تقارب مع هذه المعاني حينما قال: « انسبوا إليهم، هو أقسط عند الله تقيّل لما سبق، وأقسطُ أفعل التفضيل، قصد به الزيادة مطلقاً، أي أعدل، والمراد: البالغ في الصدق»⁴.

3/ قول:

لغة: جاء في الصحاح: « قَالَ يَقُولُ قَوْلًا وَمَقَالًا وَمَقَالَةً. ويقال: كثر القيل والقال ... والمقول: اللسان ... وقولتني ما لم أقل، أي ادّعيته عليّ، وتقول عليه أي كذب عليه. واقتال عليه: لا تحكّم»⁵.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقلّ كلمه، وهو القول من النطق. يقال: قال يقول قولاً. والمقول: اللسان»⁶.

¹ ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 137.

² الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 146.

³ ينظر: . المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 128.

. الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 470.

⁴ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 232.

⁵ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 1806 و 1807.

⁶ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (5)، ص 42.

أما الأصفهاني فقد فصل في ذلك قائلاً: « والقول يستعمل على أوجهٍ أظهرها أن يكون للمرغب من الحروف المبرز بالنطق مفرداً كان أو جملة ... الثاني: يقال للمتصور في النفس قبل الإبراز باللفظ ... الثالث: للاعتقاد نحو فلان يقول بقول أبي حنيفة. الرابع: يقال للدلالة على الشيء ... والخامس: يقال للعناية الصادقة بالشيء ... السادس: يستعمله المنطقيون دون غيرهم في معنى الحد السابع في الإلهام»¹.

وأما ابن منظور فيقول: « الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان، تاماً كان أو ناقصاً، تقول: قال يقول قولاً، والفاعل قائل، والمفعول مقول ... ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبني الكلام منها كزيد من قولك زيد منطلق ... وتقول قولاً: ابتدعه كذباً، وتقول فلان عليّ باطلاً أي: قال عليّ ما لم أكن قلت وكذب عليّ ... واقتال عليهم: احتكم ... الليث: القيلولة: نومة نصف النهار وهي القائلة، قال يقلُّ»².

إن مادة " ق و ل " تختلف معانيها باختلاف الهيئة التي عليها، منها: الكلام على الترتيب، والتفاوض ، والادعاء ، والكذب، والاحتكام.

أما اصطلاحاً: فقد وردت اسماً في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ۖ ﴾³ ، واقتصرت على معنى: كلام باللسان مبني على الكذب والادعاء والاعتقاد الفاسد، ليس له حقيقة في الواقع، وهذا ما انفقت عليه آراء المفسرين.

قال النسفي: « أي أن قولكم للزوجة هي أم ولدّعي هو ابن قول تقولونه

¹ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 463.

² ابن منظور : لسان العرب، ج (11)، ص 572 و 579.

³ الأحزاب : 04.

بأسنتكم لا حقيقة له، إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأمر»¹.

بينما القرطبي فيرى أنَّ المقصود هو نفي الأشياء التي كانت تعتقدها العرب آنذاك، وهي فاسدة وباطلة، كاجتماع القلبين في جوف واحد، وعادة الظَّهَار والتَّبْنِي، والإعلام بحقيقة الأمر التي جاء بها الله تعالى.²

وشبيه بهذا ما رآه كلٌّ من إسماعيل حقي والألوسي إذ جعلاً ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ إشارة إلى ثلاث عادات فاسدة عند العرب في ذلك الوقت وهي: عادة التَّبْنِي والظَّهَار و ادعاء قلبين في الجوف الواحد، و﴿قَوْلُكُمْ﴾ إشارة إلى الإدعاء والكذب والاعتقاد الفاسد الذي لا يتطابق مع الواقع والخارج عن فطرة الإنسان.³

ولا يخرج المراغي عن سابقه حينما قال: «أي هذا الذي تقدّم من قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ودعاء من ليس بابنه أنّه ابنه إنّما هو قولكم بأفواهكم، لا حقيقة له، فلا تصوير الزوجة أما، ولا يثبت بهذا الدعاء دعوى النسب»⁴.

أمّا الصابوني فهو الآخر تقارب مع تلك المعاني حينما رأى أنّ المقصود هو: مجرد قول باللسان والفم ليس إلّا ، ولا يتطابق مع الواقع.⁵

1/نعم:

¹ النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 16.

² ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 117.

³ ينظر : . ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 136.

.الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 145.

⁴ المراغي : تفسير المراغي، ص 127.

⁵ ينظر : الصابوني محمد علي : صفوة التفسير، ص 511.

لغة: جاء في الصحاح: « النِّعْمَةُ: اليد والصَّنِيعَةُ، والمِنَّةُ وما أُنْعِمَ به عليك ... والنَّعِيمُ مثله. وفلانٌ واسعُ النِّعْمَةِ أي واسعُ المَالِ ... وفعل كذا وأنعمَ أي زاد. وأنعم الله بك عينا أي أقرَّ الله عينك بمن تحبُّه ... والتَّعِيمَةُ "شجرة والتَّعِيم: مَوْضِعُ بِمَكَّةَ" ¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنَّها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدلُّ على تَرْفِهِ وطيبِ عيشٍ وصَلاحٍ، منه النِّعْمَةُ: ما يُنْعَمُ الله تعالى على عبده به من مال وعيش ... والنِّعْمَةُ: المِنَّةُ. وكذا النَّعْمَاءُ ... والنُّعَامَى: الرِّيحُ اللينة. والنَّعَمُ: الإِبِلُ ... والأنعام: البهائم ... والنَّعَامَةُ معروفةٌ، لِنِعْمَةِ ريشها» ².

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « النِّعْمَةُ الحالةُ الحسنةُ ... والإنعام إِيصَالُ الإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ ... وَتَتَعَمُّ تَتَاوَلَ ما فِيهِ النِّعْمَةُ وَطِيبُ الْعِيشِ، يُقَالُ نَعَّمَهُ تَتْعِيمًا فَتَتَعَمَّ أَي جَعَلَهُ فِي نِعْمَةٍ أَي لِينِ عِيشٍ وَخَصِيبٍ ... النُّعَامَى الرِّيحُ الْجَنُوبِ النَّاعِمَةُ الْهَبُوبُ» ³.

وأمَّا ابن منظور فيقول: « النَّعِيمُ والنُّعْمَى والنَّعْمَاءُ والنِّعْمَةُ كُلُّهُ: الْخَفْضُ وَالذَّعَةُ وَالْمَالُ، وَهُوَ ضِدُّ الْبِأْسَاءِ وَالْبُؤْسَى ... وَنَعَمُ الشَّيْءِ نُعُومَةٌ أَي صَارَ نَاعِمًا لِينًا ... وَالتَّتَعُمُ: التَّرَفُّهُ ... نَعَمُ أَوْلَادِهِ: رَفَهُهُمْ ... وَالنِّعْمَةُ: الْيَدُ الْبَيْضَاءُ الصَّالِحَةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْمِنَّةُ وَمَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْكَ. وَنِعْمَةُ اللَّهِ بِكَسْرِ النُّونِ: مَنُّهُ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعَبْدَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ غَيْرُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ إِلَّا هُ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالْجَمْعُ مِنْهُمَا نِعَمٌ وَأَنْعَمَ ... وَالنَّعَامَةُ :

¹ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 2044.

² ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (5)، ص 447.

³ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 554 و 555.

باطن القدم، والنَّعامة: الطريق ... والنَّعامة: الظلمة، والنَّعامة: الجهل ... والنَّعامة: الفرح، والنَّعامة: الإكرام، والنَّعامة: المحبة الواضحة»¹.

إذن فمادة (ن ع م) تتضمن في طياتها معانٍ مختلفة باختلاف الهيئة التي عليها، منها: المنّة، والفضل، والإحسان، وطيب العيش ، والترقُّه، والظلمة، والجهل.

أمّا اصطلاحاً، فقد جاءت تلك المادة اسماً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾² ، واقتصر على معنى: مَنْ الله تعالى وفضله على المؤمنين يجعل النصر لهم في غزوة الأحزاب، إذ أرسل ريحاً عاتية في ليلة ظلماء شاتية، وجنوداً من الملائكة تآزر المؤمنين، وثبتتهم آنذاك على الإيمان، وبثّ الرعب في قلوب أعدائهم، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

يرى النسفي أن المقصود هو: اذكروا فضلَ الله وما أنعمه عليكم يوم الأحزاب³، وشبيه بهذا ما قاله المراغي: « أي تذكروا أيّها المؤمنون نعم الله التي أسبغها عليكم حين حوصرت أيام الخندق، وحين جاءتكم جنود الأحزاب ... فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة باردة أحصرتهم، وسفت التراب في وجوههم، وأمر ملائكته، فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور ... وقذف الرعب في قلوب الأعداء»⁴.

ولا يخرج وهبة الزحيلي عن تلك المعاني قائلاً: « أيّها المؤمنون بالله ورسوله اذكروا بالشكر والحمد بنعم الله التي أنعم بها عليكم حين وقعت في حصار جنود

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (12)، ص 579 إلى 590.

² الأحزاب : 09.

³ ينظر: النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 19.

⁴ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 139.

وحشود هائلة ... فبعثنا عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية، وملائكة لم تروها زلزلتهم وألقت الرعب في قلوبهم»¹.

5/ زَاغ:

لغة: جاء في الصحاح: « الزَّيْغُ: الميلُ، وقد زَاغَ يَزِيغُ. وزَاغَ البصرُ، أي تحلَّ. وأَزَاغَهُ عن الطريق، أي أَمَالَهُ وزَاغَتِ الشَّمْسُ أي مَالَتْ ... والزَّيْغُ: التَّمَايُلُ»².

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: «الزاء والياء والغين أصلٌ يدلُّ على ميل الشيء، يُقال زَاغَ يَزِيغُ زِيغًا والتَّزْيُغُ: التَّمَايُلُ»³.

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد قال: « الزَّيْغُ الميلُ عن الاستقامة والتَّزْيُغُ التَّمَايُلُ ورجلٌ زَائِغٌ وقومٌ زَاغَةٌ وزَائِغُونَ، وزَاغَتِ الشمسُ وزَاغَ البصرُ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ اللَّبَصَرُ﴾ [الأحزاب: 10] »⁴.

وأما ابن منظور فيقول: « الزَّيْغُ: الميلُ ... يُقال: زَاغَ عن الطريق يَزِيغُ إذا عدَلَ عنه ... وزَاغَ البصرُ أي كَلَّ. والزَّيْغُ: التَّمَايُلُ»⁵.

إذن هذه المادة تحمل معاني عدَّة بحسب الهيئة التي هي عليها كالميل، والعدول عن الشيء، والكَلُّ، والتَّبَرُّج .

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (4)، ص 1320.

² ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 266.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (3)، ص 41.

⁴ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 244.

⁵ ابن منظور : لسان العرب، ج (8)، ص 432.

أما اصطلاحاً، فقد وردت فعلاً في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾¹، واقتصرت على معنى: مالت الأبصار وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وخوفاً وشخوصاً لهول ما رأت من كثرة العدو، وقد توافقت آراء المفسرين مع هذا، فهذا النسفي يقول: « مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة، أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروح »²، وقريب من هذا ما قاله إسماعيل حقي: « والمعنى وحين ما لت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً لكثرة ما رأت من العدد والعدة فإنه كان مع قريش ثلاثمائة فرس وألف خمسمائة بعير »³. ولا يخرج المراغي عما قاله سابقوه إذ يقول: « أي وحين مالت الأبصار عن سننها، وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة، وخاف الناس خوفاً شديداً وفزعوا فزعاً عظيماً »⁴.

وقد وصف ذلك المشهد سيد قطب فقال: « وهو تعبيرٌ مصوِّرٌ لحالة الخوف والكربة والضيق، يرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب »⁵. أما وهبة الزحيلي فقد شرح ذلك قائلاً: « أي مالت الأبصار عن سننها، فلم تلتفت إلى العدو لكثرتة »⁶، والأمر نفسه نجده عند الصابوني⁷.

¹ الأحزاب : 10.

² النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 20.

³ ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان، ص 147.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 140.

⁵ سيد قطب : في ظلال القرآن، ص 2837.

⁶ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 267.

⁷ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 514.

6/ الأحزاب:

لغة: جاء في الصحاح: « الحِزْب: الوَرْدُ . وقد حَزَبْتُ القرآنَ . والحِزْبُ: الطَّائِفَةُ . وتَحَزَّبُوا: تَجَمَّعُوا ، والأحزابُ: الطَّوَائِفُ التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام . والحزابي: الغليظ القصير ... والحزباء: الأرض الغليظة»¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الحاء والزاء والباء أصل واحد، وهو تَجَمُّعُ الشَّيْءِ، فمن ذلك الحِزْبُ الجماعة من النَّاسِ ... والطائفة من كُلِّ شيء حزبٌ. »².

أما الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « الحِزْبُ جماعةٌ فيها غَلَطٌ ... عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي (ص) ...»³.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور حينما قال: « الحِزْبُ: جَمَاعَةُ النَّاسِ، والجمعُ أحزاب، والأحزابُ: جُنُودُ الكفار، تَأَلَّيُوا وتظاهروا على حزب النبي صل الله عليه وسلم وهم: قريش وغطفان وبنو قريظة ... وحِزْبُ الرجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه ... والحِزْبُ: الوَرْدُ ... والحِزْبُ: النَّصِيبُ ... الأحزابُ: الطوائفُ من النَّاسِ»⁴.

إذن فهذه المادة تتضمن معاني مختلفة باختلاف صيغها وهيئتها، منها: الجماعة، والطائفة من الناس، والورد، والنصيب، والأرض الغليظة.

أما اصطلاحاً فقد جاءت اسما في قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ^ط وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ^٥ ﴾ ، والمقصود هنا: طوائف من الكفار

¹ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 109.

² ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (2)، ص 55.

³ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 129 . 130.

⁴ ابن منظور : لسان العرب، ج (1)، ص 310.

⁵ الأحزاب : 20.

الكفار تألبوا وتظاهروا على حرب النبي (ص) وهم: قريش، وغطفان، وبنو قريظة، وبنو النضير وحلفائهم، وهذا ما تضمنته آراء المفسرين¹ ، قال القرطبي: « إِنَّ الذين جاؤوا من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان»²، وقريب من هذا ما رآه المراغي إذ يقول: « جنود الأحزاب من قريش وغطفان ويهود بني النضير الذين كانوا أجلاهم رسول الله صل الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر»³. وفي هذا يقول الصابوني: « الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة وبنو النضير، وكانوا زهاء اثني عشر ألفا»⁴.

أمَّا وهبة الزحيلي فقد فصلَ في ذلك قائلا: « الأحزاب وهم قريش بقيادة أبي سفيان، وغطفان بقيادة عيينة بن حصن، وبنو أسد بإمرة طليحة، وبنو عامر بزعامة عامر بن طفيل، وبنو سليم يقودهم أبو الأعور السلمي، وبنو النضير من اليهود برئاسة حيي بن أخطب وأبناء أبي الحقيق وبنو قريظة من اليهود أيضا وسيدهم كعب بن أسد، وقد نقض هؤلاء اليهود عهدهم مع النبي صل الله عليه وسلم، وتواطؤوا مع قريش، وبلغ مجموع الأحزاب عشرة آلاف أو زهاء اثني عشر ألفا. »⁵.

¹ ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20 ، ص217 و218

² القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 129.

³ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 139.

⁴ الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، 513.

⁵ ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 258.

لغة: جاء في الصحاح: « القنوت: الطاعة. هذا هو الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَنَتِينَ وَالْقَنَتِ﴾¹ ثم سمي القيام في الصلاة قنوتا»².

ويقرب من هذا ما قاله ابن فارس: «القاف والنون والتاء أصل صحيح يدلُّ على طاعة وخير في الدين، لا يعدو هذا الباب . والأصل فيه الطاعة، يُقال: قنت يَقْنُ قنوتًا. ثم سُمي كل استقامة في طريق الدين قنوتا، وقيل لطول القيام في الصلاة قنوتٌ، وسُمي السكوت في الصلاة والإقبالُ عليها قنوتًا»³.

ولا يخرج الراغب الأصفهاني عن هذه المعاني إذ يقول: «القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وفُسِّرَ كل واحد منهما في قوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]»⁴.

وأما ابن منظور فيقول: « القنوت: الإمساك عن الكلام: وقيل: الدعاء في الصلاة، والقنوت: الخشوع والإقرار بالعبودية والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية، وقيل: القيام ... وقال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة الطاعة، والسكوت. ... والقانت: المطيع، والقانت: الذاكر لله تعالى ... وقنت له: ذلٌّ»⁵.

إذن ف"قنت" لها معان مختلفة باختلاف هيئتها منها: الطاعة، والدعاء، الخشوع، والقيام وطوُّه، والسكوت والذل، والانقياد.

¹ الأعراب: 35.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 261.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (5)، ص 85 و 86.

⁴ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 460 و 461.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، ج (2)، ص 73 و 74.

أما اصطلاحاً، فقد وردت المادة فعلاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَلَاحًا تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا﴾¹، واسماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ﴾²، فالقنوت هنا معناه الطاعة في سكون وطمأنينة، والعبادة في خشوع، والخضوع لله ولرسوله مع المداومة على ذلك، وهذا ما توافق عليه المفسرون.

قال القرطبي: « والقنوت: الطاعة ... والقانت: العابد المطيع »³، وإلى هذا يذهب المراغي حينما يقول: « القنوت: هو الطاعة في سكون ... وهو دوام العمل في هدوء وطمأنينة ... فالإسلام والانقياد مرتبة تعقبها مرتبة الإذعان والتصديق، وينشأ عن مجموعهما القنوت والخضوع »⁴.

وشبيه بهذا ما قاله الصابوني: « أي ومن تواظب منكناً على طاعة الله وطاعة رسوله »⁵.

أما وهبة الزحيلي فهو الآخر يرى الرأي نفسه حينما قال: « أي ومن تطع منكناً الله ورسوله، وتخضع جوارحها، وتستجيب لأمر ربها، وتعمل صالح الأعمال، نضاعف لها الأجر والثواب مرتين لكونها من أهل بيت النبوة ومنزل الوحي »⁶.

¹ الأحزاب : 31.

² الأحزاب : 35.

³ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 176 و 185.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج (22)، ص 998.

⁵ الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير، ص 523.

⁶ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 7 و 8.

8/ طهر:

لغة: جاء في الصحاح: "طهر الشيء وطهر أيضا بالضم طهارةً فيهما. والاسم الطهر. وطهرته أنا تطهيراً. وتطهرت بالماء، وهم قوم يتطهرون، أي ينتزهون من الأدناس... والطر: نقيض الحيض... والطر: ما يتطهر به"¹.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الطاء والهاء والراء أصل واحد يدل على نقاء وزوال دنس ومن ذلك الطهر، خلاف الدنس. والتطهر: التنزه عن الدم وكل قبيح وفلان طاهر الثياب إذا لم يدنس... والطر: الماء »².

أما الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وحمل عليهما عامة الآيات، يقال طهرته فطهر واطهر فهو طاهر ومتطهر قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ [المائدة: 6] أي استعملوا الماء أو ما يقوم بهامه... ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: 108] فإنه يعلى تطهير النفس»³.

وأما ابن منظور فيقول: « الطهر: نقيض الحيض. والطر: نقيض النجاسة، والجمع أطهار.... والطر: اسم يقوم مقام التطهر بالماء: الاستنجاء والوضوء... والتطهر: التنزه والكف عن الإثم وما لا يجل. ورجل طاهر الثياب أي منزه»⁴.

¹ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج(2)، ص 727 و 728.

² ابن فارس: مقاييس اللغة، ج (3)، ص 428.

³ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 344 و 345.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ج (4)، ص 504.

إذن يخرج من هذه المادة معانٍ مختلفة كإزالة النجاسة والدنس، والغسل، والوضوء، والاستنجاء، والتترُّه عمَّا لا يحلُّ.

أمَّا اصطلاحاً، فقد جاءت هذه المادة فعلاً واسماً في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً﴾¹، واقتصرت على معنى تنزيه زوجات الرسول (ص) عن نجاسة الذنوب والمعاصي والفجور، وتعمير قلوبهنَّ بنور الإيمان، فالطهارة هنا معنوية وهذا ما قصده المفسرون، قال النسفي: « ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً﴾ من نجاسة الآثام، ثمَّ بيَّن أنَّه أعانهنَّ وأمرهنَّ ووعظهنَّ لئلا يفارق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم، وليتصونوا عنها بالتقوى »².

وإلى هذا يذهب إسماعيل حقي حينما رأى أنَّ المقصود هو: التطهُّر من أدناس المعاصي، وإذ هاب الفسق والرجس عن زوجاته صلى الله عليه وسلم³.

وشبيه بهذا ما قاله المراغي: « إنّما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت الرسول ويُطهركم من جنس الفسق والفجور الذي يعلّق بأرياب الذنوب والمعاصي »⁴.

أمَّا وهبة الزحيلي فقد شرح ذلك قائلاً: « أي سبب تلك الأوامر والنواهي والمواظ إنَّما هو لإذهاب المآثم عنكَّن، وتطهيركَّن من دنس المعاصي والذنوب، وتعمير قلوبكَّن بنور الإيمان ... وأمَّا الطاعات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر »⁵.

¹ الأحزاب: 33.

² النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 30.

³ ينظر: ابن مصطفى إسماعيل : روح البيان ص 171

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص 7 .

⁵ ابن مصطفى الزحيلي وهبة :التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص11.

لغة: جاء في الصحاح: « السَّرَجُ معروف ... وتُسمى الشمس سِرَاجاً، والمسرجة بالفتح: التي فيها الفتيلة والدهن والسُرْجُوجَةُ الطبيعة والطريقة»¹، وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « السين والراء والجيم أصلٌ صحيح يدلُّ على الحُسْنِ والزينة والجمال. ومن ذلك السَّرَاجُ سُمي لضيائه وحُسْنِهِ، ومنه السَّرَجُ للدابة هو زينته. ويقال سَرَجٌ وجهه أي حَسَنُهُ، كأنَّه جعله له كالسَّرَاج. »².

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد وضَّح ذلك قائلاً: « السَّرَاجُ الزاهرُ بفتيلةٍ ودهنٍ ويُعبَّرُ به عن كلِّ مضيءٍ، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ [نوح: 16] »³.

وأما ابن منظور فيقول: « السَّرَجُ: رَحْلُ الدابة، معروف، والجمع سُرُوج ... والسَّرَاجُ: المصباحُ الزاهر الذي يُسَرَجُ بالليل، والجمع سُرُج، والمسرجة: التي فيها الفتيل ... والشمس سِرَاجُ النهار، ... والهدى: سِرَاجُ المؤمن على التشبيه. التهذيب: قوله تعالى: ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾⁴، قال الزجاج: أي وكتاباً تبييناً المعنى أرسلناك شاهداً، وذا سِرَاجٍ مُنِيرٍ أي وذا كتابٍ مُنِيرٍ بَيِّنٍ ... قال الأزهري: وإنَّ جَعَلْتَ سِرَاجًا نعتاً للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان حسناً، ويكون معناه هادياً كأنَّه سِرَاجٌ يُهْتَدَى به في الظلم، وأسَرَجَ السَّرَاجَ: أوقدَهُ »⁵.

إذن فمادة "سرج" تخرج منها معانٍ عدة تختلف بحسب هيئتها، كالحسن، والتزيين، والمصباح الزاهر الذي يطفئ في الليل، ورحل الدابة، والشمس.

¹ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 322.

² ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (3)، ص 156.

³ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 257.

⁴ الأحزاب : 46.

⁵ ابن منظور : لسان العرب، ج (2)، ص 297.

أما اصطلاحاً، فقد جاءت تلك المادة اسماً في قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾¹، واقتصرت على معنى: هادياً من ظلمات الضلالة والشرك والجهل، ومبيناً عن الحق والطريق المستقيم كما يجلى ظلام الليل بالسراج المضيء وهذا ما توافق عليه المفسرون.

قال النسفي: «جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به... ووصف بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته»².

وشبيه بهذا ما قاله القرطبي: «وقيل: "سراجاً" أي: هادياً من ظلم الضلالة، وأنت كالمصباح المضيء»³.

والى هذا يذهب المراغي حينما يقول: «وسراجاً منيراً يستضيء بك الضالون في ظلمات الجهل والغواية، ويقتبس من نورك المهتدون، فيسلكون مناهج الرشد والسعادة»⁴.

ولا يخرج عن هذه المعاني الصابوني إذ يقول: «أي وأنت يا محمد كالسراج الوهاج المضيء للناس، يهتدى بك في الدهماء، كما يهتدى بالشهاب في الظلماء»⁵.

¹ الأحزاب : 46.

² النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 36.

³ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 201.

⁴ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 20.

⁵ الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير، ص 530.

أما وهبة الزحيلي فرأيه متقارب مع سابقيه لما قال: « وجعلناك ذا سراج أو كالسراج الوضاء الذي يستضاء به في الظلمات، ليهتدي بك الناس، ويستتبروا بشرعك في تحقيق سعادتي الدنيا والآخرة»¹.

10/ خضع:

لغة: جاء في الصحاح: « الخُضُوعُ: التَّطَامُنُ والتَّوَاضُعُ، يقال: خَضَعَ واختَضَعَ

وأخضَعَتِي إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ... الْأَخْضَعُ الَّذِي فِي عُنُقِهِ خُضُوعٌ وَتَطَامُنٌ خِلَقَةً »².

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الخاء والضاد والعين أصلان: أحدهما تضامنٌ في الشيء، والآخر جنس من الأصوات فالأول الخُضُوعُ. قال الخليل: خَضَعَ خُضُوعاً وهو الذلُّ والاستخاء ... قال ابن دريد: خَضَعَ الرجلُ وأخضَعَ إذا لَانَ كَلَامُهُ »³.

أما الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « الخُضُوعُ الخُشُوعُ وقد تقدّم »⁴، وقال في الخشوع: « الضَّرَاعَةُ وأكثر ما يُستعمل الخُشُوعُ فيما يوجد على الجوارح، والضَّرَاعَةُ أكثر ما تُستعمل فيما يوجد في القلب »⁵.

وأما ابن منظور فيقول: « الخُضُوعُ التَّوَاضُعُ والتَّطَامُنُ. خَضَعَ يَخْضَعُ خُضْعاً وَخُضُوعاً واختَضَعَ: ذَلَّ ... قال ابن الأعرابي: الخَضَعُ اللواتي قد خضعت بالقول

¹ ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 48.

² الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (3)، ص 1204.

³ ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (2)، ص 192.

⁴ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 168.

⁵ المرجع نفسه ، ص 167.

وَمِلْن، قال: والرجل يخاضع المرأة وهي تُخاضعه إذا خَضَعَ لها بكلامه، وخَضَعَتْ له ويطمَعُ فيها ... الخُضوعُ: الانقيادُ والمطاوعةُ ... وخَضَعَ وأخضَعَ أي انحنى»¹.

إذن هذه المادة لغة تعني الخُشوعُ والتطامنُ والانقيادُ والمطاوعةُ والذلُّ.

أما اصطلاحاً فقد وردت فعلاً في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾²، واقتصرت على معنى: لا ترخمن الصوت ولا تُلنَّ الكلام وترققنه عند مخاطبة الرجال فيطمع الذي في قلبه نفاق وريبة وفجور وفسق، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

قال الألوسي: «ومعنى لا تخضعن بالقول لا تجبن بقولكن خاضعاً أي ليناً خنثاً على سنن كلام المربيات والمومسات، وحاصله لا تُلنَّ الكلام ولا ترققنه»³.

ومثل ذلك ما قاله المراغي: «أي إذا استقبلتن أحداً من الرجال فلا ترققن الكلام فيطمع في الخيانة من في قلبه فساد وريبة من فسق ونفاق، وقُلنَ قولاً بعيداً عن الريبة»⁴، وإلى هذا يذهب الصابوني حينما يقول: «فلا ترققن الكلام عند مخاطبة الرجال ... فيطمع من كان في قلبه فجورٌ وريبةٌ في محادثة النساء»⁵.

ولا يخرج عن هذه المعاني وهبة الزحيلي إذ يقول: «فلا تُلنَّ الكلام، ولا ترققنه عند محادثة الرجال، وليكن كلامكن بجد وحزم وقوة، حتى لا يطمع في الخيانة من في قلبه

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (8)، ص 75.

² الأحزاب : 32.

³ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 187.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 06.

⁵ الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير، ص 523.

ميل إلى الريبة والفسق والفجور، وقلن القول المعروف المضاد الذي ليس فيه ترخيم الصوت البعيد عن الريبة»¹.

11/ حرج:

لغة: جاء في الصحاح: «مكان حرج وحرج أي ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية ... والحرج: الإثم، والحرج أيضا: الناقة الضامرة ... والتحريج: التضيق. وتحرج أي تأثم»².

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: «الحاء والراء والجيم أصل واحد وهو معظم الباب وإليه مرجع فروعه، وذلك تجمع الشيء وضيقه ... ومن ذلك: الحرج الإثم، والحرج الضيق ... والحرج: السرير الذي تحمل عليه الموتي»³.

أما الراغب الأصفهاني فلا يخرج عن تلك المعاني قائلا: «أصل الحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقل للضيق حرج وللاثم حرج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾⁴ ...»⁵.

وأما ابن منظور فيقول: «الحرج والحرج: الإثم، والحارج: الآثم ... قال ابن الأثير: الحرج في الأصل الضيق ويقع على الإثم والحرام، وقيل: الحرج أضيّق الضيق ... ورجل حرج وحرج: ضيق الصدر ... والحرج: الضيق. وحرج صدره يحرج حرجا: ضاق فلم ينشرح لخير فهو حرج وحرج ... والحرج: الذي لا ينهزم كأثمه يضيّق عليه

¹ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 9.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 2141.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (2)، ص 50.

⁴ النساء: 65.

⁵ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 126.

العذر في الانهزام ... وحرَّج فلانٌ على فلانٍ إذا ضيقَ عليه ... والحرَّج: جماعة الغنم»¹.

ومن ثمة فكلمة "حرج" لغة تعني: الضيق، والإثم والتحریم ، وعدم الانهزام.

أما اصطلاحاً، فقد جاءت اسماً في قوله تعالى: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ﴾² ، وقوله أيضاً: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾³ ، والمعنى هنا: الضيق، والمشقة، والإثم، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

فكل من النسفي وإسماعيل حقي جعلاً معناها: المشقة والضيق⁴، وشبيه بهذا ما قاله الألوسي: «لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ أي ضيق وقيل: إثم»⁵ وفي الآية الثانية يقول: «ما كان على النبي من حرج أي ما صحَّ وما استقام في الحكمة أن يكون له حرج فيما فرض الله له أي قسم له صلى الله عليه وسلم وقدر»⁶.

ولا يخرج عن هذه المعاني الصابوني إذ يقول في شرح الآية الأولى: «لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبنّي»⁷ وفي الآية الثانية: «أي لا حرج ولا إثم ولا عتاب على النبي فيما أتاح الله له وقسم من الزوجات»⁸.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (2)، ص 237.

² الأحزاب : 37.

³ الأحزاب : 38.

⁴ ينظر : . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 33 و 34.

. ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 190.

⁵ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 206.

⁶ المرجع نفسه.

⁷ الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير، ص 528.

⁸ المرجع نفسه.

أما وهبة الزحيلي فيقول في الآية الأولى: « ليرتفع الحرج والضيق من بين المؤمنين إذا أرادوا الزواج بمطلقات أدعيائهم وهم الذين تبنوهم في الجاهلية ثم أبطل الإسلام حكم التبني وألغى جميع آثاره»¹، وفي الثانية يقول: « أي لم يكن على النبي حرج أو عيب فيما أحلَّ له وأمره من زواج زينب مطلقة دعيه ومتبناه سابقا زيد بن حارثة رضي الله عنه»².

12/سنة:

لغة: جاء في الصحاح: « السنن: الطريقة. يقال: استقام فلان على سنن واحد ... والسنة: السيرة ... والسنة أيضا: ضرب من تمر المدينة ... والحمأ المسنون: المتغير المنتن. وسنة الوجه: صورته ... والمسنون: المصور. وقد سننته أسننه سنا إذا صورته، والمسنون: المملس ... وأسن الرجل: كبر»³.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس إذ يقول: « السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وطراده في سهولة ... ومما اشتق منه السنة وهي السيرة. وسنة رسوله الله عليه السلام: سيرته ... ومن ذلك قولهم: امض على سننك وسننك أي وجهك ... والسنون: ما يساك به، لأنه يسن به الأسنان سنا ... فأما قولهم: سن إبله إذا رعاها»⁴.

أما الراغب الأصفهاني فقد وضع ذلك قائلا: « السن معروف وجمعه أسنان قال: ﴿وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ﴾⁵ ... وتتج عن سنن الطريق وسننه وسننه، فالسنن جمع سنة،

¹ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 30.

² المرجع نفسه، ص 31 و 32.

³ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 2141.

⁴ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (3)، ص 61.

⁵ المائدة: 45.

وَسُنَّةُ الْوَجْهِ طَرِيقَتُهُ، وَسُنَّةُ النَّبِيِّ طَرِيقَتُهُ الَّتِي كَانَ يَتَحَرَّاهَا وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ تُقَالُ
لِطَرِيقَةِ حِكْمَتِهِ وَطَرِيقَةِ طَاعَتِهِ ... ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾¹ ... «².

وَيَتَقَارَبُ مَعَ ذَلِكَ ابْنُ مَنْظُورٍ قَائِلًا: «السُّنُّ وَاحِدَةُ الْأَسْنَانِ. ابْنُ سَيِّدِهِ: السُّنُّ
الضَّرْسُ ... فَالسُّنَّةُ الصُّورَةُ وَالْوَجْهَ ... وَأُسْنُ الرَّجُلِ: كَبِيرٌ ... وَسُنُّ الشَّيْءِ سِنُهُ سَنًا
فَهُوَ مَسْنُونٌ وَسَنِينَ وَسُنَّتَهُ: أَحَدُهُ وَصَقَلَهُ ... وَسُنَّةُ الْوَجْهِ: صُورَتُهُ ... وَقِيلَ: سُنَّةُ الْخَدِّ
صَفْحَتُهُ»³.

إِنَّ فِكْلَمَةَ "سُنَّ" لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ هَيْئَتِهَا مِنْهَا: الطَّرِيقَةُ، وَالصُّورَةُ،
وَالسَّيْرَةُ، وَالْمَحَبَّةُ، وَالتَّحْسِينُ، وَالتَّزْيِينُ.

أَمَّا اصْطِلَاحًا، فَقَدْ وَرَدَتْ اسْمًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾⁴
، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى مَعْنَى النَّامُوسِ وَالْقَانُونِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلَهُ
مُطَرِّدًا لَا يَتَغَيَّرُ، وَيَقْصِدُ بِهَا هُنَا التَّوَسُّعَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي النِّكَاحِ، وَهَذَا مَا
تَضَمَّنَتْهُ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «أَعْلَمُهُمْ أَنَّ هَذَا وَنَحْوَهُ هُوَ السُّنَنُ الْأَقْدَمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَنَالُوا مَا
أَحَلَّهُ لَهُمْ، أَيْ سُنَّ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوَسُّعُ عَلَيْهِ فِي النِّكَاحِ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ
الْمَاضِيَةِ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ»⁵.

¹ فاطر: 43.

² الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 274.

³ ابن منظور: لسان العرب، ج (13)، ص 225.

⁴ الأحزاب: 38.

⁵ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 195.

وشبيه بهذا ما رآه المراغي إذ يقول: «أي إنَّ الله سَنَّ بك أيُّها الرسول سُنَّةَ أسلافك من الأنبياء الذين مضوا من قبلُ أباح لهم من الزوجات والسراري، فقد كان لسليمان وداود وغيرهما عدد كثير منهن»¹.

ولا يخرج عن هذه المعاني الزحيلي إذ يقول: « وهذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله ... وكان أمر الله الذي يقدره كائنًا لا محالة »².

13/ رقيب:

لغة: جاء في الصحاح: « الرَّقِيبُ: الحَافِظُ، والرَّقِيبُ: المنتظر ... وراقب الله في أمره، أي خافه. والترقُّبُ: الانتظارُ، وكذلك الارتقَاب ... والرقبة: مؤخر أصل العنق ... والرقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد ... والرقُوبُ: المرأة التي ترقُبُ موت زوجها لترثه »³.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الراء والقاف والباء أصل واحد مطرَّد. يدلُّ على انتصاب لمراعاة شيء من ذلك القريب وهو الحافظ ... والمَرَقَبُ: المكان العالي يقف عليه الناظر »⁴.

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد بيَّن ذلك قائلا: « الرقبة اسم للعضو المعروف ثم يُعبَّرُ بها عن الجملة ... والرقيب الحافظ وذلك لمراعاته رقبة المحفوظ، وإمَّا لرفع رقبته ... والمَرَقَبُ المكان العالي الذي يَشْرِفُ عليه الرقيبُ وقيل لحافظ أصحاب الميسر »⁵.

¹ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 15.

² ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 32.

³ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 138.

⁴ ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (2)، ص 427.

⁵ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 226.

وأما ابن منظور فيقول: « في أسماء الله تعالى: الرقيب: وهو الحافظُ الذي لا يغيب عنه شيءٌ، فعل بمعنى فاعل ... والرقيب: الحفيظ ... وترقبه وارتقبه: انتظره ورصده ... والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب ... ورقب الشيءَ يرقبه، وراقبه مُراقبةً ورقاباً: حرسه ... ورقيب القوم: حارسهم ... والرقيب: الحارس الحافظ»¹.

إذن فمادة "رقيب" تخرج منها معانٍ عدة تختلف باختلاف الصيغ منها: الحارس، والمنتظر، والحراسة، والحافظ والارتقاب، كما أنَّ الرقيب من أسماء الله تعالى.

أما اصطلاحاً، فقد وردت هذه المادة اسماً في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾²، فهي هنا اسم من أسماء الله الحسنى، يُقصد به: الحافظ والمطلع على كل شيء، والعليم بالسر والنجوى، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهذا ما توافقت عليه أقوال المفسرين.

قال إسماعيل حقّي: « (وكان الله على كل شيء) من أحوال النبي عليه السلام وأحوال أزواجه وأحوال أمته (رقيباً) يراقب مصالحهم»³.

ولا يخرج عن هذا المراغي إذ يقول: « أي وكان الله حافظ ومطلقاً على كل شيء، عليماً بالسر والنجوى، فاحذروا تجاوز حدوده، وتخطي جلاله إلى حرامه»⁴.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (1)، ص من 424 إلى 428.

² الأحزاب : 52.

³ ابن مصطفى إسماعيل حقّي: روح البيان، ص 211.

⁴ المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي، ص 27.

ويتقارب مع ذلك وهبة الزحيلي قائلا: « كان الله وما يزال مطلقا على كل شيء، عالما مراقبا كل ما يكون من أحد وما يحدث في الكون، فاحذروا مخالفة أوامره، فإن الله يجازي كل امرئ بما عمل»¹.

14/عليم:

لغة: جاء في الصحاح: « العلامة والعلم: الجبل ... والعلم: الراية وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته. وعالمت الرجل فعلته أعلمه بالضم: غلبته بالعلم»².

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: علّمت على الشيء علامة: ... والعلم: الراية، والجمع أعلام، والعلم: الجبل ... والعلم نقيض الجهل ... وتعلّمت الشيء إذا أخذت علمه»³.

أما الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء ... والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء: هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه ... والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملية ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات. ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم»⁴.

¹ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 69.

² الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 1990.

³ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (4)، ص 110.

⁴ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 384 إلى 386.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور إذ يقول: « من صفات الله عز وجلّ العليم والعالم والعلّام ... فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقتها وجليلها على أتم الإمكان. وعليم فعيل: من أبنية المبالغة ... وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته ... وعلم بالشيء: شعر¹ ».

إذن فمادة "علم" تحمل معاني متعددة كالمعرفة، والإعلام، والإخبار، والدلالة على أثر بالشيء متميّز به عن غيره، والاتقان، والسمة، كما أنه يطلق على اسم الله تعالى "العليم".

أمّا اصطلاحاً، فقد جاءت اسماً في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾² ، واقتصرت على معنى: ذو العلم الشامل المحيط بكلّ شيء، بما بدا وما خفي، وما كان وما لم يكن وما سيكون، فلا تغيب عنه ذرة في الأرض ولا في السماء، قال يوسف المرعشلي: « ذو العلم الكامل الشامل المحيط بكل شيء أفلا تخفى عليه خافية ولا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء. »³ ، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

¹ ابن منظور : لسان العرب، ج (12)، ص 416.

² الأحزاب: 54.

³ المرعشلي يوسف: والله الأسماء الحسنى، دار المعرفة، بيروت، ط (2)، 1427م . 2006م، ص 258.

قال القرطبي: « البارئ سبحانه وتعالى عالم بما بدا وما خفي وما كان وما لم يكن، لا يخفى عليه ماضٍ تقضٍ، ولا مستقبل يأتي»¹، وشبيه بهذا ما قاله الألوسي إذ يرى أن المعنى: البالغ في العلم بظواهر الأشياء وبواطنها².

ولا يخرج عن هذه المعاني المراغي إذ يقول: « أي إنَّ ما تكثُر ضماثركم، وتتطوي عليه سرائركم، فالله يعلمه، إذ لا تخفى عليه خافية ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾³ ثم يجازيكم بما صدر منكم من المعاصي البادية والخافية. »⁴، ويتقارب مع هذه المعاني الصابوني الذي قال: « أي فإنَّ الله عالم به وسيجازيكم عليه »⁵.

15/ بهتان:

لغة: جاء في الصحاح: « بَهَتَهُ بَهْتًا: أَخَذَهُ بَغْتَةً ... وَبَهَتَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ إِذَا دَهَشَ وَتَحَيَّرَ. وَبَهَتَ بِالضَّمِّ مَثَلَهُ، وَأَفْصَحُ مِنْهُمَا بَهَتٌ »⁶، وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الباء والهاء والتاء أصل واحد، وهو كالدَّهَش والحيرة. يُقَالُ بَهَتَ الرَّجُلُ يَبْهَتُ بَهْتًا، وَالبَهْتَةُ الحيرة، فَأَمَّا البُهْتَانُ فَالكُذْبُ »⁷.

¹ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 230.

² ينظر : الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 240

³ غافر: 19 .

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 31.

⁵ الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ج(2)، ص492.

⁶ الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 244 و 245.

⁷ ابن فارس أحمد : مقاييس اللغة، ج (1)، ص 307.

وشبيه بهذا ما قاله الراغب الأصفهاني: « قال الله عز وجل: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۚ

﴿ ١... أَي دَهْشَ وَتَحَيَّرَ، وَقَدْ بَهَّتْهُ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ۚ ﴾ ٢... أَي كَذِبٌ يُبْهِتُ سَامِعُهُ لَفْظَاعَتِهِ ٣.

ويتقارب مع ذلك ابن منظور قائلا: « بَهَتَ الرَّجُلَ يَبْهَتُهُ بَهْتًا وَبَهْتًا، وَبُهْتَانًا أَي قَالَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ، فَهُوَ مَبْهُوتٌ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْبُهْتَانُ الْبَاطِلُ الَّذِي يُتَحَيَّرُ مِنْ بَطْلَانِهِ، وَهُوَ مِنَ الْبَهْتِ التَّحَيَّرِ ... وَبَهَتَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا كَذَبَ عَلَيْهِ، وَبُهِتَ إِذَا تَحَيَّرَ ... وَالْبُهْتُ وَالْبَهِيْتَةُ: الْكُذْبُ ٤.

إذن فبهت لغة تعني الحيرة، والدهشة، والكذب، والافتراء والأخذ بغتة.

أما اصطلاحاً، فقد جاءت اسماً في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينًا ۚ ﴾ ٥، واقتصرت على معنى الكذب الفظيع والافتراء المشين، وهذا ما توافقت عليه آراء المفسرين.

يرى كل من النسفي والقرطبي أنَّ البهتان هو الكذب العظيم والاختلاق الفاحش ٦، وشبيه بهذا ما قاله إسماعيل حقي إذ يقول: « فقد احتملوا ... بهتانا افتراء وكذبا عليهم من بهته فلان بهتانا إذا قال عليه ما لم يفعله ٧».

¹ البقرة: 258.

² النور: 16.

³ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 74.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، ج (2)، ص 13.

⁵ الأحزاب: 58.

⁶ ينظر: . النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 45.

⁷ ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 239.

ولا يخرج عن تلك المعاني المراغي إذ يقول: « فقد اجترحوا كذبا فظيحا، وأتوا
إمرا إذا»¹، وقريب من هذا ما رآه وهبة الزحيلي قائلا: « فقد أتوا بالكذب المحض
والبهتان الكبير: وهو نسبة شيء لهم لا علم لهم به ولم يفعلوه، على سبيل العيب
والإنقاص»².

16/ ظلوم:

لغة: جاء في الصحاح: « ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمَةً وَمَظْلَمَةً. وأصله وضع الشيء في
غير موضعه ... وتَظَلَّمَ منه أي اشتكى ظُلْمَهُ ... الظُّلُمُ بالتشديد: الكثير الظلم،
والظُّلْمَةُ: خلافُ النور ... والظلام: أول الليل»³.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الضاد واللام والميم أصلان صحيحان،
أحدهما خلافُ الضياء والنور، والآخر وضعُ الشيء في غير موضعه تعدياً ... ويقال
ظلمتُ فلانا: نسبتهُ إلى الظلم، وظلمتُ فلاناَ فاضْلَمَ وأنْظَلَمَ»⁴.

أمَّا الراغب الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « الظُّلْمَةُ عدم النور وجمعها ظُلُمَاتٌ،
قال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَتِ فِي حَرِّ لُجِّي ﴾⁵ ... والظلمُ عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع
الشيء في غير موضعه المختص به إمَّا بنقصانٍ أو زيادةٍ، وإمَّا بعدولٍ عن وقته أو
مكانه ... والظلمُ يُقال في مجاورة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة ... قال بعض

¹ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 35.

² ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 101.

³ الجوهري الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 1978.

⁴ ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، ج (3)، ص 468.

⁵ النور: 40.

الحكماء: الظلم ثلاثة: الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والتفاق ... والثاني: ظلم بينه وبين الناس ... والثالث: ظلم بينه وبين نفسه»¹.

ولا يخرج عن هذه المعاني ابن منظور إذ يقول: «الظلم وضع الشيء في غير موضعه ... وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحدّ... والظلم: الميل عن القصد ... تظلم منه: شكا من ظلمه ... والمتظلم: الذي يشكو رجلاً ظلمه. والمتظلم أيضاً: الظالم ... ظلمته فتظلم: أي صبر على الظلم ... وقيل الظلام أول الليل ... وأظلم الليل: أسودّ ... الظليم: الذكر من النعام»².

إذن فكلمة "ظلم" لغة تعني مجاوزة الحدّ و وضع الشيء في غير موضعه، والميل عن القصد، وهو أيضاً خلاف النور.

أمّا اصطلاحاً، فقد جاءت الكلمة اسماً في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾³ ، والمقصود: كان جائراً ومجاوزاً الحدّ في ظلم نفسه وغيره لغلبة الانفعالات النفسية الداعية إلى الغضب، وهذا ما توافق عليه المفسرون.

قال القرطبي: «وحملها الإنسان» قال الحسن: المراد الكافر والمنافق. «إنّه كان ظلوماً لنفسه "جهولاً" بربه»⁴، وقريب من هذا ما قاله الألوسي: «كان ظلوماً لنفسه حيث حملها على ضعفه ما أبت الأجسام القوية حمله جهولاً بقدر ما دخل فيه أو بعاقبة ما تحمّل»⁵.

¹ الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 352 و 353.

² ابن منظور: لسان العرب، ج (12)، ص 373.

³ الأحزاب : 72.

⁴ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ص 255.

⁵ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 273.

وفي موضع آخر يقول المراغي: « ولقد خلقنا الإنسان على ضعف مَنته وصغر جرمه مستعدا لتلقيها والقيام بأعبائها، وهو مع ذلك قد غلبت عليه الانفعالات النفسية الداعية إلى الغضب، فكان ظلوماً لغيره، ورُكَّب فيه حُبُّ الشهوات والميل إلى عدم التدبر في عواقب الأمور»¹.

أمَّا وهبة الزحيلي فقد بيَّن ذلك قائلاً: « ولكن كُفِّ بها الإنسان، فتحملها مع ضعفه، وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول لقدر ما تحمله»².

17/ رحيم:

جاء في الصحاح: « الرَّحْمَةُ: الرَّقَّةُ والتَّعَطُّفُ ... وتراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضهم بعضاً ... والرَّحْمُ أيضاً: القَرَابَةُ ... والرحمان الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة ... إلا أنَّ الرحمان اسم مختص لله لا يجوز أن يسمى به غيره»³.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « الراء والحاء والميم أصلٌ واحد يدلُّ على الرِّقَّة والعطف والرَّأْفَةُ. يقالُ من ذلك رَحِمَهُ يَرْحِمُهُ إذا رَقَّ له وتعطفَ عليه ... والرَّحْمُ: القَرَابَةُ»⁴.

أمَّا الأصفهاني فلم يخرج عن تلك المعاني قائلاً: « الرَّحِمُ: رَحِمُ المرأة، وإمْرَأَةٌ رَحُومٌ تشكي رَحِمَهَا. ومنه استعيد الرِّحْمُ للقَرَابَةِ ... والرحمة رِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجردة، وتارةً في الإحسان المجرد عن الرِّقَّة ...

¹ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 46.

² ابن مصطفى الزحيلي وهبة: لتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 126.

³ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (5)، ص 1929.

⁴ ابن فارس: مقاييس اللغة، ج(2)، ص 498.

وإذا وُصِفَ به الباري فليس يُراد به إلا الإحسان المجرّد دون الرقة، وعلى هذا رُوي أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الأدّمين رقةً وتعطف¹.

ويتقارب مع ذلك ابن منظور حينما يقول: « الرحمة: الرقة والتعطف ... وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً. والرحمة: المغفرة ... ترحم عليه: دعا له بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة ... والله الرحمان الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعْلان لأنّ معناها الكثرة، وذلك لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنّما ذكّر بعد الرحمان لأنّ الرحمان مقصورٌ على الله عز وجلّ، والرحيم قد يكون لغيره ... وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمان الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق ... والرحمان في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه. ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه². »

إذن فـ "رحم" تحمل معاني عدّة منها: الرقة، والعطف والإحسان، والقربة والصلة، وتكون اسماً من أسماء الله الحسنى "الرحيم".

أمّا اصطلاحاً، فقد جاءت اسماً لله تعالى في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾³، قصد به: المنعم والمحسن والرزاق، يشمل ذلك كلّ مخلوقاته دنيويّاً، أمّا في الدار الآخرة، فرحمته تقتصر على المؤمنين دون الكافرين لأنّ هؤلاء مطرودون منها يوم الحساب والعقاب.

¹ الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 215 و 216.

² ابن منظور : لسان العرب، ج (12)، ص 230 و 231.

³ الأحزاب : 73.

قال النَّسْفِي: « فَالْأَمْرُ إِلَى تَعْذِيبِ الْأَشْقِيَاءِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ السَّعْدَاءِ » وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

﴿ لِلتَّائِبِينَ ﴾ رَحِيمًا ﴿ بَعَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾¹. وقريب من هذا ما رآه المراغي إذ يقول :

«وكان الله ستاراً لذنوب عباده كثير الرحمة بهم، ومن ثمَّ قَبِلَ تَوْبَةَ من أَنَابَ إِلَيْهِ ... وأثابه على طاعته بالفوز العظيم»². وشبيه ما قاله وهبة الزحيلي: « والمعنى أَنَّ هناك مرضاً جبلياً في الإنسان، وأنَّ هناك علاجاً ودواءً لهذا المرض وهو سعة المغفرة وكثرة الرحمة الإلهية إذا تعرض الإنسان لهما في الجملة بالتوبة والإنابة والطاعة»³.

ولا يخرج عن هذه المعاني الصابوني إذ يقول: «أي إِنَّهُ تعالى غفور لما سلف منهم تفريط رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشؤونهم»⁴.

يُعرِّف يوسف المرعشلي اسم الله تعالى فيقول: « والمراد من الرحيم: المنعم بدقائق النعم وصغارها، على مستحقها وغير مستحقها...»⁵.

18/ قلب:

جاء في الصحاح: « الْقَلْبُ: الْفُؤَادُ، وَقَدْ يُعْبَّرُ بِهِ عَنِ الْعَقْلِ ... وَقَلْبْتُ الشَّيْءَ فَاَنْقَلَبَ أَيِ انْكَبَّ ... وَتَقَلَّبَ الشَّيْءُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ كَالْحَيَّةِ تَتَقَلَّبُ عَلَى الرَّمْضَاءِ ... وَقَلْبُ النُّخْلَةِ: لُبُّهَا ... وَالْمَقْلَبُ: الْحَدِيدَةُ الَّتِي تُقْلَبُ بِهَا الْأَرْضُ لِلزَّرْعَةِ »⁶.

وقريب من هذا ما قاله ابن فارس: « القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على خالص الشيء وشريفه، والآخر على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة.

¹ النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 50.

² المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 47.

³ ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 128.

⁴ الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص 540

⁵ المرعشلي يوسف: والله الأسماء الحسنی، ص 166.

⁶ الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج (1)، ص 205.

فالأول: القلب: قلب الإنسان وغيره، سُمِّيَ لأنَّه أخلص شيء فيه وأُرفِعُهُ، وخالَصُ كلَّ شيءٍ وأشرفه قلبه ... قَلَبْتُ النخلة: نَزَعْتُ قلبها ... وَقَلَبْتُ الشيءَ: كَبَبْتُهُ¹.

أمَّا الأصفهاني فقد شرح ذلك قائلا: « قَلَبْتُ الشيءَ تصريفه وَصَرَفُهُ عن وجهه إلى وَجْهِ كَقَلَبِ الثوبِ وَقَلَبِ الإنسانِ أي صرفه عن طريقته ... والانقلاب الانصراف ... وَقَلَبُ الإنسانِ قيل سُمِّيَ به لكثرة تَقَلُّبِهِ ... والتَقَلُّبُ التَّصَرُّفُ² ».

وأمَّا ابن منظور فيقول: « الْقَلْبُ: تحوِيلُ الشَّيْءِ عن وَجْهِهِ ... وَقَلَبَ الشيءَ، وَقَلَبَهُ: حَوَّلَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. وتَقَلَّبَ الشيءُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كَالْحَيَّةِ تَتَقَلَّبُ عَلَى الرَّمْضَاءِ، وَقَلَبْتُ الشيءَ فَانْقَلَبَ أي انكَبَّ ... وَقَلَبَ الأمورَ: بحثها، ونظرَ في عواقبها ... الانقلابُ: الرجوعُ مطلقاً ... وَقَلَبَ الثوبَ والحديثَ وكلَّ شيءٍ: حَوَّلَهُ ... قَلَبُ كلِّ شيءٍ: لُبُّه وخالَصُهُ³ ».

إذن فهذه المادة تعني لغة تحويل الشيء وصرفه عن وجهه، وأيضا لبُّ الشيء وخالَصُهُ.

أمَّا اصطلاحاً، فقد وردت فعلاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾⁴ ، واقتصرت على معنى: تصريف وجوه الكفار في كلِّ الجهات والأحوال كما يشوى اللحم على النار أو تغيير ألوانها بين السواد مرةً والاحضرار مرةً أخرى من شدة لفح النار، وهذا ما قصده المفسرون.

¹ ابن فارس : مقاييس اللغة، ج (1)، ص 205.

² الأصفهاني الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 458 و 459.

³ ابن منظور : لسان العرب، ج (1)، ص 685.

⁴ الأحزاب : 66.

قال النَّسْفِي: « تصرّف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلتْ وخصّصت الوجوه لأنّ الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده»¹، وشبيه بهذا ما قاله القرطبي: « وهذا التقلب تغيير ألوانهم بلفح النار، فسودّ مرةً وتخضرّ أخرى. وإذا أبدلتْ جلودهم بجلودٍ آخرٍ فحينئذٍ يتمنّون أنّهم ما كفروا»².

ولا يخرج عن هذه المعاني إسماعيل حقي إذ يقول: « أي يوم تُصرّف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كاللحم ليشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة ومن حال إلى حال، أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين، وتخصيص الوجوه بالذكر للتعبير عن الكل»³.

أمّا المراغي فقد شرح ذلك قائلا: « تُصرّف وجوههم فيها من جهة إلى جهة أخرى كاللحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة إلى جهة أخرى»⁴.

المطلب الثاني: مدى توازنها مع الآيات والسورة

ذكرنا آنفا أنّ السورة مدنية، تهتم بالجانب العقدي والتشريعي والأدب الاجتماعي، وأخبار في السيرة، كالدعوة على تقوى الله وعدم طاعة الكفار، وتعديل الأوضاع والتقاليد، وإبطال الفاسدة منها، وتنظيم الأسرة النبوية، وغزوة الأحزاب، قُسمت إلى ستة مقاطع، كل مقطع يختص بجانب من الجوانب المذكورة.

جاءت مفرداتها غاية في الدقة، إذ أنّ معانيها توازنت مع موضوع السورة ومعاني الآيات، وتآخت مع معاني الكلمات، لمجاورة لها، فلو حدث أي تغيير في هيئتها وشكلها أو في موضعها كان الاضطراب والخلل، ومن ثمة انعدم التوازن.

¹ النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ص 47.

² القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 243.

³ ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان، ص 244.

⁴ المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 41.

فالمقطع الأول تناول دعوة النبي (ص) إلى تقوى الله وعدم طاعة الكفار، وإبطال النظم والتقاليد الاجتماعية الباطلة كالتبني والظهار، و وجود قلبين في الإنسان، وما الكلمات المنتقاة إلا إشارة إلى ذلك ك﴿تَوَكَّلْ﴾، و﴿قَوْلُكُمْ﴾ و﴿أَقْسَطُ﴾.

أما ﴿تَوَكَّلْ﴾ فهو فعل مضارع يثبت به المعنى مع اقتصاد التجدد¹، يُعدُّ فعلاً خالداً غير مرتبط بزمان معين، فالتوكل يكون في الماضي والحاضر والمستقبل، يعكس الأمر الرباني الموجّه إلى النبي (ص) (والمقصود به كافة المسلمين) بتفويض كلّ أموره وشؤونه وأحواله إلى الله عزّ وجلّ، فهو وحده الكافي والعاصم وجالب النفع ودافع الضرر²، كما أنّ فيه تحذير من أولئك الذين يُظهرون الإيمان والنصيحة له، ويُضمرّون الخداع والنفاق والعداء له وللمؤمنين.

تعجز أيّ كلمة أخرى أن تؤدي هذه المعاني كالفصل "اعتمد" مثلاً، فلو حدث ذلك لأدى إلى الخل، وهذا يظهر توازنها مع مقصد السورة ومعنى الآية.

أمّ كلمة ﴿قَوْلُكُمْ﴾ فهي عبارة عن اسم يتضمن معنى ثابتاً غير متجدّد³، تعكس مرحلة ما بعد الجاهلية، وإعادة تنظيم حياة المسلمين وفق تصور التشريع الإسلامي، فقد أبطلت العادات الجاهلية التي كانت نابغة من أفواههم دون أن يكون لها تطابق مع الواقع والفترة السليمة وأساس من الصحة، كعادة النبي والظهار و وجود قلبين في جوف الإنسان⁴.

¹ ينظر : الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 174.

² ينظر: الألويسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج(11)، ص143.

³ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 174.

⁴ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج(14)، ص117.

فقد تناسبت هذه الكلمة مع جاراتها ك ﴿يَا فَوَاهِكُمْ﴾ لاسيما إذا علمنا أنَّ القول يشير إلى خروجه من الفم، فكانت الأبلغ من أي كلمة أخرى لو استبدلت بها ك "كلام"، فالقول أشمل من الكلام الذي هو أخص منه، فكل قول كلام وليس كل كلام قول، لأنَّ الكلام يشترط فيه الإفادة بعكس القول الذي يدخل فيه ما يفيد وما لا يفيد.

وأما كلمة ﴿أَقْسَطُ﴾ فهي اسم تفضيل يدلّ على معنى ثابت به من غير تجدد، يعكس تعديل الوضع المعيش آنذاك، فقد كان المتبني يدعو الولد المتبني باسمه هو، فرفع الله حكم التبني ومنع إطلاق لفظه، وأعاد الأمور إلى نصابها، فأرشد إلى أنَّ الحقية والأعدل أن يُنسب الولد إلى أبيه تماشيا مع الفطرة السليمة.

كما أنَّ تلك الكلمة هي الأبلغ والأنسب والأشمل من أي مفردة أخرى في التعبير عن ذلك، ك "أعدل" لأنّها ضمن معانيها.

والمقطع الثاني تحدّث عن أكبر حادثة ابتلي بها المؤمنون آنذاك ألا وهي غزوة الأحزاب، ومن مفرداتها ﴿نِعْمَةٌ﴾ و ﴿زَاغَتْ﴾ و ﴿الْأَحْزَابُ﴾ .

أما كلمة ﴿نِعْمَةٌ﴾ فهي اسم دال على معنى ثابت به غير متجدد، يقصد بها فضل الله ومُنّه على المؤمنين آنذاك حينما نصرهم على أعدائهم في غزوة الأحزاب¹، ولعظمتها سُميت السورة باسمها، فهي أعظم امتحان مرّ به المؤمنون، وكأنَّ الكلمة هي مرآة عاكسة لتلك الواقعة.

أضف إلى ذلك أنَّ معاني تلك الكلمة تأخّت مع معاني جاراتها ك ﴿ءَامَنُوا﴾ ، و ﴿ادْكُرُوا﴾ أي بالحمد والشكر والتسبيح، و ﴿اللَّهُ﴾ وهو صاحب النعم والمن والفضل،

¹ ينظر : ابن مصطفى إسماعيل حقي : روح البيان، ج(7) ، ص 146.

يستحيل على كلمة أخرى أن تعبّر عن هذه المعاني كـ "فضل" و "منة" لأنّهما ضمن معانيها وهي شاملة لهما.

وأما كلمة ﴿زَاغَتْ﴾ فهي فعل ماض دال على معنى ثابت به ومتجدّد، يطابق حالة الرعب والهول السائد في ذلك الوقت إلى درجة انحراف الأبصار عن مستوى نظرها حيرة وخوفاً ودهشة لكثرة العدو، أضف إلى ذلك أنّها تلاءمت مع ما يجاورها من الكلمات مثل: ﴿بَلَغَتْ﴾، و ﴿الْحَنَاجِرَ﴾، و ﴿تَظُنُّونَ﴾، كلّها تصف هول المنظر، وكذا توافقت مع الآيات الساردة لغزوة الأحزاب ومع محتوى السورة.

وفيما يخصّ ﴿الْأَحْزَابُ﴾ فهي اسم ثابت غير قابل للتجدّد، تحمل معنى الطوائف التي تحرّبت وتألّبت على حرب الرسول (ص) وأصحابه من قريش، وغطفان، وبني قريظة، وبني النضير وحلفائهم¹.

ف ﴿الْأَحْزَابُ﴾ جمع "حزب" زاد من ضخامة الحادثة، لأنّ ذلك يبرز كثرة العدد والعدة والعتاد للعدو، وصعوبة الحرب معهم والانتصار عليهم، فلا يمكن لأيّ كلمة أن تحلّ محلّها مثل: "الطوائف" و "الجماعات"، لأنّهما عاجزتان عن ذلك الوصف والتعبير عن تلك المعاني، فهما ضمن معانيها، كما أنّ تلك الكلمة هي مركز السورة وبها سمّيت، وبسببها وقعت الواقعة.

والمقطع الثالث فقد خصّص الحديث فيه عن زوجات النبي (ص)، وكيف اخترن الله ورسوله وتركن الدنيا بما فيها، من مفرداته: ﴿يَقْنُتُ﴾، و ﴿تَطْهَرُ﴾، و ﴿تَخْضَعُنَ﴾ .

¹ ينظر : المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ،ج(21) ، ص139.

أما كلمة ﴿يَقْنُتُ﴾ فهي فعل مضارع دال على معنى متجدد، يتضمن معنى الطاعة في سكون، والعبادة في خشوع، والخضوع لله ولرسوله¹، تعكس الأجر المضاعف الذي ينتظر زوجاته (ص) في الدنيا والآخرة، إن قننن، لأنهن لسن كباقي النساء في الفضيلة والمنزلة، فهن زوجات سيد الخلق دنيويا وأخرويا، وينتمين إلى بيت تنزل فيه آيات الله.

أضف إلى ذلك، إن تلك الكلمة تلاءمت مع الكلمات المجاورة لها من حيث المعاني مثل: ﴿لِلَّهِ﴾، و﴿رَسُولِهِ﴾، و﴿صَلِحًا﴾، و﴿أَجْرَهَا﴾، كما تناسبت مع محتوى الآية.

وبالنسبة لكلمة ﴿تَطْهِّرُ﴾ فهي اسم دال على معنى غير متجدد، تتضمن الطهارة المعنوية أي تنزيه زوجات النبي (ص) من دنس الذنوب والمعاصي والفجور وتعمير قلوبهن بنور الإيمان، تعكس العناية الإلهية الخاصة للبيت النبوي وحياطته وصيانته من أي رجس أو دنس².

يستحيل على كلمة أخرى التعبير عن تلك المعاني مثل: "تنزيه"، و "إزالة"، لأنهما من معانيها، لذلك فهي الأبلغ والأنسب والأدق والأشمل، كما أنها تتناسب مع معاني الآية وكلماتها مثل: ﴿يُطَهِّرُهُمُ﴾، و﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، و﴿يُذْهِبُ﴾.

أما كلمة ﴿تَخْضَعْنَ﴾، فهي فعل مضارع يدل على معنى ثابت ومتجدد، تشير إلى النهي الرباني الذي تلتزم به زوجاته (ص) لعلوا منزلتهن ومكانتهن، حفاظاً على طهارة

¹ ينظر : القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ص176 و 185.

² ينظر : ابن مصطفى الزحيلي وهبة:التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج(22) ، ص11.

البيت النبوي ونورانيته، إذا أمرهنّ بعدم ترخيم أصواتهن وتليين كلامهنّ عند مخاطبة الرجال حتّى لا يطمع من في قلبه مرض ونفاق وفسق¹.

كما أنّ الكلمة تُصوّر حالة نساء الجاهلية الأولى، من إظهار محاسنهنّ وتليين أصواتهنّ، وترقيق كلامهنّ وفعل الأفاعيل، وقد تناسب ذلك مع ما يجاورها من الكلمات مثل: ﴿يَالْقَوْلُ﴾، و﴿فَيَطْمَعُ﴾، و﴿قَلْبُهُ﴾، و﴿مَرَضُ﴾، فلا يمكن لأيّ مفردة أخرى أن تصف ذلك، لأنّ ذلك يفضي إلى خلل وتغيير في الأسلوب القرآني المعجز.

تحدّث المقطع الرابع عن قصة زينب بنت جحش وزواجها بالرسول (ص) قصد إبطال عادة تحريم أزواج الأدعياء، ورفع حكم التبني، ومن مفرداته: ﴿حَرَجٌ﴾، و﴿سُنَّةٌ﴾ و﴿سَرَاجًا﴾.

أمّا كلمة ﴿حَرَجٌ﴾ فهي اسم دال على معنى ثابت غير متجدّد تبين الوضع الذي كان سائداً آنذاك، إذ جعلت العرب الدّعيّ (الابن المتبني) كالابن الحقيقي فتعطيه كلّ الحقوق حتّى الميراث وحرمة النسب، فأراد الله تعالى محو ذلك بالإسلام²، فعن عادة التبني قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ³﴾، ثمّ يقول: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ⁴﴾.

وأمّا عادة تحريم أزواج الأدعياء فقد أمر الله النبي الزواج بزينب بنت جحش، فوجد ذلك مشقّة وضيقاً لما لقيه من إدانة العرب له، لأنّها تعدّه أصلاً يرجع إليه في الحسب والشرف وهو من محرّماتها. فقطع الله في ذلك الأمر وقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَىٰ

¹ ينظر : المرجع السابق ، ص9.

² ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ج(22)، ص15.

³ الأحزاب : 04.

⁴ الأحزاب : 05.

الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَايَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١﴾ ، وقال أيضا: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرْجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾².

إذن فكلمة "حرج" جاءت متناسبة مع الكلمات المجاورة لها، مثل: ﴿أَزْوَاجٍ﴾، و﴿أَدْعِيَايَهُمْ﴾، و﴿فَرَضَ﴾، و﴿اللَّهُ﴾، وأيضا تلاعمت مع معاني الآية ومقصودها، فلا يمكن لكلمة أخرى أن تؤدي ما أدته تلك الكلمة، مثل: "مشقة" و "ضيق"، لأنهما ضمن معانيها وتشملها.

وفيما يخص مفردة ﴿سُنَّةَ﴾ فهي اسم دال على معنى ثابت، يعبر عن القانون الإلهي الذي وصفه الله وجعله مُطَرِّدًا لا يتبدل، يُقصد منه التوسعة على الأنبياء والرسول في باب النكاح، وهذا من باب الحديث عن زواج الرسول (ص) بزینب بنت جحش بهدف إبطال عادة تحريم أزواج الأدعياء، وفرض تشريع إلهي جديد، وهذه التوسعة خاصة بهم وحدهم ترويحاً عنهم لصعوبة ما كلفوا به خدمة لأقوامهم وأمهم³.

وقد تناسب ذلك مع محتوى الآية والكلمات المجاورة لها، وتأخت معها مثل: ﴿اللَّهُ﴾ لأنه هو الشارع لها، و﴿خَلَوْا﴾، و﴿قَبْلُ﴾، يستحيل على كلمة أخرى أن تُعبر عن ذلك مثل: "القانون"، و "الناموس" لأنهما ضمنها.

أما كلمة ﴿سَرَّاجًا﴾ فهي الأخرى اسم دال على معنى ثابت غير قابل للتجدد، تعكس الوظيفة التي من أجلها بُعث النبي (ص)، فقد جاء هاديا الناس إلى الطريق القويم، وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال والغي إلى نور الله تعالى تشبيها بالمصباح الذي ينير ضالين الطريق ليلاً، وبالشَّمْس التي تشرق على الناس بعدما كان

¹ الأحزاب : 37.

² الأحزاب : 38.

³ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ص195.

هناك ظلام دامس¹.

لذلك فالكلمة بهذا التعبير هي الأدق والأبلغ والأنسب من أي كلمة أخرى مثل: "هادي"، أو "مصباح" لأنهما ضمن معانيها، أضف إلى ذلك فقد وصفت بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيئ، وبذلك تناسبت وتلائمت مع ما يجاورها مثل: ﴿مُنِيرًا﴾.

نتناول المقطع الخامس الحديث عن أدب بيت النبوة وقيمته، ومن مفرداته: ﴿

عَلِيمًا﴾، و﴿بُهْتَنًا﴾، و﴿رَقِيًّا﴾.

أما ﴿رَقِيًّا﴾ فهو اسم من أسماء الله تعالى، يدلُّ على إطلاعه على كلِّ شيء خلقه، فلا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، فهو الحافظ والعليم بخبايا الأمور صغيرها وجليلها، ففيه تحذير من تجاوز حدوده، وتخطي حلاله إلى حرامه².

فقد جاء هذا الاسم في موضع مناسب لأن السياق يتحدث عن نهى الرسول (ص) عن استبدال أزواجه التسع سواء بعضهنَّ أو كلهنَّ، لأنَّ هذا هو نصابه جزاءً لهنَّ على ما اخترنَّه ورضينَّ به، إلا ما أجاز له الشرع، كما أنَّ الكلمة تناسب مع ما يجاورها من ﴿اللَّهِ﴾ و﴿كُلِّ﴾، و﴿شَيْءٍ﴾.

وفيما يخصُّ كلمة ﴿عَلِيمًا﴾ فهي الأخرى اسم من أسماء الله الحسنى، تدلُّ على إحاطته بكلِّ شيء بما بدا وخفي وما كان وما يكون وما سيكون، فلا تغيب عنه ذرة في الأرض ولا في السماء.

¹ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ص 19.

² ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 69.

فقد توازنت مع موضعها وما يجاورها ومع معاني الآية، لأنها جاءت في سياق الحديث عن أدب الدخول إلى بيت النبي (ص) وطريقة الحديث مع زوجاته ونهى نهيا شديداً عن إيذائه والكلام عنه، فالله يعلم السرّ والنّجوى، وما تخفيه الصدور فيعاقبهم على ذلك إن فعلوه، لذلك يستحيل على مفردة أخرى التعبير عن ذلك.

وأما ﴿بَهْتَنًا﴾ فهو اسم دال على معنى ثابت، يفيد الوضع الذي كان يعيشه المؤمنون والمؤمنات، إذا كانت تُحَاكُ ضدهم المؤمرات، وتُتَشَر فيهم الأباطيل والأكاذيب والافتراءات والتهم التي لا أساس لها من الصحة.

فبهذه المعاني توازنت المفردة مع ما يجاورها ومع محتوى الآية، فلو استبدلت بكلمة أخرى مثل: "كذب"، أو "افتراء" لحدث خلل لأنهما ضمن معانيها وتشملهما.

أما المقطع السادس والأخير، فقد تحدّث عن المساءلة عن الساعة، وجسامة الأمانة، من مفرداته: ﴿تُقَلَّبُ﴾، و﴿ظُلُومًا﴾، و﴿رَحِيمًا﴾.

أما كلمة ﴿تُقَلَّبُ﴾ فهي فعل مضارع دالٌّ على معنى متجدّد، تتضمن الحالة المزرية للكفار وما يتعرضون له من عذاب شديد، إذ طُردوا من رحمة الله تعالى، وُخِّلِدوا في نار جهنم، فتصرّف وجوههم في كلّ الجهات كما يشوى اللحم على النار، فتتغيّر ألوانها بين الاسوداد مرّة والاحضرار مرّة أخرى من شدة لفح النار¹، وهذا نابع من تضعيف اللام الدال على التكرير والمبالغة.

بهذا الوصف تلاهمت الكلمة وتوازنت مع محتوى الآية وتناسب مع ما يجاورها مثل: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾، و﴿النَّارُ﴾ وخصّص الوجه من بين الأعضاء لأنها أشرف ما

¹ ينظر : القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ص249.

عند الإنسان، فهي واجهة التي يرى بها، لذلك يستحيل على مفردة أخرى أن تؤدي ما أدته تلك المفردة مثل: "تَصَرَّف"، و "تَحَوَّل" لأنهما ضمن معانيهما.

وفيما يخص كلمة ﴿ظُلُومًا﴾ فهي اسم دال على وصف من قام بالفعل مع تأكيدته والمبالغة فيه، جاء على وزن "فَعُول"، يعكس ما يقوم به الإنسان من الجور وتجاوز الحد في ظلم نفسه وغيره لغلبة الانفعالات النفسية الداعية إلى الغضب¹.

لقد ميّز الله الإنسان عن باقي مخلوقاته بالعقل وبوجود قدرات وإمكانات تهيؤه لحمل أمانة العقيدة والاستقامة عليها، إلا أنه ظلم نفسه وغيره حينما تغلبت عليه نفسه، فهذا التعبير الدقيق للمفردة تعجز عنه مفردة أخرى مثل "جائر" لأنها تتضمنها، وإذا غيّرت صيغتها حدث تغيير في المعنى فمثلاً: "ظالم" فهو دال على ظلم غيره أكثر من نفسه.

وبالنسبة لـ ﴿رَحِيمًا﴾ فهو الآخر اسم من أسماء الله تعالى جاء على وزن "فَعِيل"، تتضمن إنعامه وإحسانه ورزقه، يشمل ذلك جميع مخلوقاته في الدنيا، بينما في الآخرة تخصّ المؤمنين فقط ويُطرد منها الكفار.

فذلك الاسم هو من صيغ المبالغة، يدل على المعنى الثابت به يُصوّر مدى اتساع رحمته، فهي تعمّ الكون كلّه بما فيه وما عليه، لا يحدّها زمان ولا مكان إلى يوم يُبعثون، لذلك فالكلمة هي الأنسب والأدق في موضعها، إذ تلائمت مع ما يجاورها خاصة ﴿وَيَتُوبُ﴾ و ﴿اللَّهُ﴾ و ﴿غَفُورًا﴾، فهو الواحد الذي يغفر الذنوب ويقبل التوبة ويرحم.

¹ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ص46.

وخالصة لهذا الفصل، فكلّ كلمة في السورتين إلّا لها معنى محدّد، وموضع مناسب، وسياق خاص، تتلائم معانيها مع ما يجاورها من المفردات وتتناسق مع محتوى الآية ومقصد السورة، وهذا ما هو إلا انعكاس للتوازن الإفرادي في السورتين.

الفصل الثالث

التوازن التركيبي في السورتين

المبحث الأول: التوازن التركيبي في سورة "المؤمنون"

المطلب الأول: التحليل النحوي لبعض التراكيب القرآنية

1. المقطع الأول من الآية (1) إلى الآية (11):

هذا المقطع يتحدث عن صفات المؤمنين، مكون نحويًا¹ من تراكيب إسنادية وأخرى غير إسنادية :

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾² مركّب إسنادي فعلي مؤلّف من (قد) حرف تحقيق، و (أفلح) فعل ماضٍ، و (المؤمنون) فاعل.
- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾³ مركّب إسنادي مع آخر غير إسنادي، مُكوّن من (الذين) اسم موصول صفة لـ (المؤمنون)، و (هم) ضمير منفصل مبتدأ، و (في صلاتهم) جار ومجرور ومضاف إليه والكل متعلّق بالخبر. (خاشعون)، والجملة الاسمية صلة لـ (الذين).
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾⁴ مركّب إسنادي مُكوّن من (الواو) حرف عطف، و (الذين) اسم موصول معطوف على (الذين الأولى)، و (هم) ضمير منفصل مبتدأ، و (عن اللغو) شبه جملة مُعلّق بالخبر (معرضون)، والجملة الاسمية صلة للاسم الموصول.

¹. ينظر في الإعراب: . الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، بيروت، ط(11)،

المجلد(5)، 2011/1432، ص من 185 إلى 236.

. ابن عبد الرحيم صافي محمود: الجدول في الإعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط

(4)، ج (18)، 1418هـ، ص من 159 إلى 222.

² المؤمنون:01.

³ المؤمنون:02.

⁴ المؤمنون:03.

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾¹ مركّب إسنادي مكوّن من (الواو) حرف عطف، و (الذين) اسم موصول معطوف على (الذين) الأولى، و(هم) ضمير منفصل مبتدأ، و(للزكاة) جار ومجرور متعلقان بالخبر (فاعلون)، وقيل (الزكاة) مجرور لفظاً منصوب محلاً واقع مفعول به لاسم الفاعل (فاعلون)، واللام للتقوية، والجملة الاسمية صلة للذين.
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾² مركّب إسنادي تعلّق به مركب غير إسنادي، مكوّن من (الواو) حرف عطف، و (الذين) اسم موصول معطوف على (الذين) الأولى، و (هم) ضمير واقع مبتدأ، و (لفروجهم) جار ومجرور متعلقان بالخبر (حافظون) أو قيل هي مفعول به لاسم الفاعل، والجملة الاسمية صلة للذين.
- ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾³ مركّب إسنادي تعلّق به مركّب غير إسنادي مكوّن من (إلا) للحصر والاستثناء، و (على أزواجهم) جار ومجرور ومضاف إليه في موضع حال أي: ممسكين أو والين، و (أو) حرف عطف، و (ما) اسم موصول واقع اسماً معطوفاً، و (ملكّت) فعل ماض وتاء للتأنيث، و (أيمانهم) فاعل ومضاف إليه، و (الفاء) تعليلية، و (إنّ) للتوكيد، و (هم) اسمها، و (غير ملومين) خبرها ومضاف إليه.
- ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾⁴ أسلوب شرط يتضمن تركيبين إسناديين، مكوّن من (الفاء) للاستئناف، وقيل أنّها عاطفة، و (من) اسم شرط جازم واقع مبتدأ، و (ابتغى) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل

¹ المؤمنون: 04.

² المؤمنون: 05.

³ المؤمنون: 06.

⁴ المؤمنون: 07.

ضمير مستتر (هو)، وجملة الفعل والفاعل تشكل خبر (من)، و (وراء) ظرف متعلق بمحذوف مفعول (ابتغى)، و (ذلك) اسم إشارة واقع مضافاً إليه، و (الفاء) رابطة لجواب الشرط، و (أولئك) اسم إشارة مبتدأ، و (هم) ضمير فصل أو مبتدأ ثانٍ، و (العاذون) خبر للمبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني والخبر خبر لـ (أولئك).

● ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾¹ مركب إسنادي تعلقت به تراكيب غير إسنادية، مكوّن من (الواو) حرف عطف، و (الذين) اسم موصول اسم معطوف و (هم) ضمير واقع مبتدأ، و (لأماناتهم) جار ومجرور زائد مضاف إليه والكل متعلق بالخبر (راعون) و (الواو) حرف عطف، و (عهدهم) اسم معطوف زائد مضاف إليه.

● ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾² مركب إسنادي تعلّق به مركّب غير إسنادي، يتألف من (الواو) حرف عطف، و (الذين) اسم موصول اسم معطوف، و (هم) ضمير واقع مبتدأ، و (على صلواتهم) جار ومجرور متعلقان بالخبر (يحافظون).

● ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾³ مركب إسنادي مكوّن من (أولئك) اسم إشارة مبتدأ، و (هم) ضمير فصل أو واقع مبتدأ ثانٍ، و (الوارثون) خبر.

¹ المؤمنون: 08.

² المؤمنون: 09.

³ المؤمنون: 10.

- ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹ فيها مركّب غير إسنادي ومركبين إسناديين، تتكوّن من (الذين) اسم موصول صفة لـ (الوارثون)، و (يرثون) فعل وفاعل، و (الفردوس)، و(هم) ضمير واقع مبتدأ، و (فيها) جار و مجرور متعلقان بالخبر (خالدون).

2. المقطع الثاني من الآية 12 إلى الآية 16:

يخصّص الحديث عن أطوار خلق الإنسان، وهو الآخر مُكوّن من تراكيب إسنادية تتعلق بها تراكيب غير إسنادية:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾² جواب لقسم محذوف، مُكوّن من (الوار) للاستئناف، و (اللام) رابطة لجواب القسم، و (قد) للتحقيق، و (خلقنا) فعل ماضٍ وفاعل، و (من سلالة) جار ومجرور متعلقان بالفعل، و (من طين) شبه جملة مُعلّق بنعت (السلالة).
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾³ مكوّنة من (ثم) حرف عطف وتراخ، و (جعلناه) فعل ماضٍ وفاعل ومفعول أول، و (نطفة) مفعول به ثان، و (في قرار) جار ومجرور متعلقان بالمفعول به الثالث، و (مكين) صفة للقرار.
- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾⁴ ثم أنشأته خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين مكوّنة من (ثم) حرف عطف وتراخ، و (خلقنا) فعل ماضٍ وفاعل، و(النطفة) مفعول به، و (الفاء) حرف

¹ المؤمنون:11.

² المؤمنون:12.

³ المؤمنون:13.

⁴ المؤمنون:14.

عطف، و (خلقنا) فعل وفاعل، و (العلاقة) مفعول به أول، و (مضغة) مفعول به ثانٍ، و (الفاء) حرف عطف، و (خلقنا) فعل وفاعل، و (المضغة) مفعول به أول، و (عظاماً) مفعول به ثانٍ، و (الفاء) حرف عطف، و (كسونا) فعل وفاعل، و (العظام) مفعول به أول، و (لحمًا) مفعول به ثانٍ، و (ثم) حرف عطف، و (أنشأناه) فعل وفاعل ومفعول به، و (خلقنا) حال، و (آخر) صفة له، و (الفاء) استئنافية، و (تبارك) فعل ماضٍ، و (الله) فاعل، و (أحسن) بدل من الله، و (الخالقين) مضاف إليه.

● ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾¹ مكونة من (ثم) العاطفة التي تفيد الترتيب والتراخي، و (إن) للتوكيد، و (كم) اسمها، و (بعد ذلك) ظرف ومضاف إليه وهما متعلقان بخبرها (ميتون)، واللام مزحلقة.

● ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾² مكونة من (ثم) حرف عطف وتراخي، و (إن) للتوكيد، و (كم) اسمها و (يوم القيامة) ظرف ومضاف إليه متعلقان بخبر إن (تبعثون).

3. المقطع الثالث من الآية 17 إلى الآية 22

يتناول دلائل قدرة الله في الكون، تحتوي على تراكيب إسنادية تتعلّق بها تراكيب غير إسنادية:

● ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾³ مكونة من (الواو)

¹ المؤمنون: 15.

² المؤمنون: 16.

³ المؤمنون: 17.

للاستئناف، واللام رابطة لجواب القسم المحذوف، و(قد) للتحقيق، و (خلقنا) فعل وفاعل، و (فوقكم) ظرف ومضاف إليه وهما متعلقان بالفعل، و (سبع) مفعول به، و (طرائق) مضاف إليه، و (الواو) حالية، و (ما) نافية، و (كنا) فعل ماض ناقص مع اسمه، و (عن الخلق) جار ومجرور متعلقان بخبر كان (غافلين).

● ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾¹ الآية
مكوّنة من (الواو) عاطفة، و(أنزلنا) فعل وفاعل، و (من السماء) جار ومجرور متعلقان بالفعل، و (ماءً) مفعول به، و (بقدرٍ) متعلق بمحذوف صفة للماء أو بحال من الفاعل، و (الفاء) عاطفة، و (أسكناه) فعل وفاعل ومفعول به، و(في الأرض) شبه جملة متعلق بالفعل، و (الواو) عاطفة و (إنّ) للتوكيد مع اسمها(نا)، و (على ذهاب) جار ومجرور متعلقان بخبرها (قادرين)، و(به) متعلق ب (ذهاب)، واللام مزحقة.

● ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ خَيْلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾² الآية مكوّنة من (الفاء) العاطفة، و (أنشأنا) فعل وفاعله، و (لكم) و (به) متعلقان ب (أنشأنا)، و (جنان) مفعول به، و (من نخيل) صفة ل(جنان)، و (الواو) عاطفة، و(أعناب) معطوفة على (نخيل)، و (لكم) شبه جملة خبر مقدم، و (فيها) حال، و (فواكه) مبتدأ مؤخر، و (كثرة) صفة، و (منها) جار ومجرور متعلقان بالفعل (تأكلون).

¹ المؤمنون:18.

² المؤمنون:19 .

- ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾¹ الآية مكوّنة من (الواو) عاطفة، و (شجرةً) معطوفة على جنات، و (تخرج) فعل وفاعله و (من طور سيناء) جار ومجرور متعلقان بـ (تخرج)، و (تنبت) فعل وفاعله، و (بالدهن) في موضع حال أي مصحوبة بالدهن، و (الواو) عاطفة، و (صبغٍ) معطوفة على الدهن، و (للأكلين) في موضع صفة لصبغٍ، وجملة (تنبت بالدهن) صفة ثانية لـ (الشجرة).

- ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾² الآية مكوّنة من (الواو) عاطفة، و (إنّ) للتوكيد، و (لكم) خبر شبه جملة مقدّم، و (في الأنعام) في موضع حال، واللام مزحلقة، و (عبرة) اسمها مؤخر، و (نسقيكم) فعل وفاعل ومفعول به، و (مما) متعلقان بـ (نسقيكم)، و (في بطونها) متعلقان بمحذوف صلة للاسم الموصول (ما)، وجملة (نسقيكم) تفسيرية أو مستأنفة، و (الواو) عاطفة، و (لكم) خبر شبه جملة مقدّم و (فيها) جار ومجرور متعلقان بالخبر (لكم)، و (منافع) مبتدأ مؤخر، و (كثيرة) صفة، و (الواو) عاطفة، و (منها) جار ومجرور متعلقان بالفعل (تأكلون).

- ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾³ الآية مكوّنة من (الواو) العاطفة، و (عليها) و (على الفلك) كلّها متعلّقة بالفعل المضارع (تُحملون).

¹ المؤمنون:20.

² المؤمنون:21 .

³ المؤمنون:22.

المطلب الثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة

1. المقطع الأول: من الآية (1) إلى الآية (11)

تحدّث عن أوصاف المؤمنين الذين سيخلدون في الفردوس الأعلى، مستخدماً خمسة تراكيب إنشائية فعلية مثل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ، و﴿أَبْتَعَى﴾ ، و﴿خُافِظُونَ﴾ ، و﴿يَرْتُونَ﴾ ، والباقي كله تراكيب إنشائية اسمية مثل: ﴿هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ، و﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، و معلقة بها تراكيب غير إنشائية، وهذا توازنا مع تعداد صفاتهم الثابتة لاسيما إذا علمنا أن الاسم يثبت به المعنى.

استهلت السورة بجملة إخبارية¹ تؤكّد فلاح المؤمنين، وتثبت البشارة التي كانوا يتوقعونها، وذلك بوجود (قد) التي للتحقيق وظيقتها إثبات المتوقع « ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم، فخطبوا بما دلّ على ثبات ما توقعوه»².

ومما أكّد تلك البشارة ارتباطها بصيغة الماضي "أفلح" الدالة على تأكيد الفعل والقطع بحدوثه وعلى فاعل الحدث³، فهو فعل ماضوي مؤكّد يفيد التحقق وأن هؤلاء المؤمنين الذين استكملوا الصفات المذكورة أفلحوا ويفلحون وسيفلحون⁴.

أضف إلى ذلك، فوصف الذين رسخ في قلوبهم الإيمان بالاسم وقولنا "مؤمنين" أفضل من وصفهم بالفعل وقولنا "الذين آمنوا" لأنّه أكثر ثبوتا ورسوخاً في الأول، كما

¹ ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج (1)، ص 130.

² الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج(3)، ص 174.

³ ينظر: حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل، عمان، ط (1)، 2003، ص 42.

⁴ ينظر: الدجني فتحي عبد الفتاح: الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، ص 200.

أنه تناسب مع اسم السورة وسياق الآيات، فافتتاح السورة بهذا الأسلوب يُعدُّ بديعاً لكونه من جوامع الكلم، فالفلاح غاية لكل ساعٍ فكأنَّ المقصود هو " قد أفلح المؤمنون في كلِّ ما رغبوا فيه"¹.

ثمَّ إنَّ ارتباط ﴿أَفْلَحَ﴾ بالإيمان إشارة إلى أنَّه السبب الأعظم في الفلاح، فالإيمان وصف جامع للكمال²، يتفرَّع منه جميع الخصال المكمِّلة وتبنى عليه، فهو القاعدة الصلبة لها، فلولاها لما وُجدتْ، لأنَّ الإيمان مركزه قلب الإنسان ثمَّ ينعكس في جوارحه، وتلك الخصال لها علاقة بالجوارح والسلوك ومرتبطة بالقلب.

ولأنَّ الإيمان هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل³ يأتي تعداد لصفات المؤمنين «بالتعريف بطريق الموصول وبتكريره للإيماء إلى وجه فلاحهم وعلته، أي أنَّ كلَّ خصلة من هاته الخصال هي من أسباب فلاحهم ... لأنَّه لم يقصد أنَّ سبب فلاحهم مجموع الخصال المعدودة هذه فإنَّ الفلاح لا يتم إلاَّ بخصالٍ أخرى ممَّا هو مرجع النقي»⁴.

فقد ذُكر الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ سبع مرات في هذا المقطع، ففي الآية الثانية جاء صفة ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، وفي الآية الثالثة والرابعة والخامسة والثامنة والتاسعة ورد معطوفاً على ﴿الَّذِينَ﴾ الأولى، أمَّا في الآية الحادية عشر فقد وصف كلمة ﴿الْوَرِثُونَ﴾ العائدة إلى ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذا لما له من شأن عظيم في وصف المعارف بالجمال،

¹ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، ج (18)، 1984م، ص8.

² ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 8.

³ الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج(1)، ص567.

⁴ ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص9.

والاختصار تفاديا للتكرار¹، والإخبار عن الأسباب والعلل التي أهّلت المؤمنين إلى الفلاح دنيويا وأخرويا والتعظيم من شأنهم.

ويلاحظ أيضا في هذا المقطع تكرار الضمير المنفصل (هم) لماله من وظيفة في تقوية الخبر وقصر كل الصفات المذكورة بعده على المؤمنين وحدهم، وكأنّ المعنى أنّ المؤمنين لا يكونون كذلك إلا إذا انعكس إيمانهم في سلوكهم وأفعالهم وجوارحهم، فيتميزون بالخشوع والإعراض عن اللغو وإيتاء الزكاة وحفظ الفروج ومراعاة الأمانات والعهود والمحافظة على الصلاة، ومن ثمة يرثون الفردوس ويخلّدون فيها.

بعدها جاءت أخبار "هم" أسماءً للدلالة على ثبوت تلك الخصال فيهم ودوامها، وهي: ﴿خَشِعُونَ﴾، ﴿مُعْرِضُونَ﴾، ﴿فَعِلُونَ﴾، ﴿حَافِظُونَ﴾، ﴿رَاعُونَ﴾، ﴿خَالِدُونَ﴾، ﴿الْوَارِثُونَ﴾، ماعدا ﴿حَافِظُونَ﴾ التي وردت فعلا مضارعاً للدلالة على المزالة والتجدد، وهذا تتاسبا مع أداء الصلاة يوميا، وجيء بـ ﴿صَلَوْتِهِمْ﴾ في الآية التاسعة بصيغة الجمع للدلالة على العموم² والحفاظ عليها كلّها، وذكرت بصيغة المفرد ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ في الآية الثانية لأنها جاءت تبعا للخشوع الواقع خبراً.

أضف إلى ذلك، تقدّم المتعلقات (الجار والمجرور): ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾ ، و﴿عَنِ الْلَغْوِ﴾ ، و﴿لِلزَّكَاةِ﴾ ، و﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾، و﴿لَأَمْسَتِهِمْ﴾ ، و﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾، و﴿فِيهَا﴾ على أخبارها السابقة، وهذا من أجل الاهتمام بها وقصرها على المؤمنين وحصرها فيهم.

¹ ينظر: السامرائي فاضل صالح: معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1) ج (1)، 1428هـ ،

2007 ، ص 111.

² ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 18.

أما الآية السادسة والسابعة فهما شديدتا الارتباط بالآية الخامسة، فالمؤمنون يحفظون فروجهم عن الحرام في جميع الأحوال ويخرج عن ذلك المسموح به شرعاً وهنّ: الزوجات والسراري (حينما كان الرقّ موجوداً آنذاك)، وساهم في إبراز هذا المعنى حرف الاستثناء (إلا) الذي أفاد تغيير الحكم عما قبله ، و (الفاء) التي بيّنت ما لا يؤاخذ عليه الشرع.

وممّا زاد التوضيح أكثر وجود أسلوب الشرط في الآية السابعة أي: فمن طلب غير الزوجات والمملوكات فقد تجاوز الحدّ في البغي والفساد، وتخطى الحلال إلى الحرام، والمزية في ذلك مجيء (من) اسم شرط جازم، والفاء الرابطة، وكذا الارتباط السببي¹ بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط.

وأما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾² فقد جيء باسم الإشارة بعد تعداد تلك الخصال لبيان مدى جدارتهم واستحقاقهم بوراثه جنة الفردوس والخلود فيها، ثمّ «توسيط ضمير الفصل لتقوية الخبر عنهم بذلك، وحذف معمول الوارثون ليحصل إبهام وإجمالاً فيترقب السامع بيانه فيبين بقوله: الذين يرثون الفردوس قصراً لتفخيم هذه الورثة، والإتيان في البيان باسم الموصول الذي شأنه أن يكون معلوماً للسامع بمضمون صلة إشارة إلى أنّ تعريف "الوارثون" تعريف العهد كأنّه قيل: هم أصحاب هذا الوصف المعروف به، واستعيرت الورثة للاستحقاق الثابت لأنّ الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال»³.

وبذلك يظهر الترابط والتناسق والتلاحم داخل الآية الواحدة أو بين الآيات من حيث المعاني والنظم، فذكر الإيمان أولاً لأنّه القاعدة الأساسية التي تقوم عليها العقيدة وهي

¹ ينظر: السامرائي فاضل صالح : معاني النحو، ج(4) ، ص89 و90.

² المؤمنون:11.

³ ينظر: حميد البيّاتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، ص 20.

أيضا أساس التقوى، بعدها تتفرع منها باقي الصفات وتبنى عليها مثل: الخشوع، والإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج، ومراعاة الأمانات والعهود، والحفاظ على الصلاة.

ونتيجة لذلك كله يكون الفلاح بجنة الفردوس والخلود فيها، أما من حيث النظم فقد تمثل في ذلك الترابط العجيب بعضها ببعض سواء داخل الآية الواحدة أو بين الآيات، فقد عرّف عبد القاهر النظم بقوله: « توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم »¹.

ويقصد بمعاني النحو المعاني الذهنية التي تحدّد العلاقات بين الكلم وترتبط بعضها ببعضها² وهي:

1 - الإسناد: وهو أهم معنى نحوي يقوم عليه كل تركيب، إذ يُعدّ الأصل والأساس في بنائه، بعدها تأتي باقي العلاقات لتقيّد معناه، وتضيّق إطلاقه .

2 - التخصيص: وهو معنى نحوي له واسع الاتجاهات كلٌّ يخصّص الإسناد باتجاه معين، ويقوم بهذه الوظيفة في النظم: كلّ المفعولات، والحال، والتمييز، والاستثناء، والمخصوص.

3- الإضافة: وهي من معاني النحو، يقصد بها نسبة تربط بين شيئين فتجعلهما شيئاً واحداً، سواء كانت مباشرة (تأليف كلمة مع كلمة أخرى)، أو غير مباشرة (بوساطة حروف الجر).

¹ الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 525.

² ينظر: حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص 31.

4- الاتباع: هو الآخر من معاني النحو المقيّدة للإسناد، ذو اتجاهات مختلفة مثل

الوصف (الصفة) والبيان (العطف ، والبذل)، والتوكيد¹.

تقوم كلّ آية على علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، سواء كانت بين الفعل والفاعل كما ركّب بين ("أفلح" و"المؤمنون")، و("ملكيت" و"أيمانهم")، و ("ابتغى" والضمير المستتر)، و ("يحافظون" و واو الجماعة)، و ("يرثون" و واو الجماعة)، أو بين المبتدأ والخبر كما هو الحال بين ("هم" و"خاشعون")، و ("هم" و"معرضون")، و ("هم" و"فاعلون")، و ("هم" و"حافظون")، و ("هم" و"غير ملومين")، و("من" و"ابتغى") و ("أولئك" و"هم العادون")، و ("هم" و"راعون")، و ("هم" و"يحافظون") و("أولئك" و"هم الوارثون")، و ("هم" و"خالدون")، وعلاقة التخصيص باتجاه المفعول به تجمع بين ("يرثون" و"الفردوس")، وباتجاه المفعول فيه كما هو الحال بين ("ابتغى" و" وراء")، وعلاقة الاتباع باتجاه الوصف بين ("المؤمنون" و"الذين" الأولى)، و ("الوارثون" و"الذين").

وكذلك باتجاه آخر وهو البيان (العطف) بين ("أماناتهم" و"عهدهم") وكذا بين الآيات، إذ عطفت الآية الثالثة والرابعة والخامسة والثامنة والتاسعة على الآية الثانية بواسطة حرف العطف الواو.

أضف إلى ذلك علاقة الإضافة سواء كانت مباشرة كما صيغ بين ("صلاة" و"هم")، و ("فروج" و"هم")، و ("أزواج" و"هم") و("أيمان" و"هم")، و("أمانات" و"هم")، و("عهد" و"هم")، و("صلوات" و"هم")، و ("وراء" و"ذلك")، أو غير مباشرة بواسطة حروف الجر بين ("خاشعون" و"صلاة") بواسطة (في)، و ("معرضون" و"اللغو") بواسطة (عن)، و("فاعلون" و"الزكاة") بواسطة اللام، و("حافظون" و"فروج") بواسطة

¹. ينظر: المرجع السابق، ص من 181 إلى 230.

اللام، و ("راعون" و"أماناتهم") بواسطة اللام، و("يحافظون" و"صلواتهم") بواسطة (على) ، و("خالدون" والهاء) بواسطة (في).

أمّا الجامع بين الآية الأولى والثانية فهو علاقة تخصيص باتجاه الوصف لأنّ صفة ل ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ والأمر نفسه موجود بين الآية العاشرة والحادية عشر، لأنّ ﴿الَّذِينَ﴾ صفة ل ﴿الْوَرِثُونَ﴾، والرباط بين الآية الخامسة والسادسة فهو علاقة تخصيص باتجاه الإخراج (الاستثناء) لوجود "إلا".

2- المقطع الثاني: من الآية (12) إلى الآية (16):

تناول ما يؤدي إلى الإيمان بوحداية الله تعالى فخصّص جانباً من دلائل قدرته وعظمته في الخلق ألا وهو خلق الإنسان، ابتداءً من آدم عليه السلام ثمّ نسله ومروره بأطوار مختلفة وانتهائه بطور البعث بعد الموت يوم الحساب والجزاء¹.

ولإبراز ذلك جيء بتراكيب فعلية تبعث بالحركة والحياة، وهي: ﴿خَلَقْنَا﴾ ، ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ ، ﴿كَسَوْنَاهُ﴾ ، ﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾ ، ﴿تَبَارَكُ﴾ ، ﴿تُبْعَثُونَ﴾ ، فالأفعال الماضية تدل على تأكيد التحقق والقطع بحدوثه، بينما الفعل المضارع الأخير فيدل على الحدث والحدوث والتجدد².

فالملاحظ هنا تكرار الفعل "خلقنا" أربع مرات بمعانٍ مختلفة، ففي الآية الثانية عشر (12) يعني إيجاد الإنسان (آدم) من الطين، وفي الآية الرابعة عشر (14) يحمل معنى التصيير والتحويل، أضف إلى ذلك وجود حروف العطف بشكل لافت للانتباه سواء في بداية كلّ آية أو في داخلها، وهذا لعظم شأنها في تجلية مراحل خلق الإنسان من الإيجاد إلى البعث، وإذا كان للواو في الآية الثانية عشر حكم الاستئناف، فإنّ لهذا

¹ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ج(18) ، ص8 و9.

² ينظر: حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، ص42 و52.

المقطع علاقة وطيدة بما قبله، فبعدما ذكر الله تعالى الأسباب والعلل التي أهّلت المؤمنين للفلاح في الدنيا والآخرة أتبعها بتبيان ما يوجب الإيمان به وتوحيده، فكشف عن دلائل قدرته وعظم نعمه، وبدأ بخلق الإنسان، وجيء بلام رابطة لجواب القسم، وحرف التحقيق لتأكيد الخبر، وهذا لمراعاة التعريض بالمشركين المنكرين بهذا الخبر جهلاً منهم به، ثم (بمن) الأولى للكشف عن بداية الخلق (سلالة)، و(من) الثانية لبيان جنس المخلوق منه (الطين).

بعدها ارتبطت هذه الآية بالآية الثالثة عشر (13) بحرف العطف (ثم) ليفيد الترتيب مع التراخي¹، أي: وجود مهلة وقعت بينهما فقال : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾² أي جعلنا نسله نُطفاً (من مني في أصلاب الذكور لتقذف في أرحام الإناث) أين يتكوّن الجنين ابتداءً من الحمل إلى الولادة، وفيها هيئت كل الظروف لتطوره ونموه إلى أن يصبح إنساناً سوياً، لذلك جاء وصف الرحم بـ "قرار مكين" متناسباً³.

وبداخله تتحول النطفة إلى علقة وهي الدم الجامد فمضغة وهي قطعة لحم بقدر ما يمضغ، فعظام من رأس ورجلين ويدين مع عظامها وعروقها وعصبها، فتغطى باللحم الذي يشدّها ويقوّيها ويسترها لذلك جعل كسوة لها، بعدها تأتي مرحلة نفخ الروح ليتحرك وبصير خلقاً آخر سوياً له بصر وسمع وإدراك وحركة⁴، وقد وصفت هذه المراحل بدقة متناهية بواسطة حروف العطف. فقد جعل بين النطفة والعلق (ثم) العاطفة لأنها تفيد الترتيب مع التراخي، « إذ خلق النطفة علقة » أعجب من خلق

¹ ينظر: الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص 224.

² المؤمنون: 13.

³ ينظر: المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج (18)، ص 8.

⁴ ينظر: الشعراوي محمد متولي: تفسير الشعراوي - الخواطر -، (د.ط)، ج (16)، 1997م، ص 9979 و 9981.

النطفة إذ قد صيّر الماء السائل دماً جامداً فتغيّر بالكثافة وتبدّل اللون من عوامل أودعها الله في الرحم»¹.

وجعل بين العلة والمضغة (الفاء) العاطفة لإفادتها الترتيب مع التعقيب، فالدم الجامد واللحم متقاربان في التطور، أمّا الفاء التي بين المضغة والعظام فهي عاطفة تفيد التفريع، أي تفرّعت منها عظام لتكوين الهيكل الإنساني لتتلوها تغطيتها باللحم عن طريق إلغاء الفاء العاطفة².

بعدها يأتي طور نفخ الروح في هذا الكائن لتعمّ الحياة فيه، ولإحداث هذا التفاوت بين الخلقين جيء بـ "ثمّ" العاطفة، و "أنشأنا" الدالة على الإبداع، و "آخر" الواقعة صفة للخلق، ليتفرّع عن ذلك بواسطة الفاء العاطفة الثناء على الله تعالى بأنّه أحسن الخالقين والمبدعين والمنشئين ، فقد أنشأ ما لا يستطيعه أحد، ولما كان خلق الإنسان دالاً على عظم قدرته جاء الثناء "تبارك" مشتقاً من البركة التي تعني الزيادة، وقد حُذف مُتعلّق "الخالقين" ليشمل كلّ مخلوقاته من إنسان وغيره³.

بعد مرحلة التطور ونفخ الروح والخروج إلى الحياة الدنيا، فإنّ الإنسان مهما طال عمره فإنّه صائرٌ إلى الموت، وراجع إلى ربه الذي أنشأه النشأة الأولى، وعبر عن ذلك بـ "ثمّ" العاطفة الدالة على الترتيب والتراخي، و "بعد ذلك" الدالة على المهلة الزمنية في الدنيا، وأكّد هذا الخبر بـ "إنّ" ودخول اللام على خبرها، وإنزال المخاطب منزلة من ينكر الموت⁴.

¹ ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 23.

² ينظر: المرجع نفسه.

³ ينظر: الحجازي محمد محمود: التفسير الواضح ، دار الجيل ، بيروت، ط(10)، ج(2) ، 1414هـ، ص617.

⁴ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير ، ص 25.

بعد حدوث الموت يأتي البعث والنشور في يوم القيامة للجزاء والحساب، كلُّ يُجازى على عمله إن خيراً فخيرٌ والفوز بالجنة، وإن شراً فشرٌ والخلود في النار، ولإبراز ذلك جيء بـ "ثم" العاطفة الدالة على الترتيب والتراخي، وأُكِّد الخبر بمؤكِّدٍ واحدٍ "إن" رغم الإنكار بالبعث، لأنَّ ذكر الخلق الأول ومراحل تطوره ثمَّ موته لدليلٍ قاطعٍ على إمكان بعثه من جديد، وجاء الكلام بكاف الخطاب "كم" دون الغيبة لغرض التذكير بالموت وما بعده والتخويف¹.

وهذا كله يبرز مدى الترابط والتلاحم داخل الآيات وخارجها معنوياً، أمّا نظمياً فيتعلق بعضها ببعض بعلاقة الاتباع باتجاه البيان عن طريق العطف بـ "ثم" لما لها من أهمية في التوضيح، وكلُّ آية تحتوي على عمدة التركيب ألا هو الإسناد الجامع بين الفعل والفاعل كما حدث بين ("خلق" والضمير المتصل)، و ("جعل" و"نا")، و ("كسا" و"نا") و ("أنشأ" و"نا")، و ("تبارك" و"الله")، و ("تبعثون" و واو الجماعة) أو بين المبتدأ والخبر أو ممّا نزل منزلتهما كما هو واقع بين (كم وميتون)، و(كم وتبعثون).

بعدها قيَّد الإسناد بعلاقات أخرى كعلاقة التخصيص باتجاه المفعول فيه بين ("ميتون" و"بعد")، ("تبعثون" و"يوم")، وباتجاه المفعول به بين ("خلقنا" و"الإنسان") و ("جعلنا" ومفعوليه "الهاء ونطفة")، و ("خلقنا" ومفعوليه "النطفة والعلة")، و ("خلقنا" ومفعوليه "العلة ومضغة")، و ("خلقنا" ومفعوليه "المضغة وعظاماً")، و ("كسونا" ومفعوليه "العظام ولحمًا")، و ("أنشأنا" ومفعوليه "الهاء وخلقنا").

بالإضافة إلى علاقة الاتباع باتجاه الوصف بين ("سلالة" و "من طين")، و ("قرار" و"مكين")، و ("خلقنا" و"آخر")، وباتجاه البيان (البذل) بين ("الله" و"أحسن")،

¹. ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ج(2)، ص 278.

وعلاقة الإضافة سواء كانت مباشرة كما حدث بين ("أحسن" و"الخالقين")، و ("بعد" و"ذلك")، و ("يوم" و"القيامة")، وغير مباشرة بين ("خلقنا" و"سلالة") بواسطة حرف الجر (من)، و ("خلقنا" و"طين") بواسطة (من)، و ("جعلنا" و"قرار") بواسطة (في).

3. المقطع الثالث من الآية 17 إلى الآية 22:

هذا المقطع له ارتباط وثيق بما قبله لأن فيه مواصلة الحديث عن دلائل عظمة الله تعالى في الخلق وخصص الكلام هنا عن خلق السموات السبع وإنزال الماء، وتأثيره في إنبات النبات وخلق الحيوانات التي فيها منافع كثيرة من صوف وألبان ولحم وركوب عليها، وكل ذلك مسخر خدمة للإنسان.

لذلك جيء بعشر تراكيب إسنادية فعلية تنبض بالحركة والحدث، مثل: ﴿خَلَقْنَا﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾، ﴿وَأَسْكَنَهُ﴾، ﴿وَفَأَنشَأْنَا﴾، ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتَخْرُجُونَ﴾، ﴿وَتَنْبُتُ﴾، ﴿وَتُسْقِیْكُمْ﴾، ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾، ﴿وَتَحْمَلُونَ﴾، فالأفعال الماضية الأولى تدلّ على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه، أمّا الأفعال المضارعة المتبقية فتدلّ على الحدث والحدث والمزاولة والتجدد.

بينما التراكيب المتبقية فهي اسمية دالة على الثبوت مثل: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ﴾

لَقَدِرُونَ¹، و ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهٌ كَثِيرٌ﴾²، و ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾³.

استهلّ المقطع بلام رابطة لجواب القسم المحذوف، وحرف التحقيق (قد)، والفعل الماضي "خلقنا" لتأكيد خبر خلق السموات السبع، وذكر "فوقكم" قبل المفعول به "سبع"

¹ المؤمنون: 18.

² المؤمنون: 19.

³ المؤمنون: 21.

للتنبية على وجوب النظر في أحوالها والتأمل في دلائل قدرته فيها، ثم أُضيفت إليها "طرائق" للتوضيح وتحديد طبيعة الخلق.

بعدها جيء "بواو" حالية أعقبتها جملة في موضع حال مبدوءة بـ "ما" النافية لنفي الغفلة عن الله عز وجل وإثبات عنايته ورعايته بمخلوقاته، لاسيما البشر الذين سخر لهم كل ما في الكون خدمة لهم، إذ في خلق الطرائق السماوية لطفاً بهم ، لأن في نظامها انتفاع لهم في المواقيت والأسفار عبد البر والبحر¹ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾².

وما الآيات التي بعدها إلا تبيان لذلك الانتفاع، فمن السماء يُنزل الماء الذي يُعدُّ مصدر الحياة على وجه الأرض لأن به يحصل إنبات النبات وسقي الإنسان والحيوان، فجاء بالفعل الماضي "أنزلنا" للدلالة على تأكيد الحدث والقطع بإنزاله، مسبوقاً بالواو العاطفة لربط الآية الثامنة عشر (18) بالآية السابعة عشر (17)، وعُطف هذا الفعل على "خلقنا" لأن كلاهما ضمن دلائل قدرته تعالى، وقُدِّم المتعلق "من السماء" على المفعول به "ماء" واختير "من" الدالة على ابتداء الغاية المكانية³ لإثبات أن السماء هي مصدر الرزق لكل المخلوقات لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾⁴.

وكان للمتعلق "بقدر" أهمية في التوضيح، إذ أن إنزال الماء كان بمقدار الحاجة لا هو بالكثير فيهلك الأرض والعمران، ولا هو بالقليل الذي لا يكفي الزرع والثمار. أعقب

¹ ينظر: ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 25.

² الدخان: 38 و 39.

³ ينظر: حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص 246.

⁴ الذاريات: 22.

هذا التركيب تركيب إسنادي فعلي ﴿ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ ١ ﴾ بواسطة الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، فالماء المنزل لا يذهب هدرًا، وإنما يحتاج إلى مكان آمن يستقر فيه، ولا يكون ذلك إلا في الأرض، به ينمو ما فيها من الحب والنوى، ومنها تنبع الأنهار والآبار، وحيث دلّ على ذلك الفعل "أسكنه" الذي أفاد تأكيد الحدث والقطع بحدوثه، وكذا القرار والثبات، وحرف الجرّ "في" الدال على الاحتواء المكان².

أما التركيب الإسنادي الاسمي ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ٣﴾ الدال على الثبات والدوام زاد من إظهار قدرته وعظمته، فمثلما أنزل الماء وأسكنه في الأرض كذلك قادرٌ على إعدامه وجعله يذهب هدرًا، وهذا بوجود "إنّ" و "اللام" الذين قويا الخبر، وتتكبر "ذهاب" بغرض التعظيم وشمول كلّ أنواع الذهاب من تغويره إلى أعماق الأرض، ومن تجفيفه بشدة الحرّ، ومن إمساك نزوله مدة يموت فيها الإنسان و الحيوان والطيور وتموت النباتات والأشجار .

بعدها تأتي تراكيب فعلية واسمية في الآية التاسعة عشر (19) والعشرين (20) لتكون تفریعاً لما ذكر في الآية الثامنة عشر (18)، فإنزال الماء من السماء أنشئ رزقا للعباد، إذ به أخرجت الحقائق والبساتين التي تسرّ الناظرين لما فيها من نخل وأعناب وفواكه متنوعة للأكل، وشجرة الزيتون للدهن والشرب والصبغ.

ولبيان ذلك جيء بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، والفعل الماضي "أنشأنا" الدال على تأكيد حدث الإنشاء والقطع بحدوثه، وقُدّم المتعلق "لكم" على المفعول به

¹ المؤمنون: 18.

² ينظر: حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص 246.

³ المؤمنون: 19.

"جناتٍ" و "لكم" الواقعة شبه جملة على المبتدأ "فواكه" و "منها" على "تأكلون" لإثبات أنَّ الإنسان هو المنتفع الأول من ذلك الرزق وكل ما خلق مُسَخَّرٌ له.

ونُكِّرَت "جنات" للدلالة على تنوعها وكثرتها، وجيء ب"من" لتدلَّ على أنَّ ما بعدها هو بعض ممَّا هو كثير وشامل¹، أمَّا التركيبان الإسناديان الفعليان ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلَيْنِ﴾² فلهما أهمية في وصف شجرة الزيتون المباركة لأنَّها تنبت في جبل الطور الذي فيه كلم الله موسى عليه السلام³، ولبركتها هي شفاءٌ لكثير من الأمراض الباطنية والجلدية الظاهرة عند شرب زيتها والادِّهان به.

بعدها تُواصل الآيات في تبيان إنفراد الله تعالى بالخلق وتمايم قدرته، وذلك بمجيء الواو العاطفة الدالة على الإشراك في الحكم، فخصَّص الحديث عن خلق الأنعام (الإبل والغنم والبقر) وما لها من فوائد جمَّة ومنافع عظيمة على العباد، من انتفاع بألبانها وأصوافها ولحومها وأوبارها وأشعارها والركوب على الإبل في البرِّ وحمل الأثقال عليها.

ولبيان ذلك الخبر وتقويته جيء بـ "أَنَّ" و "اللام" وبـ "عبرة" التي تعني الدليل⁴، وقُدِّمَ المتعلِّق "لكم" الأولى على خبر "إِنَّ"، و "لكم" الثانية الواقعة خبر شبه جملة على المبتدأ النكرة "منافع" التي جعلت في صيغة جمع، ووصفت بـ "كثيرة"، وقُدِّمَ أيضا

¹ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير ، ص33.

² المؤمنون:20.

³ ينظر: الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير ، ص279.

⁴ ينظر: المراغي أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، ص15.

المتعلّق "منها" على الفعل "تأكلون"، و "عليها" على الفعل "تُحملون"، كلّ ذلك للدلالة على تسخير الأنعام خدمةً للإنسان أكلاً وشراباً ولباساً ولتيسير أمور حياته.

فهذا التشابك المعنوي داخل التراكيب وخارجها أو بين الآيات مرتبط بالتشابك النظمي النابع من توحي معاني النحو وأحكامه وقوانينه فيما بين معاني الحكم، فكلّ آية تقوم على الإسناد الجامع بين الفعل والفاعل كما هو الحال بين ("خلق" و"نا")، و ("أنزل" و"نا")، و ("أسكن" و"نا") و ("أنشأ" و"نا")، و ("تأكلون" و"واو الجماعة")، و ("تخرج" والضمير المستتر)، و ("تنبت" والضمير المستتر)، و ("نسقيكم" والضمير المستتر)، و ("تحمّلون" و"واو الجماعة")، أو بين المبتدأ والخبر كما حدث بين (اسم كان وخبرها "غافلين")، و (اسم إنّ وخبرها "قادرون")، و ("فواكه" و"لكم")، و (اسم إنّ "عبرة" وخبرها "لكم")، و ("منافع" و"لكم").

بعدها يُقيّد هذا الإسناد ويحدّد أكثر بمعاني نحوية أخرى مثل التخصيص باتجاه المفعول به بين ("خلقنا" و"سبع")، و ("أسكننا" والهاء)، وباتجاه المفعول فيه بين ("خلقنا" و"فوقكم")، وعلاقة إتباع باتجاه الوصف بين ("ماء" و"بقدر")، و ("فواكه" و"كثيرة")، و ("شجرة" و"تخرج" و"تنبت")، و ("صبغ" و"لآكلين")، و ("منافع" و"كثيرة").

وكذا باتجاه البيان من خلال حروف العطف كالواو والفاء، وهذا يظهر في تعليق التراكيب بعضها ببعض سواء داخل الآية الواحدة أو بين الآيات، وعلاقة الإضافة سواء كانت مباشرة بين ("فوق" و"كم")، و ("سبع" و"طرائق")، و ("طور" و"سيناء")، ("بطون" والهاء)، وأخرى غير مباشرة بواسطة حروف الجر مثلما هو الحال بين ("غافلين" و"الخلق") بواسطة (عن)، و ("أنزلنا" و"السماء") بواسطة (من)، و ("أنزلنا" و"قدر") بواسطة (الباء)، و ("أسكننا" و"الأرض") بواسطة (في)، و ("قادرون" و"ذهاب") بواسطة (على)، و ("قادرون" والهاء) بواسطة (الباء)، ("أنشأنا" و"كم") بواسطة (اللام)،

و ("أنشأنا" و"الهاء" بواسطة (الباء)، و ("تأكلون" و "الهاء" بواسطة (من)، ("تخرج" و"طور" بواسطة (من)، و ("تتبت" و"الدهن" بواسطة (الباء)، و ("عبرة" و"الأنعام" بواسطة (في)، و (نسقي وما) بواسطة (من)، و (نسقي وبطون) بواسطة (في)، و("تأكلون" و"الهاء" بواسطة (من)، ("تحملون" و"الهاء" بواسطة (على)، و ("تحملون" و"الفلك" بواسطة حرف الجر (على).

والأمر نفسه في كل الآيات المتبقية، فالنماذج المأخوذة دليلٌ على مدى التشابك المعنوي والنظمي سواء كان داخل التركيب الواحد أو بين التراكيب المتعددة، أو في الآية الواحدة أو حين ارتباط الآيات بعضها ببعض، وهذا ما هو إلا انعكاسٌ للتوازن التركيبي في سورة المؤمنون.

المبحث الثاني: التوازن التركيبي في سورة الأحزاب

المطلب الأول: التحليل النحوي لبعض التراكيب

1. المقطع الأول من الآية (1) إلى الآية (3)

هو خطاب موجّه إلى النبي (ص)، مكون نحويًا¹ من تراكيب إسنادية تتعلق بها تراكيب غير إسنادية:

● ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾²

تحتوي الآية على حرف نداء (يا)، والمنادى (النبي)، وفعل أمر (اتق)، والفاعل المستتر، والمفعول به (الله)، وحرف العطف (الواو)، وحرف نهى (لا)، وفعل مضارع (تطع)، والفاعل المستتر، والمفعول به (الكافرين)، وحرف العطف (الواو)، واسم المعطوف (المنافقين)، وحرف يفيد التوكيد (إن)، واسمها (الله)، وخبرها (كان عليما حكيمًا).

● ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾³ مكونة من حرف

عطف (الواو)، وفعل الأمر (اتبع)، واسم موصول واقع مفعول به (ما)، وصلته من فعل مبني لما لم يسم فاعله مع نائبه المستتر (يُوحى)، وشبه الجملة المتعلّق بالفعل ("إليك" و "من ربك")، وحرف يفيد التوكيد (إن)، واسمها (الله)، وخبرها المكوّن من فعل ماض ناقص (كان)، ومتعلقة (بما)، وصلة الموصول (تعملون)، وخبرها (خبيرًا).

¹ ينظر: . الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، المجلد (6)، ص من 132 إلى 149.

. ابن عبد الرحيم صافي محمود: الجدول في إعراب القرآن الكريم، ج (21)، ص من 126 إلى 139.

² الأحزاب:01.

³ الأحزاب:02.

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾¹ مكوّنة من حرف العطف (الواو)، وفعل أمر (توكل) وفاعله المستتر، وشبه جملة متعلق به (على الله)، وحرف العطف (الواو)، وفعل ماض (كفى)، والفاعل المجرور لفظا والمرفوع محلاً (بالله)، والتمييز (وكيلاً).

2. المقطع الثاني من الآية (4) إلى الآية (8):

يبدأ بوضع تشريع جديد بعد إبطال المعتقدات الجاهلية الفاسدة، مكونة من تراكيب إسنادية تتعلق بها تراكيب غير إسنادية.

- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾² مكوّن من حرف نفي (ما)، وفعل ماض (جعل)، وفاعله (الله)، وشبه الجملة المتعلّق بمحذوف المفعول الأول لجعل (لرجل)، والمفعول به الثاني المجرور لفظا والمنصوب محلاً، وشبه الجملة المتعلّق بنعت لقلبين (في جوفه).

- ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾³ مكوّنة من حرف العطف (الواو)، والفعل (جعل)، والمفعول به الأول (أزواجكم)، والاسم الموصول الواقع نعتاً (اللائي)، وصلة الموصول (فعل مضارع (تُظاهرون)، و متعلقه (منهنّ)).

¹ الأحزاب:03.

² الأحزاب:04.

³ الأحزاب:04.

● ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

﴿¹ مكوّنة من حرف العطف (الواو)، والفعل الماضي (جعل)، وفاعله المستتر، والمفعول به أول (أدعيائكم)، والمفعول به ثان (أبنائكم). وكلّ منهما يحتوي على المضاف إليه (كم).

● ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

﴿² مكوّنة من اسم إشارة المبتدأ (ذلكم) والخبر مع المضاف إليه (قولكم)، والمتعلّق بمحذوف الحال (بأفواهكم)، و واو العطف، والمبتدأ الواقع مبتدأ والخبر (يقول الحق)، والضمير المنفصل الواقع مبتدأ (هو) ، والخبر الجملة الفعلية (يهدي السبيل).

● ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ﴾ ³ تحتوي على فعل الأمر مع فاعله ومفعوله

(ادعوهم)، ومتعلّقه المضاف إلى ضمير (لآبائهم)، والمبتدأ (هو)، والخبر (أقسط)، والمتعلّق بمحذوف حال (عند الله).

● ﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۖ﴾ ⁴ تحتوي على فاء العاطفة،

و حرف شرط (إن) ، وحرف النفي والجزم والقلب (لم)، والفعل المضارع المجزوم (تعلموا)، وفاعله (واو الجماعة)، ومفعوله مع (آبائهم)، والفاء الرابطة لجواب الشرط، والخبر المحذوف المبتدأ (إخوانكم)، والمتعلّق بمحذوف حال (في الدين)، والمعطوف بالواو مع المضاف إليه .

¹ الأحزاب:04.

² الأحزاب:04.

³ الأحزاب:05.

⁴ الأحزاب:05.

● ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴾¹ مؤلّفة من حرف العطف (الواو)، والفعل الماضي الناقص (ليس)، والمتعلّق بمحذوف خبرها (عليكم)، واسمها المتأخّر (جناح)، والمتعلّق بمحذوف صفة (فيما)، وصلة الموصول (فعل وفاعله (أخطأتم) ومتعلّقه (به))، وحرف العطف (الواو)، وحرف الاستدراك (لكن)، واسم الموصول المعطوف على ما قبله (ما)، وصلة الموصول (فعل ماضٍ (تعمدّت) و فاعله ومضاف إليه (قلوبكم))، وحرف الاستئناف (الواو)، وفعل ماضٍ ناقص (كان)، واسمها (الله)، وخبرها الأول (غفوراً)، وخبرها الثاني (رحيماً).

● ﴿ أَلَنبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ﴾² تتركّب من المبتدأ

(النبي)، والخبر (أولى) ومتعلّق الخبر (بالمؤمنين)، وكذلك (من أنفسهم)، وحرف العطف (الواو)، والمبتدأ المضاف إلى ضمير (أزواجه) وخبره المضاف إلى ضمير (أمهاتهم).

● ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ

تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾³ تتألّف الآية من حرف العطف (الواو)، والمبتدأ المضاف إلى اسم (أولو الأرحام)، وخبره الجملة الاسمية (بعضهم مبتدأ مضاف إلى ضمير) أولى (خبر))، ومتعلّق أولى ("ببعض" و "في كتاب" و "من المؤمنين")، وحرف الاستثناء (إلا)، والمصدر المؤوّل مستثنى من أعم العام (أن تفعلوا)، ومتعلّق الفعل المضارع (إلى

¹ الأحزاب: 05.

² الأحزاب: 06.

³ الأحزاب: 06.

أوليائكم)، والمفعول به (معروفاً)، والفعل الماضي الناقص (كان)، واسمها (ذلك)، وخبرها (الكتاب) ومتعلق الخبر (في الكتاب).

● ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾¹ مكوّنة من حرف الاستئناف (الواو) والظرف المتعلق بمحذوف الفعل "اذكر" (إذا)، وجملة (أخذنا) الواقعة مضافاً إليه للظرف، والجار والمجرور المتعلقان "بأخذنا" (من النبيين)، والمفعول به المضاف إلى ضمير (ميثاقهم)، وما بعد ذلك من عطف الخاص على العام (من النبيين)، وحرف العطف (الواو)، والفعل مع فاعله (أخذنا)، وشبه الجملة المتعلق بالفعل (منهم)، والمفعول به (ميثاقاً)، والصفة (غليظاً).

● ﴿لَيْسَ لَ الصّٰدِقِيْنَ عَنْ صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابًا أَلِيْمًا﴾² مكوّنة من لام التعليل، والفعل المضارع (يسأل) المنصوب بأن المضمرة مع فاعله، والمفعول به (الصادقين)، والمتعلق بالفعل مع المضاف إلى ضمير (عن صدقهم)، وحرف العطف (الواو)، والفعل الماضي مع فاعله (أعدّ)، ومتعلقه (للكافرين) والمفعول به (عذاباً)، وصفته (أليماً).

3. المقطع الثالث من الآية (9) إلى الآية (12):

هو خاص بغزوة الأحزاب، يضم مجموعة تراكيب إسنادية وأخرى غير إسنادية متعلقة بالأولى.

¹ الأحزاب: 07.

² الأحزاب: 08.

● ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾¹ مكونة من حرف النداء (يا)

والمنادى (أيها)، والاسم الموصول الصفة أو البدل (الذين)، والفعل الماضي وفاعله (آمنوا)، وفعل الأمر مع فاعله (اذكروا)، والمفعول به المضاف إلى اسم (نعمة الله)، ومتعلق الفعل (عليكم).

● ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾² وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

مكونة من ظرف متعلق بـ (اذكروا) وهو (إذا)، وفعل ماضٍ مع مفعوله (جاءتكم)، والفاعل (جنود)، وحرف العطف (الفاء)، والفعل الماضي مع فاعله (أرسلنا)، ومتعلقه (عليهم)، والمفعول به (ريحاً)، وحرف العطف مع اسم المعطوف (وجنوداً)، والجملة الواقعة صفة لـ "جنود" ("لم") (حرف نفي وجزم وقلب) و"تروها" (فعل مضارع مع فاعله ومفعوله)، و واو الاستئناف أو الحال، والفعل الماضي الناقص (كان)، واسمها (الله)، وشبه الجملة المتعلق بالخبر (بصيراً) وهو (بما)، وصلة الموصول (تعلمون).

● ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾³

مكونة من (إذ) الواقعة بدلاً من (إذ جاءتكم)، وجملة الفعل والفاعل والمفعول به الواقعة مضافاً إليه (جاؤوكم)، ومتعلق الفعل (من فوقكم)، وحرف العطف (الواو)، والمعطوف عليه (من أسفل)، والمتعلق بأسفل (منكم)، والظرف المعطوف على السابق (إذ)، وجملة الفعل والفاعل الواقعة مضافاً إليه للظرف (زاغت الأبصار)، وحرف العطف (الواو)، وفعل الماضي

¹ الأحزاب: 09.

² الأحزاب: 09.

³ الأحزاب: 10.

(بلغت)، والفاعل (القلوب)، والمفعول به (الحناجر)، وحرف العطف (الواو)،
وفعل المضارع مع فاعله (تظنون)، ومتعلّقه (بالله)، والمفعول المطلق
(الظنونا).

● ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾¹ مكوّنة من اسم الإشارة الواقع
ظرف مكان، والفعل المبني لما لم يسم فاعله (ابتلي)، ونائب فاعله
(المؤمنون)، وحرف العطف (الواو)، والفعل المبني لما لم يسم فاعله مع نائبه
(زُلْزِلُوا)، والمفعول المطلق (زلزالاً)، وصفته (شديداً).

● ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾² مكوّنة
من حرف العطف (الواو)، والظرف المعطوف على السابق أو متعلّق بالفعل
"اذكر" المحذوف، وجملة الفعل والفاعل الواقعة مضافا إليه (يقول المنافقون)،
وحرف العطف واسم الموصول المعطوف على ما قبله (والذين)، وجملة الصلة
(في قلوبهم مرض) المكوّنة من خبر مقدّم ومبتدأ مؤخر، وجملة مقول القول
("ما" (حرف نفي) "وعدنا" (فعل ومفعول به) "الله" (فاعل) "ورسوله" (حرف
عطف واسم معطوف) "إلا" (للحصر) "غروراً" (مفعول به ثان لوعده أو صفة
لمفعول مطلق محذوف أي وعداً غروراً)).

¹ الأحزاب: 11.

² الأحزاب: 12.

المطلب الثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة

1. المقطع الأول من الآية (1) إلى الآية (3):

افتتحت السورة بخطاب النبي (ص) وندائه إيذانا بأن ما يذكر فيها له علاقة بأحواله (ص)، وقد نودي فيها خمس مرات¹ لأغراض مختلفة من التشريع، بعضها خاص به وبعضها الآخر له علاقة بغيره وملابسة به أيضا، فالنداء الأول جاء في غرض تحديد واجبات رسالته المكلف بها نحو ربّه عزّ وجلّ، والثاني في التسوية وجعل مقام أزواجه قريبا من مقامه، والثالث في تحديد تقلبات شؤون رسالته في معاملة الأمة.

أمّا النداء الرابع فقد ورد في طالعة أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه، والخامس في موضع تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات ، وقد نودي عليه الصلاة والسلام بالنبي دون اسمه تشريفا له وتتويهاً بفضلته وبمكانته العظيمة عند بارئه الأعلى، وإرشادا لغيره للأدب معه أثناء مخاطبته².

هذا المقطع تمهيد لتشريع عظيم سيُلقي إليه، فهو لا يخلو من ضيق وحرَج عليه وعلى بعض أمته، ولَمّا سيلقيه أيضا من مكائد الكفار والمنافقين ومطاعنهم³، فبعد النداء جاء أمر بالمداومة على تقوى الله والثناء عليه، من مخافته وطاعته والتزام أوامره واجتناب نواهيه وترك محارمه وعدم تجاوز حدوده، فهو باب واسع لا آخر له، وهي بذلك كلمة شاملة وعامة تلتها جزئياتها التي لها علاقة مباشرة بما سيرد بعدها من آيات، من عدم طاعة الكفار والمنافقين واتباع الوحي، والتوكّل على الله لقصر التقوى على التعلّق بالله وحده دون غيره.

¹ النداءات موجودة في الآيات الآتية على التوالي: 1 و 28 و 32 و 45 و 50 .

² ينظر: . الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج (3)، ص 518 .

³ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 250.

لذلك جيء بصيغ الأمر "اتق" و "اتبع"، و"توكل" للدلالة على الحدث وطلب حدوثه وإحداثه، وعلى المداومة والاستمرار في ذلك، وبصيغ المضارع "لا تُطع"، و"يُوحى"، و"تعملون" للدلالة على الحدث والحدوث والمزاولة والتجدد، وبصيغة الماضي "كفى" للدلالة على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه، ثم أتبعها بأسمائه تعالى، وبذلك تكون تلك الأفعال قد اخترقت أزمانها المحددة لها، وصارت خالدة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي الآية الأولى جيء بـ "الله" لقصر التقوى عليه ولتأكيد ذلك عطف على الأمر بجملة فعلية مبدوءة بواو عاطفة تفيد الاشتراك بينهما و وجود تناسب، لكون هذه جزءاً من الكل (التقوى)، متبوعة بـ "لا" الناهية والجازمة للفعل المضارع "تطع"، وتناسب ذلك النهي مع كلمة "الكافرين" لأنهم أظهروا العداء للإسلام والمسلمين وجأهروا بالكفر، و "المنافقين" أبطنوها وتظاهروا بالإيمان نفاقاً، وجمع بينهما بواو عاطفة للدلالة على اشتراكهما في الكفر وتدبير المكائد والمؤامرات، واختلافهما في كيفية إظهاره¹.

ولتعليل ذلك الأمر والنهي أُرِدَتْ الجملة وَذِيلَتْ بِ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾² للتأكيد على أَنَّ الله وحده العليم بعواقب الأمور والمحيط بكل شيء، والحكيم بتدبير شؤون خلقه، فلا يأمر بأمر ولا ينهي عن فعل إلا وفيه الصلاح والمنفعة، وهذا نتيجة دخول "إِنَّ" عليها التي أغنت عن "فاء" التعليل وقامت مقامها، وربطت ما بعدها بما قبلها ربطاً مُحْكَمًا³، دون الحاجة إلى حروف الربط المعروفة.

¹ ينظر: . ابن مصطفى الزحيلي وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج(21)، ص 228 .

² الأحزاب:01.

³ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص251.

وفي الآية الثانية عطف الأمر باتباع الوحي المنزل على الأمر الأول بواو عاطفة تفيد الاشتراك و وجود تناسب بين الأمرين، فالأمر بالاتباع هو جزء من الأمر بالتقوى، وقد تعدّى ذلك الفعل إلى مفعول به (ما) الدال على العموم ليشمل كل ما أوحاه الله إلى نبيه من أوامر ونواهي، ويشير أيضا إلى التشريع الجديد الذي فرضه عليه بعد إبطال المعتقدات الفاسدة آنذاك.

لِيُذِيلَ ذَلِكَ بِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾¹ بهدف تعليل الأمر بالاتباع والتأنيس به، فكان لـ "إِنَّ" الفضل في التأكيد وربط اللاحق بالسابق، وقد قُدِّمَ متعلّق خبر كان (بما) على الخبر (خبيرا) للاهتمام والتأكيد على أَنَّ الله يعلم بدقة بواطن الأشياء وظواهرها، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء².

وفي الآية الثالثة أمر بتفويض كل أموره وأحواله إلى الله تعالى والإنابة إليه، وعُطف على "اتق" فهو وحده جالب النفع ودافع الضرر، وهذا تمهيد لما سيلقى عليه من تكليف يجد معه ضيقا وأذى من أعدائه، بعدها يُستأنف كلام جديد بواسطة (الواو) فمجيء "كفى" فعلاً ماضياً، و (الله) فاعلاً مجروراً لفظاً ومرفوعاً محلاً، و "وكيلاً" تمييز نسبة أدّى إلى الشمولية، فالله هو الحافظ الذي يوكل إليه كلّ الأمور والشؤون، فإذا أراد بك نفعاً لم يمنعه عنك أحد، وإذا أراد بك ضرراً لم يدفعه عنك أحد³.

فهذا التشابك المعنوي والنظمي نتيجة توحي معاني النحو وأحكامه وفروقه فيما بين معاني الكلم من خلال علاقات تجمعها هي:

¹ الأحزاب: 02.

² ينظر: . المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، ج(21) ، ص125.

³ ينظر : الصابوني محمد علي: صفوة التفسير، ج(2) ، ص469.

- الإسناد الجامع بين الفعل والفاعل كما حدث في (اتق) ،و(لا تُطع)، و (اتبع)، و (يوحى) ،و (تعلمون)، و (توكل)، و(كفى بالله)، أو بين المبتدأ والخبر وممّا نزل منزلتهما بين (الله و "كان عليما حكيمًا")، و(اسم كان المحذوف وخبرها "عليما وحكيما")، (الله و "كان بما تعملون خبيرًا")، و (اسم كان المحذوف و"خبيرًا").

- التخصيص سواء باتجاه المفعول به كما هو الحال بين ("اتق" و"الله")، و ("لا تطع" و"الكافرين")، و ("اتبع" و"ما")، أو باتجاه توضيح الإبهام (التمييز) بين ("كفى" و"كيلا").

- الاتباع سواء باتجاه البيان بواسطة حرف العطف (الواو)، فقد عطفت الجمل الآتية: "لا تطع" و "اتبع" و "توكل" على "اتق" ، أمّا "كفى بالله" فقد عطفّت الجميلة على "توكل"، والمنافقين" على "الكافرين"، وكذا بواسطة البدل كما هو الحال بين المنادى "أيّها" و (النبي).

- الإضافة سواء كانت مباشرة بين (رب والكاف)، أو غير مباشرة كما حدث بين ("يوحى" و"الكاف") بواسطة (إلى)، و("كان" و"ما") بواسطة (الباء))، و ("توكل" و"الله") بواسطة (على).

2. المقطع الثاني من الآية (4) إلى الآية (8):

هذا المقطع هو ابتداء للتفصيل لما أجمل في التمهيد، والشروع في توضيح التشريع الجديد الذي وصفه الله تعالى في ذلك الوقت وأوحاه إلى نبيه المصطفى وأمره باتباعه وتطبيقه، تناول ثلاث محطات مختلفة المواضيع ومتناسبة العلاقة، فالآية الرابعة (4)

هي استئناف ابتدائي بمعنى ابتداء المقدمة لتوضيح الغرض والمقصود، ومن ثمة هي أخص من التمهيد¹،

ولإقامة الشريعة على العقائد الصحيحة، أبطلت الآية المعتقدات الجاهلية الفاسدة، ونبذت الحقائق المصنوعة والمخالفة للواقع، لأنَّ إصلاح العمل والسلوك يأتي بعد إصلاح التفكير، فبدأت الآية بإبطال أمور ثلاث كان أهل الجاهلية قد زعموها وادَّعوها واختلقوها من أنفسهم، وهي: وجود قلبين في الجوف، والظهار، والتبني².

فعن إبطال الزعم الأول جيء بحرف نفي (ما) وصيغة الماضي "جعل" للدلالة على نفي حدوث الجعل وتأكيد، وأسند ذلك إلى "الله" عرَّ وجلَّ، وحرف الجر (اللام) لتأكيد الاستغراق، وتتكير "رجل" بغرض التعميم، وحرف "من" للتخصيص والتأكيد على عموم "قلبين"، وبحرف الجر "في" و "بالجوف" مضافا إلى ضمير لإنكار احتواء الجوف على قلبين، « فدلَّت هذه العمومات الثلاثة على انتفاء كلِّ فرد من أفراد الجعل لكلِّ فرد ممَّا يطلق عليه أنَّه قلبان، عن كلِّ رجل من الناس، فدخل في العموم جميل بن معمر وغيره »³.

ولإبطال الزعم الثاني عطف على الأول بواو عطف، وجيء بأسلوب نفي ثانٍ مكوّن من "ما" النافية، والفعل "جعل" الذي أسند إلى الله (ضمير مستتر) للدلالة على نفي حدوث الجعل، ثم عُدِّي إلى مفعولين مضافين إلى "كم" العائد إلى نساء الجاهلية، فالمفعول الأول "أزواجكم" وُصف باسم موصول "اللائي" للدلالة على جماعة النساء، ووُصِلَ بجُملة خبرية تحمل معنى معهوداً للسامع، بُدئت بفعل مضارع "تظاهرون" للدلالة على الحدث والحدوث والمزاولة والتجدد، وأسند إلى واو الجماعة، ثم عُلّق بشبه

¹ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير ، ص 253.

² ينظر: ابن إسماعيل إبراهيم: الموسوعة القرآنية ، مؤسسة سجل العرب ، ج(10) ، 1405هـ ، ص540.

³ ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 255.

جملة مُكوّن من حرف الجر "من" الابتدائية، والضمير "هنّ" لتضمين معنى الانفصال من المرأة المراد تحريمها، لأنّ الرجل في ذلك الوقت إذا أراد فراق زوجته يقول لها: "أنت علي كظهر أمي"¹، ومثّل هذا المعنى المفعول الثاني "أمهاتكم".

بعدها عطف هذا على إبطال ثالث وهو التبني بواو عطف، وجعل في أسلوب نفي مبدوء "بما" النافية، والفعل الماضي المسند إلى ضمير مستتر يعود إلى (الله) "جعل" للدلالة على النفي القاطع لحدوث الجعل، وعُدّي إلى مفعولين مضافين إلى ضمير مخاطب "كم" "أدعياءكم وأبناءكم"، ثمّ جيء بجملة اسمية تُعدّ استئنافاً اعتراضياً يتنزّل منزلة البيان بالتحصيل لما قبله²، فبدئ بـ "ذلكم" للإشارة إلى نفي ما جعل ما ليس بواقع واقعاً³، والمتضمن في "قولكم" المضاف إلى ضمير مخاطب، وقيدّ بشبه جملة "أفواهكم" للدلالة على فساد اعتقادهم عدم مطابقتها للواقع وللفطرة السليمة.

ومما زاد ذلك توضيحاً وتأكيّداً مجيء جملتين اسميتين الأولى مكوّنة من المسند إليه "الله"، والمسند "يقول الحق"، فهذا إشارة إلى أنّ ما قالوه هو كذب في كذب، والله تعالى لا يقول إلّا الحقّ، والجملة الثانية مكوّنة من أيضاً من مبتدأ "هو"، وجملة فعلية خبرية "يهدي السبيل"، فالسبيل هو طريق الحق والرشاد، وهو كناية عمّا كان ضده باطلاً وضالاً.

وجاءت الآية الخامسة (5) لتأكيد وتقوية ما سبقها من تحريم التبني، فكانت استئنافاً بالشروع في إبطال ذلك الحكم والتفصيل فيه⁴، ومن ثمّة تقريراً له، فبدأت بفعل الأمر "ادعوههم" مسندٍ إلى واو الجماعة ومتصلٍ بالمفعول به للدلالة على أنّ المطلوب

¹ ينظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج(3)، ص15.

² ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 259.

³ ينظر: الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، ص470.

⁴ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 261 و 262.

إحداث الحدث وطلب حدوثه، أي مناداة الابن المتبني باسم أبيه لا باسم من تنباه، وإفادة ذلك عُلّق شبه جملة "لآبائهم"، واللام هنا لام الاستحقاق والانتساب¹.

بعدها عُلّق ذلك بجملة اسمية ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ ، وعُلّق بشبه الجملة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ بالخبر، وهذا بمثابة استئناف بياني²، ثم فرّع عليه بأسلوب شرط ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾³ مُكوّن من "فاء" التي تفيد التفرّيع، وحرف الشرط "إن" ليؤدي وظيفة التعليق والربط في الجملة الشرطية ﴿لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾⁴ وعلى الاستقبال أيضا.

أمّا الفعل المضارع المجزوم فحدوثه مُعلّق على حدوث حدث آخر موجود في جواب الشرط ﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾⁵ ، والمبدوء بفاء الرابطة بينه وبين جملة الشرط، وعُطفت ﴿مَوَالِيكُمْ﴾ على ﴿فَاِخْوَانُكُمْ﴾ بحرف الواو الدالة على التقسيم وهي تصلح لمعنى لتخيير⁶، والمقصود هنا أنّ الابن المتبني إذا لم يُعلم أباه فيمكن مناداته بالأخ في الدين أو مولى، ثمّ عُطف التركيب ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾⁷ على ﴿آبَاءَهُمْ﴾ بواو العطف الذي سبق "ليس" وتقدّم خبرها شبه الجملة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على اسمها المؤخر والمذكر ﴿جُنَاحٌ﴾ ، وتعلّق بهذا الأخير شبه الجملة ﴿فِيمَا﴾ و وصل

¹ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج(14) ، ص119.

² ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص261.

³ الأحزاب:05.

⁴ الأحزاب:05.

⁵ الأحزاب : 05.

⁶ ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص262.

⁷ الأحزاب:05.

الاسم الموصل بجملة فعلية معهودة المعنى لدى السامع ﴿أَخْطَأْتُ بِهِ﴾ وكل ذلك للدلالة على تعميم انتفاء الإثم عن الخطأ الذي جاء سهوا أو نسيانا أو قبل النهي.

وقد استثنى من ذلك، ما يُتعمد فعله بعد معرفة النهي لذلك جيء بـ ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾¹، فكان التركيب عطفا على "ما" السابقة بواو العاطفة، و "لكن" الدالة على الاستدراك، وجيء بـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾² لتقليل نفي الجناح والإثم وهذا من آثار اتصافه بالمغفرة والرحمة لعفوه عن الخطأ وعن التعمد إذا تاب العاقد³.

وقد ارتبطت الآية السادسة بما قبلها ارتباطاً وثيقاً بما قبلها إذ بدأت بتركيب اسمي مكون من مبتدأ ﴿النَّبِيِّ﴾، والخبر ﴿أُولَى﴾ المعلق بشبهي جملة ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وكان هذا التركيب بمثابة استئناف بياني لأنه يحدد لعلاقة التي تجمع بين النبي والمؤمنين بعدما أبطل حكم التبني، فبيّنت الآية أنها علاقة ولاية، فالنبي (ص) أولى بكل مؤمن من نفسه، و "من" تدلّ على التفصيل، وجيء بالأنفس على صيغة الجمع للتوزيع على كل مؤمن له نفس⁴، وعُطف على ذلك بتركيب اسمي آخر بحرف العطف (الواو) مكون من مبتدأ مضاف إلى ضمير يعود إلى النبي ﴿وَأَزْوَاجُهُ﴾، وخبر مضاف إلى ضمير يعود إلى المؤمنين ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ لإحداث علاقة شعورية، فهنّ محرّمات عليهم كحرمة أمهاتهم، وهذا يوحي بوجوب احترامهنّ وتعظيمهنّ، فكانت هنّ من مكانة النبي (ص) الرفيعة.

¹ الأحزاب: 06.

² الأحزاب: 06.

³ ينظر: - الزمخشري: الكشاف، ص 523.

⁴ ينظر: المرجع نفسه.

بعدها عطف على الاستئناف بالتركيب الاسمي ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾¹ بالواو العاطفة، فيه أبطل حكم التوارث بالتأخي في الدين، والتأخي حين الهجرة بين الأنصار والمهاجرين مثلما كان سائداً في ذلك الوقت، وجعل حق القرابة أولى بالميراث لذلك جيء بالمبتدأ المضاف إلى اسم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾، وبالخبر الواقع جملة اسمية ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، وعُلق الخبر بشبه الجملة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ للدلالة على ما فرضه الله تعالى في كتابه العزيز، وقصد الأنصار، وقُدِّم ذلك على ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم سبقوهم في الإيمان².

ثم جيء باستثناء منقطع ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾³، وكانت "إلا" بمعنى "لكن" لأن ما بعدها ليس من جنس ما قبلها، فقد دلَّ السياق السابق على أنَّ أولوية الميراث لأولي الأرحام وهي خاصة من دون أولوية حسن المعاشرة وبذل المعروف، وجاء الاستدراك بعد أن توهم قطع الانتفاع بأموال الأولياء بالتأخي والهجرة، فأبطل الانتفاع بالإرث، وبقي إسداء المعروف بالإنفاق والتوصية والإهداء⁴.

لتختم تلك الأحكام التي شرعت بقوله ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾⁵ فكانت خاتمة لها وإيداناً بالانتهاء من الغرض المقصود⁶، فدلَّت "كان" على تقوية الاستمرار

¹ الأحزاب: 06.

² ينظر: - ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 266.

³ الأحزاب: 06.

⁴ ينظر: - الزمخشري: الكشاف، ص 524.

⁵ الأحزاب: 06.

⁶ ينظر: - ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 272.

والدوام بمعنى (كان ولم يزل)، و ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر سابقا من أحكام بهدف التقرير والتوكيد، وعُرف ﴿الْكِتَابِ﴾ تعريفا عهديا (بال) أي: كتاب الله، وقُدِّم متعلق الخبر ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ على الخبر ﴿مَسْطُورًا﴾ للاهتمام والتأكيد على أنَّ ما شرَّعه الله محفوظ في كتابه البعيد عن كل تغيير أو نسيان.

بعدها انتقلت الآية السابعة (7) والثامنة (8) إلى محطة أخرى تمثلت في الميثاق المأخوذ من الأنبياء، ولها ارتباط وثيق بما قبلها بدليل وجود حرف العطف (الواو)، فالتركيب الفعلي ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾¹ معطوف على ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ﴾² وله مناسبة مع ما قبله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾³ فلم يحتج إلى بيان وتوضيح معنى الميثاق الذي أخذه الله تعالى من النبيين، كما أنَّه بمثابة المقدمة لقصة الأحزاب⁴، لأنَّهم مأمورون بنصرة الدين الذي أرسلهم الله من أجله، فـ "إِذْ" اسم للزمان على إضمار الفعل "اذكر" والتقدير: "واذكر وقتا أوحينا"، وأضيف إلى جملة فعلية ﴿أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾⁵ مكوَّنة من الفعل المسند إلى ضمير "نا" للدلالة على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه.

كما علَّق به شبه الجملة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، وقُدِّم على المفعول به ﴿مِيثَقَهُمْ﴾ لتأكيد الأخذ وبيان أهميتهم وصعوبة العهد المأخوذ منهم، لذلك يُسموا بـ"أولي العزم"، فأضيف "الميثاق" إلى ضمير يعود إليهم لبيان اختصاصه بهم، وما الآيات السابقة إلَّا شرح له،

¹ الأحزاب: 07.

² الأحزاب: 01.

³ الأحزاب: 06.

⁴ ينظر: . الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ص 524 .

⁵ الأحزاب: 07.

ومُجملُ معناه تبليغ ما أمرهم به الله بصدق دون ملاينة مع الكفار والمنافقين والوفاء به.

فبعد التعميم في ذكر الأنبياء جاء التخصيص بقوله: ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾¹ لبيان أن هؤلاء هم أفضل الرسل، وقُدِّم الرسول (ص) عليهم وأدخل عليه "من" منفرداً، ثم على مجموع الباقيين إشارة إلى أنه يفوقهم منزلة ورفعة، بدليل اقتران اسمه دائماً مع الله عز وجلّ سواء في الآيات القرآنية أو في الآذان، أو في الشهادة حين الدخول إلى الإسلام.

وقد جيء بجملة ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾² معطوفة على ما قبلها بالواو وأعادت المضمون السابق قصد التأكيد على ذلك، و وصف الميثاق بـ ﴿غَلِيظًا﴾ لعظمة وضخامة شأنه، بعدها علل ذلك في الآية الثامنة (8) بلام التعليل التي تسمى بـ لام "كي" فدخلت على الفعل المضارع "يسأل" المسند إلى ضمير مستتر يعود إلى الله تعالى للدلالة على الحدث والحدوث والمزاولة والتجدد، وعُدِّي إلى ﴿الصَّادِقِينَ﴾ الذين يمثلون أمم الأنبياء، وعُلّق بشبه جملة ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ ، و هذا كله إشارة إلى الثواب العظيم الذي ينتظرهم.

ليُعطف على ذلك بأسلوب مغاير ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾³ للدلالة على تحقيق عذاب الكافرين حتى لا يتوهم أنهم سيُسألون بسؤال من يُسمع جوابهم أو معذرتهم،

¹ الأحزاب: 07.

² الأحزاب: 07.

³ الأحزاب: 08.

ولإفادة أنَّ عذابهم أمر مضى وتقرَّر في علم الله»¹.

فهذا التشابك المعنوي له علاقة وثيقة بالتشابك النظمي العاكس لتوحي معاني النحو وأحكامه وقوانينه فيما بين معاني الكلم، فالجامع بين الكلمات داخل التركيب الواحد أو بين التراكيب بعضها ببعض هو عبارة عن علاقات تربط ما بينها سمّاها عبد القاهر الجرجاني بمعاني النحو، وقد تمثّلت في:

1. الإسناد: سواء كان بين الفعل والفاعل كما حدث بين ("جعل" و"الله")، و ("جعل" والضمير المستتر)، و ("تظاهرون" و"واو الجماعة")، و ("جعل" والضمير المستتر)، و ("يقول" والضمير المستتر)، و ("يهدي" والضمير المستتر)، و ("ادعوا" و"واو الجماعة")، و ("تعلموا" و"واو الجماعة")، و ("أخطأ" وأنتم) و ("تعمّدت" و"قلوب")، و ("تفعلوا" و"واو الجماعة")، و ("أخذ" و"نا")، و ("يسأل" والضمير المستتر)، و ("أعد" والضمير المستتر).

أو كان بين المبتدأ والخبر أو ممّا نزل منزلتهما كما هو الحال بين ("ذاك" و"قولكم")، و ("الله" و"يقول الحق") و ("هو" و"يهدي السبيل")، و ("هو" و"أقسط")، و (المبتدأ المحذوف و"إخوانكم")، و ("عليكم" و"جُناح")، و ("الله" و"غفوراً" و"رحيماً") و ("النبي" و"أولى")، و ("أزواجه" و"أمهاتهم")، و ("ذلك" و"مسطورا").

2. التخصيص: فالأول باتجاه المفعول به كما حدث بين ("جعل" و"قلبين")، و ("جعل" ومفعوليه "أزواجكم" و"أمهاتهم")، و ("جعل" ومفعوليه "أدعياءكم" و"أبناءكم") و ("يقول" و"الحق")، و ("يهدي" و"السبيل")، و ("ادعوا" وهم)، و ("تعلموا" و"آباءهم")، و ("تفعلوا" و"معروفاً")، و ("أخذنا" و"ميثاقهم") و ("أخذنا" و"ميثاقاً")، و ("يسأل"

¹ ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 276.

و"الصادقين")، و("أعد" و"عذاباً") والثاني باتجاه تحديد الهيئة (الحال) كما هو واقع بين ("قولكم" و"بأفواهكم")، و("إخوانكم" و"في الدين")، والثالث باتجاه الإخراج (الاستثناء) بواسطة "إلا" في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾¹.

3. الاتباع: الأول باتجاه البيان (العطف) بواسطة حرفي الفاء والواو مثل: عطف

جملة "ما جعل" الثانية وجملة "ما جعل" الثالثة على "ما جعل" الأولى، وعطف ﴿اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾² على ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ﴾³، وعطف ﴿هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾⁴ على ما قبلها، وعطف ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾⁵ على ما قبلها، وعطف ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾⁶ على ما قبلها، وعطف ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾⁷.

¹ الأحزاب:06.

² الأحزاب:04.

³ الأحزاب:04.

⁴ الأحزاب:04.

⁵ الأحزاب:05.

⁶ الأحزاب:05.

⁷ الأحزاب:05.

على ما قبلها ، وعطف ﴿أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾¹ على ما قبلها، وعطف ﴿أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾² على ما قبلها، وعطف ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾³ على ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ﴾⁴ ، وعطف ﴿أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾⁵ على ما قبلها، وعطف ﴿أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾⁶ على ما قبلها .

والثاني باتجاه الصفة كما حدث بين ("قلبين" و"في جوفه")، و ("ميثاقا" و"غليظا")، و ("جناح" وشبه الجملة "فيما")، و ("عذابا" و"أليما").

4 الإضافة: الأولى مباشرة بين ("جوف" والهاء)، و ("أزواج" و"كم")، و ("أمهات" و"كم")، و ("أدعياء" و"كم")، و ("أبناء" و"كم")، و ("قول" و"كم")، و ("أفواه" و"كم")، و ("آباء" و"هم")، و ("إخوان" و"كم")، و ("موالي" و"كم")، و ("قلوب" و"كم")، و ("أنفس" و"هم")، و ("أزواج" والهاء)، و ("أمهات" و"هم")، و ("أولوا" والأرحام) و ("بعض" و"هم")، و ("كتاب" و"الله")، و ("أولياء" و"كم")، و ("ميثاق" و"هم")، و ("صدق" و"هم").

والثانية غير مباشرة بواسطة حروف الجر كما هو الحال بين ("جعل" و"رجل" بواسطة اللام، و ("جعل" و"قلبين") بواسطة (من)، و ("جعل" و"قلبين") بواسطة (في)، و ("تظاهرون" و"هن") بواسطة (من)، و ("قولكم" و"أفواهكم") بواسطة الهاء، ("أدعوهم" و"آبائهم") بواسطة اللام، و ("إخوانكم" و"الدين") بواسطة (في)، و ("أولى" و"المؤمنين" بواسطة الباء، و ("أولى" و"أنفسهم") بواسطة (من)، و ("أولى" و"بعض") بواسطة الباء،

¹ الأحزاب:06.

² الأحزاب:06.

³ الأحزاب:06.

⁴ الأحزاب:01.

⁵ الأحزاب:07.

⁶ الأحزاب:08.

و("أولى" و"كتاب" بواسطة (في)، و ("أولى" و"المؤمنين" بواسطة (من)، و ("تفعلوا" و"أوليائكم" بواسطة (إلى).

3. المقطع الثالث من الآية 9 إلى الآية 12:

يتناول هذا المقطع أكبر حدث مرّ على المسلمين في ذلك الوقت ألا وهو غزوة الأحزاب، فهي تعدّ من أعظم مشاهد السورة إذ بسببها سُميت، جاء بعد تمهيد له بذكر الميثاق المأخوذ من الأنبياء بتبليغ ما أُلزموا به صدقا و وفاءً ونصرة لدينه تعالى.

فاستهلال هذا المقطع ب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾¹ هو « ابتداء لغرض عظيم من أغراض نزول هذه السورة، والذي حفّ بآيات وعبرٍ من ابتدائه، ومن عواقبه تعليما للمؤمنين وتذكيرا ليزيدهم يقيناً وتبصيراً، فافتتح الكلام بتوجيه الخطاب إليهم لأنهم أهلُه وأحقّاءُ به، ولأنّ فيه تخليدَ كرامتهم ويقينهم وعناية الله بهم ولطفه لهم وتحقيراً لعدوهم ومن يكيد بهم وأمروا أن يذكروا هذه النعمة ولا ينسوها لأنّ في ذكرها تجديدًا لاعتزاز بدينهم والثقة بربهم والتصديق لنبيّهم صل الله عليه وسلم ... فذكر المؤمنين بسابق كيد المنافقين في تلك الأزمة ليحذروا مكائدهم وأراجيفهم في قضية التبنّي وتزوُّج النبي صل الله عليه وسلم مُطلّقة متبناه »².

علّق ظرف الزمان "إذا" ب ﴿نِعْمَةَ﴾ لأنها تحمل معنى الإنعام، وجاء بمعنى "زمان أو حين"، وأضيف إليه تركيب ﴿جَاءَكُمْ جُنُودٌ﴾³ وعطف عليه ب ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجَالًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾⁴ وهي تراكيب فعلية مبدوءة بفعل ماضٍ للدلالة على تأكيد الحدث

¹ الأحزاب:09.

² ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ص 276 و 277.

³ الأحزاب:09.

⁴ الأحزاب:09.

والقطع بحدوثه، أمّا الفعل المضارع ﴿تَرَوَهَا﴾ فهو مجزوم "بلم" التي قلبت زمنه إلى الماضي.

وجيء بالتركيب ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾¹ ليكون في موقع الحال من لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ المضاف إلى ﴿نِعْمَةً﴾، فالفعل ﴿كَانَ﴾ بإسناده إلى ﴿اللَّهُ﴾ دالٌّ على الدوام والاستمرار بمعنى "كان ولم يزل بصيرا"، وقُدِّم متعلّق الخبر ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على خبره ﴿بَصِيرًا﴾ لتأكيد أنّ الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ويعلم بكلّ صغيرة وكبيرة من الأعمال.

فالآية التاسعة (9) هي تلخيص لغزوة الأحزاب لأنّ فيها خطابا للمؤمنين بتذكّر ما أنعمه الله عليهم حينما نصرهم على أعدائهم الذين تحرّبوا ضدهم، وهزمهم بإرسال ريح باردة في ليلة ظلماء شاتية، وجنوداً من الملائكة ألقوا الرعب في نفوس الأحزاب والتخاذل في صفوفهم فكان النصر حليفهم.

بعدها جاءت الآيات لتفصيل الأحداث والأحوال، فبدأت بوصف حصار المسلمين في المدينة من قبل الأحزاب، فجيء بـ ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ لتكون بدلاً من "إذ" الأولى، وأفاد الفعل الماضي تأكيد الحدث والقطع بحدوثه، وعُلّق عليه بشبهى جملة ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ﴾ أي من فوق المدينة ومن أسفلها ثمّ عطف على الجملة بثلاث تراكيب فعلية تصف الأحوال النفسية والذهنية لمن شاهدوا ذلك الزحف الهائل.

¹ الأحزاب: 09.

فالتركيب الأول ﴿إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾¹ وصف لميل العيون عن مستوى نظرها حيرةً ودهشةً اتجاه المنظر المروّع، والتركيب الثاني ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾² بعكس شدة اضطراب تلك القلوب من الخوف والهلع حتى كأنها ترتفع طالبة الخروج من مكانها، والملاحظ على هذين التركيبين احتوائهما على فعل ماضٍ للدلالة على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه، ثم التعريف بـ "أل" في ﴿لَا أَبْصَرُ﴾، و﴿الْقُلُوبُ﴾، و﴿الْحَنَاجِرَ﴾ للعهد، أو أنها عوضاً عما يُضاف إليها أي: أبصاركم، وقلوبكم، وحناجرکم.³

أما التركيب الثالث ﴿وَتَطُنُّونَ بِاللِّهِ الظُّنُونَا﴾⁴ إشارة إلى اختلاف الظنون، فمنهم ثابت الإيمان واثق بنصرة الله تعالى، ومنهم منافق مريض الاعتقاد يعتقد أن محمداً وأصحابه سيهزمون والمشركين سينصرون، لذلك جيء بالفعل المضارع ﴿تَطُنُّونَ﴾ للدلالة على الحدث والحدوث والمزاولة والتجدد، ونُصب المفعول المطلق ﴿لَطُنُونَا﴾ للدلالة على العدد، وعُرف باللام تعريف جنس، وجمع لتبيان تنوع الظن واختلافه.⁵

وقد وصل الخوف والذكر أوجهما في الآية الحادي عشر (11) لتفوق العدو عدداً وعدة، وسمى الله ذلك ابتلاءً بقوله: ﴿هَٰئِلِكَ آتٰتِلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾⁶، فجيء بـ ﴿هَٰئِلِكَ﴾ للإشارة إلى المكان الذي تضمنه سياق ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ

¹ الأحزاب: 10.

² الأحزاب: 10.

³ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير ، ص 280.

⁴ الأحزاب: 10.

⁵ ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير ، ص 282.

⁶ الأحزاب: 11.

أَسْفَلَ مِنْكُمْ¹، أو إلى الزمان الذي دلّ عليه سياق ﴿إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾² وكثيراً ما يأخذ أحد الطرفين منزلة الآخر³، وقد قُدِّمَ هذا الظرف على الفعل الذي يعلّق به ﴿أَبْتَلَى﴾ لضخامة الحدث، وأسند إلى نائب الفاعل ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ للإشارة إلى أنّ إيمانهم لم يتزعزع، بعدها عطف على ذلك بتركيب فعلي مبدوء بفعل ماضٍ لم يُسم فاعله ﴿وَزُلْزِلُوا﴾، وأسند إلى نائب الفاعل وهو "واو الجماعة"، ونصب مفعولاً مطلقاً ﴿زَلْزَلَا﴾ الذي وُصف بالشدة، وهذا كلّ للدلالة على اختلال الحال وشدة اضطراب النفس كاضطراب الأرض نظراً لقوّة العدو وهول المنظر.

أمّا الآية الثانية عشر (12) فقد عطفت على ﴿إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾⁴ وفيها أنطق المنافقين وضعاف الإيمان، وأخرج ما في قلوبهم، ومحصّهم عن المؤمنين الراسخي الإيمان حينما رأوا أنّ ما وعدهم الله به ورسوله ما هو إلا وعد باطل، لذلك جيء بالظرف "إِذ" وأضيف إليه تركيب فعلي ﴿يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾⁵ مبدوء بفعل مضارع دالٍ على الحدث والحدوث والتجدد والمزاولة، وعُدّي إلى مفعول به تمثّل في "ما مع صلته" في قوله: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾⁶، فكان لـ "إِلَّا" وظيفة في قصر ما قبلها على ما بعدها، كما أنّ القصر بـ (ما وإلّا) جيء لخبر يُنكره المخاطب ويشك فيه، وهذا حال المنافقين وضعاف الإيمان.

¹ الأحزاب: 10.

² الأحزاب: 10.

³ يُنظر: الحجازي محمد محمود: التفسير الواضح، ج (3)، ص 81.

⁴ الأحزاب: 10.

⁵ الأحزاب: 10.

⁶ الأحزاب: 12.

فهذا التشابك المعنوي متعلق بالتشابك النظمي، فهو يعكس الترابط الجامع بين الكلمات داخل التركيب الواحد أو التراكيب فيما بينها أو بين الآيات بعضها ببعض عبر علاقات هي:

1. الإسناد: سواء بين الفعل والفاعل مثلما هو الحال بين (الفعل "أنادي" المحذوف وفاعله وكان حرف النداء "يا" نائباً عنه)، و ("آمن" و واو الجماعة)، و ("اذكر" و واو الجماعة)، و ("جاء" و "جنود")، و ("أرسلنا" والضمير المتصل)، و ("تري" و واو الجماعة)، و ("تعمل" و واو الجماعة)، و ("جاء" و واو الجماعة)، و ("زاع" و "الأبصار")، و ("بلغ والقلوب")، و ("تظن" و واو الجماعة)، و ("ابتلي" ونائب فاعله المستتر)، و ("زلزل" و واو الجماعة)، و ("يقول" و "المنافقون")، و ("وعد" و "نا") ، أو بين المبتدأ والخبر أو ممّا نزل منزلتهما كما هو الحال بين ("الله" و "بصيرا").

2. التخصيص: الأول باتجاه المفعول به كما حدث بين (أنادي المحذوف والمنادى "أيّها")، و ("اذكروا" و "نعمة")، و ("جاءوا" و كم)، و ("أرسلنا" و "ريحا")، و ("تروا" والهاء)، و ("بلغت" و "الحناجر")، و ("يقول" و "ما")، والثاني باتجاه المفعول المطلق كما حدث بين ("تظنون" و "الظنونا")، و ("زلزلوا" و "زلزالاً")، والثالث باتجاه المفعول فيه بين ("نعمة" و "إذ" الأولى)، و ("جاءوكم" و "فوقكم")، و ("جاءوكم" و "أسفل")، و ("زأغت" و "هنالك").

3. الإتياع: الأول باتجاه الوصف (الصفة) بين ("زلزالاً" و "شديداً")، و ("جنود" و "لم يروها")، والثاني باتجاه البيان (البدل) مثلما وقع بين ("إذ جاءتكم" و "إذ جاءوكم")، وباتجاه العطف بواسطة الواو والفاء، فقد عطف ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا ﴾¹ على ما

¹ الأحزاب: 09.

قبلها، وعُطِف ﴿جُنُودًا﴾ على ﴿رَمَحًا﴾ ، وعطفت التراكيب الثلاث ﴿إِذْ زَاغَتِ اللَّأْبَصَرُ﴾¹، و ﴿بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾² ، و ﴿تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾³ على ﴿جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾⁴، و عُطِف ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾⁵ على ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁶ ، وعُطِف التركيب ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾⁷ على ﴿إِذْ زَاغَتِ اللَّأْبَصَرُ﴾⁸.

4. الإضافة: سواء كانت مباشرة كما هو الحال بين ("نعمة" و"الله")، و("فوق" و"كم")، و ("قلوب" و"هم")، و ("رسول" والهاء)، أو غير مباشرة كما حدث بين ("نعمة" و "كم") بواسطة (على)، و ("أرسلنا" و"هم") بواسطة (على)، و ("بصيراً" و "ما") بواسطة الباء، و ("جاءوكم" و"فوقكم" بواسطة (من)، و ("جاءوكم" و"أسفل") بواسطة (من)، و ("تظنون" و"الله" بواسطة الباء، و("يقول" و"قلوبهم" بواسطة (في)).

فالنماذج المأخوذة من تراكيب سورة الأحزاب لدليل على وجود ترابط وتلاحم وتناسق وتداخل سواء كان داخل التراكيب أو فيما بينها، ومن ثمة هو انعكاس على التوازن التركيبي في السورة.

¹ الأحزاب: 10 .

² الأحزاب: 10.

³ الأحزاب: 10.

⁴ الأحزاب: 10.

⁵ الأحزاب: 11.

⁶ الأحزاب: 11.

⁷ الأحزاب: 12.

⁸ الأحزاب: 10.

يُستخلص من هذا الفعل ما يلي:

- التشابك المعنوي داخل تراكيب السورتين أو فيما بينها له ارتباط عميق بالتشابك النظامي العاكس لتوحي معاني النحو وأحكامه وقوانينه وفروقه فيما بين معاني الكلم.
- ضم المفردات القرآنية بعضها إلى بعض داخل لتراكيب الواحد، ثم تعليق التراكيب بعضها ببعض عبر علاقات نحوية هو انعكاس للتلاحم والترابط والتداخل والتناسق والانسجام وهذا كله تبيان للتوازن التركيبي في السورتين.

وما يمكن استنتاجه من هذا الباب ما يلي:

- وجود تناسب وتوافق وتوازن بين دلالات الأحرف الأخيرة للفواصل القرآنية السابقة الذكر، ومحتوى سورتي "المؤمنون والأحزاب" وآياتهما.
- كل من الكلمات القرآنية المأخوذة من السورتين إلاّ ولها معنى محدد وموضع مناسب وسياق خاص تتوازن معانيها مع ما يجاورها من مفردات أولاً ثم مع محتوى الآية الواردة فيها ومقصد السورة ثانياً.
- الجامع بين الكلمات القرآنية داخل التركيب الواحد أو بين التراكيب بعضها ببعض، أو بين الآيات هو ذلك التشابك المعنوي والنظمي المحكم البناء.

خاتمة

وختاماً لهذا البحث الممتع والشاقّ في الوقت نفسه، فإنّه آّل إلى النتائج الآتية:

1 - اشتراك المصطلحات "التناسق والانسجام والتلاحم والتناسب" في معنى التلاؤم والتضام، وقصورها عن وصف دقّة النظم القرآني.

2 - مصطلح "التوازن" هو الأكثر دقّة في وصف النظم القرآني العجيب، فهو يشمل المصطلحات السابقة ويضاف إليها الدقّة المتناهية لذلك النظم، لوروده في النصوص القرآنية على اختلاف اشتقاقاته وتباين مواضعه.

3 - التوازن في النظم القرآني هو ذلك النسيج المتلاحم والبناء المحكم من حيث حروفه وكلماته وتركيبه وفواصله وآياته وسوره وتعانق معانيه ليُجعل منه وحدةً مترابطة داخل السورة الواحدة.

4 - يكمن التوازن في المستويات اللغوية فيما يلي:

أ- اختيار الصوت المناسب في المكان الملائم، فمن علامات القوة: الصغير، والإطباق، والاستعلاء، والجهر، والشدة، ومن علامات الضعف: الرخاوة، والهمس واللين.

ب - انتقاء الكلمة للمعنى المناسب والغرض المقصود وحسن ملائمتها لما يجاورها.

ج - حسن تركيب الكلمات وتفاعلها داخل أيّ نوع من التراكيب الإسنادية وغير الإسنادية لما يخدم المقصود ويلئم السياق ويصبّ في الغرض المنشود.

5 - من مظاهر التوازن الصوتي في السورتين ما يلي:

أ- في سورة "المؤمنون":

1 - على مستوى السورة :

لما كانت سورة "المؤمنون" تعالج قضيتي الإيمان والكفران، وأن كلاهما مقره القلب والوجدان، ويظهران في الجوارح سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً كان انتقاء النون لتكون الحرف الأخير للفواصل القرآنية أكثر توازناً مع مضمون السورة ومحتوى آياتها لأنها تدلّ على الحركة من الداخل (القلب) إلى الخارج (الجوارح).

2 - على مستوى الآيات :

— كل آية تتطرق إلى معنى من المعاني التي تصبّ في مقصد السورة ، وانجرّ عن ذلك تناسب النون معها مثل : ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿الْكَافِرُونَ﴾ ، فالفاصلة القرآنية الأولى جاءت في الآية الأولى ودلت النون فيها على الحركة من الداخل (الإيمان القلب) إلى الخارج (انعكاسه على الجوارح)، وهذا هو حقيقة الإيمان ، بينما الفاصلة الثانية فقد جاءت في الآية مائة وستة عشرة (116)، والنون فيها دالة على الحركة من الداخل (الكفران القلب) إلى الخارج (انعكاسه على الجوارح)، وهذا متوافق مع حقيقة الكفار الذين أنكروا وحدانية الله تعالى باطنا وظاهرا .

— تحمل النون دلالات كلية تتمثل :

. دلالة على الحركة من الداخل إلى الخارج في : ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿خَشِعُونَ﴾، و﴿مُعْرِضُونَ﴾، و﴿فَعَلُونَ﴾، و﴿حَافِظُونَ﴾، و﴿مَلُومِينَ﴾، و﴿الْعَادُونَ﴾، و﴿رَاعُونَ﴾، و﴿حَافِظُونَ﴾، و﴿الْوَارِثُونَ﴾، و﴿خَالِدُونَ﴾، و﴿تَتَّقُونَ﴾، و﴿كَذَّبُونَ﴾، و﴿الظَّالِمِينَ﴾، و﴿ءَاخِرِينَ﴾، و﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿كَذَّبُونَ﴾، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، و﴿عَالِينَ﴾، و﴿فَاتَّقُونَ﴾، و﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، و﴿مُشْفِقُونَ﴾، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾، و﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾، و﴿عَمِلُونَ﴾، و﴿تَنكِصُونَ﴾، و﴿تَهْجُرُونَ﴾، و﴿مُنْكَرُونَ﴾، و﴿مُعْرِضُونَ﴾، و﴿لَنَنْكِبُونَ﴾، و﴿يَعْمَهُونَ﴾، و﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، و﴿تَشْكُرُونَ﴾، و﴿تَتَّقُونَ أَفْلاً﴾، و﴿لَكَذِبُونَ﴾، و﴿يَصِفُونَ﴾، و﴿يُشْرِكُونَ﴾.

و﴿الظَّالِمِينَ﴾، و﴿يَصْفُونَ﴾، و﴿تُكَذِّبُونَ﴾، و﴿ضَالِّينَ﴾، و﴿ظَلِمُونَ﴾، و﴿تَصْحَكُونَ﴾، و﴿الْفَآيُزُونَ﴾، ﴿الْكَافِرُونَ﴾ .

. دلالة على الحركة من الخارج إلى الداخل وهذا في : ﴿تَأْكُلُونَ﴾، و﴿لِلْأَكِلِينَ﴾
﴿تَأْكُلُونَ﴾، و﴿لَمُبْتَلِينَ﴾، و﴿تَشْرَبُونَ﴾، و﴿لَخَسِرُونَ﴾، و﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾، و﴿خَيْرُ الرِّزْقِينَ﴾
﴿وَسَحَرُونَ﴾، ﴿الشَّيَاطِينَ﴾، و﴿حَضَرُونَ﴾، و﴿كَلِحُونَ﴾، و﴿خَيْرُ الرَّحِمِينَ﴾، و﴿خَيْرُ الرَّحِمِينَ﴾ .

. دلالة على الانبثاق والخروج، في: ﴿طِينٍ﴾، و﴿الْخَلِيقِينَ﴾، و﴿تُبْعَثُونَ﴾،
و﴿تُخْرَجُونَ﴾، و﴿تُوعَدُونَ﴾، و﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾، و﴿ءَاخِرِينَ﴾، و﴿مُبِينٍ﴾، و﴿مَعِينٍ﴾، و﴿وَبَنِينَ﴾، و﴿رَاجِعُونَ﴾، و﴿الْأَوَّلِينَ﴾، و﴿تُحْشَرُونَ﴾، و﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، و﴿يُبْعَثُونَ﴾، و﴿تُرْجَعُونَ﴾ .
. دلالة على الاستقرار المؤقت، في: ﴿مَكِينٍ﴾ .

. دلالة على الاستكانة والخضوع ، في: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾، و﴿حِينَ﴾، و﴿يَسْتَخِرُونَ﴾
و﴿عَبِيدُونَ﴾، و﴿يَهْدُونَ﴾، و﴿تَعْقِلُونَ﴾، و﴿الْأَوَّلُونَ﴾، و﴿أَرْجَعُونَ﴾، و﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ .

. دلالة على النفاذ القسري في الشيء، في: ﴿لَقَدِرُونَ﴾، و﴿لَمَيِّتُونَ﴾، و﴿

مُعْرِقُونَ﴾، ﴿الْمُهْلِكِينَ﴾، و﴿لَا تُنصَرُونَ﴾، و﴿يُوعَدُونَ﴾، و﴿لَقَدِرُونَ﴾، و﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ .

. دلالة على الحركة والاهتزاز ، في: ﴿تَحْمَلُونَ﴾، و﴿خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾.

. دلالة على المشاعر الإنسانية ،في: ﴿تَنَدِمِينَ﴾،و﴿فَرِحُونَ﴾،و﴿كَرِهُونَ﴾،و
﴿مُبْلِسُونَ﴾.

. دلالة على الإحاطة بالشيء ونفيها، في: ﴿غَفْلِينَ﴾،و﴿سَبِقُونَ﴾،و﴿تَعْمُونَ﴾.

. دلالة على الأصوات، في: ﴿تَجَرُّوْنَ﴾ .

. دلالة على الإقامة والاستقرار، في: ﴿خَلِدُونَ﴾،و﴿الْعَادِينَ﴾،و﴿سِنِينَ﴾.

— ورود صوت الميم إلى جانب صوت النون في ثلاث مواضع لتقاربها في المخرج والصفات أولاً ، ولأنه يحمل دلالات تتناسب مع معاني الآيات الواردة فيها ثانياً، كدلالة الإحاطة بكل شيء المتوافقة مع علم الله تعالى المحيط بكل ما هو كائن وما يكون وما سيكون في: ﴿عَلِيمٌ﴾ ، ودلالة الاتساع في الرحمة والخيرات والبركات في: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾، ودلالة الاتساع والامتداد حينما تعلق الأمر بعرش الرحمن وهذا في: ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ .

ب - في سورة الأحزاب :

1 - على مستوى السورة :

لما كانت سورة الأحزاب تعالج مواضيع متنوعة وإن بدت مختلفة فهي مترابطة فيما بينها تتنوع تبعاً لذلك الحرف الأخير للفواصل القرآنية من راءٍ وميمٍ ولامٍ ونونٍ وياءٍ ودالٍ وفاءٍ وقافٍ وظاءٍ، فكانت دلالة هذه الأحرف متناسبة ومتوازنة مع محتوى السورة وآياتها.

2 - على مستوى الآيات :

— توقف كلّ آية على حرف مد(الألف) لما له من مزية وهذا من جانبين: الأول : موسيقي ،إذ يعمل على توحيد النظام الموسيقي داخل السورة إحداث التلاحم بين الآيات، والثاني : معنوي لكونه يساهم في الامتداد الزمني والمكاني ، وتصوير الأحداث والوقائع والمشاهد داخل السورة .

— تناسب دلالات أصوات الفواصل القرآنية مع معاني الآيات الواردة فيها وتوافقها مع محتوى السورة ، وهي كالآتي :

. دلالة الراء على :

- التكرار ،في : ﴿مَقْدُورًا﴾،و﴿كَثِيرًا﴾ .

- الحركة والتحريك، في: ﴿غُرُورًا﴾،و﴿فَرَارًا﴾ ،و﴿وَلَا نَصِيرًا﴾،و﴿يَسِيرًا﴾ ،و﴿كَثِيرًا﴾،و﴿تَطْهِيرًا﴾،و﴿مَقْدُورًا﴾،و﴿وَنَذِيرًا﴾،و﴿كَبِيرًا﴾،و﴿مُنِيرًا﴾ ،و﴿سَعِيرًا﴾،و﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

- بقيت ثلاث فواصل قرآنية تنتهي بحرف الراء تتمثل في: ﴿حَبِيرًا﴾،و﴿قَدِيرًا﴾،و﴿حَبِيرًا﴾ ،فهي لا توضع ضمن هاتين الدالتين لأنها من أسماء الله تعالى الذي لا شبيه له ولا مثيل .

. دلالة الميم على :

- الاتساع والشمول في : ﴿حَكِيمًا﴾ ،و﴿رَحِيمًا﴾،و﴿تَسْلِيمًا﴾،و﴿عَظِيمًا﴾،و﴿كَرِيمًا﴾،و﴿عَلِيمًا﴾،و﴿حَلِيمًا﴾.

- الشدّة والحرارة في: ﴿أَلِيمًا﴾.

. دلالة اللام على:

- التماسك والالتصاق، في: ﴿وَكَيْلًا﴾، و﴿السَّيْلَا﴾، و﴿مَسْئُولًا﴾، و﴿قَلِيلًا﴾، و﴿تَبْدِيلًا﴾، و﴿مَفْعُولًا﴾، و﴿السَّيْل﴾، و﴿الرَّسُولَا﴾، و﴿تَقْتِيلًا﴾، و﴿جَهُولًا﴾ .

- اللين، في: ﴿حَمِيلًا﴾.

. دلالة النون على:

- الاضطراب في المشاعر والخواالج، في: ﴿الْظُّنُونَا﴾.

- الظهور والحركة من الداخل إلى الخارج، في: ﴿مُيِّنًا﴾.

- المشاعر الإنسانية، في: ﴿مُهِينًا﴾.

. دلالة الباء على:

- الشدة، في: ﴿حَسِيبًا﴾.

- الاتساع والشدة معًا، في: ﴿رَقِيبًا﴾.

- الظهور في: ﴿قَرِيبًا﴾.

. دلالة الدال على القوة والشدة والفعالية في: ﴿شَدِيدًا﴾، ﴿سَدِيدًا﴾، ﴿شَهِيدًا﴾.

. دلالة الفاء على اللين والرقّة في: ﴿مَعْرُوفًا﴾.

. دلالة القاف على الشدة والقوة والفعالية في: ﴿فَرِيقًا﴾.

. دلالة الظاء على القوة والشدة في: ﴿غَلِيطًا﴾.

. دلالة الهاء على القوة والشدة في: ﴿وَجِهًا﴾.

. دلالة الزاي على القوة والشدة في : ﴿عَزِيزًا﴾.

6 - من مظاهر التوازن الإفرادي في السورتين ما يلي:

أ- لما كانت سورة "المؤمنون" مكية تعالج موضوعاً يمسّ العقيدة تمثّل في الإيمان والكفران، جاءت مفرداتها عاكسةً لذلك هيئةً وبنيةً ودقةً وموضعاً، فأبّى تغيير فيها يحدث خلاً منها: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿خَلَقْنَا﴾، ﴿أَعْبُدُوا﴾، ﴿مَبْعُوثِينَ﴾، ﴿الْمُهْلَكِينَ﴾، ﴿عَمَّرْتَهُمْ﴾، ﴿مُبْلِسُونَ﴾، ﴿تُسْحَرُونَ﴾، ﴿تَلْفَحُ﴾، ﴿أَحْسَعُوا﴾، ﴿الْفَايزُونَ﴾.

ب - لما كانت سورة الأحزاب مدنية تهتم بالجانب العقدي والتشريعي والأدب الاجتماعي، من دعوة إلى تقوى الله واتباع وحيه، وإبطال العادات الجاهلية الفاسدة لإقامة تشريع جديد، وتنظيم الأسرة النبوية، وغزوة الأحزاب، تتوّعت على إثر ذلك مفرداتها، فكانت معانيها متناسقة ومتوازنة مع محتوى السورة وآياتها، ومتأخية مع ما يجاورها، منها: ﴿اتَّقِ﴾، ﴿تَوَكَّلْ﴾، ﴿قَوْلُكُمْ﴾، ﴿الْأَحْزَابُ﴾، ﴿نِعْمَةٌ﴾، ﴿زَاغَتْ﴾، ﴿يَقْنُتْ﴾، ﴿تَطْهَرًا﴾، ﴿تَخَضَّعْنَ﴾، ﴿سُنَّةٌ﴾، ﴿حَرَجٌ﴾، ﴿سِرَاجًا﴾، ﴿رَقِيبًا﴾، ﴿بُهْتَنًا﴾، ﴿تُقَلَّبُ﴾، ﴿ظُلُومًا﴾، ﴿رَحِيمًا﴾، ﴿عَلِيمًا﴾.

ج - دلالة الاسم على ثبوت المعنى به مع عدم التجدد مثل: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، و﴿الْمُهْلَكِينَ﴾، و﴿الْأَحْزَابُ﴾، و﴿نِعْمَةٌ﴾، و﴿ظُلُومًا﴾، بينما الفعل فهو يدل على ثبوت المعنى به مع اقتضاء التجدد مثل: ﴿أَعْبُدُوا﴾، و﴿تَلْفَحُ﴾، و﴿اتَّقِ﴾، و﴿تَوَكَّلْ﴾، و﴿زَاغَتْ﴾، و﴿تَخَضَّعْنَ﴾.

د - توافق الكلمات المنتقاة مع هيئتها وصيغها لتتناسب مع معاني الآيات ومقصد السورة من فعل ماض ومضارع وأمر واسم الفاعل واسم المفعول ومصادر وصيغ مبالغة مثل : ﴿أَفَلَحَ﴾ ، و ﴿خَشِعُونَ﴾ ، و ﴿تُبْعَثُونَ﴾ ، و ﴿أَعْبُدُوا﴾ ، و ﴿رَحِيمًا﴾ ، و ﴿مَبْعُوثِينَ﴾ ، و ﴿قَوْلُكُمْ﴾ ، و ﴿عَلِيمًا﴾ ، و ﴿مَعْرُوفًا﴾ ، و ﴿مَفْعُولًا﴾ ، و ﴿يَقْنَتُ﴾ ، و ﴿قَوْلُكُمْ﴾ .

7 - من مظاهر التوازن التركيبي في السورتين فيما يلي :

أ- تتوَعَّتْ التراكيب الإسنادية ما بين الفعلية الدالة على الحدث والحدوث متعلّقة بها تراكيب غير إسنادية، فإذا كان الفعل ماضياً دلّ على تأكيد الحدث والقطع بحدوثه ، وإذا كان الفعل مضارعاً دلّ على المزاولة والتجدّد، وإذا كان الفعل أمراً دلّ على طلب حدوث الحدث وإحداثه، منها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، و ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ، و ﴿أَتَبَغَى﴾ ، و ﴿حَافِظُونَ﴾ ، و ﴿يَرْتُونَ﴾ ، و ﴿خَلَقْنَا﴾ ، و ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ ، و ﴿تُبْعَثُونَ﴾ ، و ﴿فَأَسْكَنَهُ﴾ ، و ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ ، و ﴿تَحْمِلُونَ﴾ ، و ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ ، و ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ، و ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ، و ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ، و ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ ، و ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، و ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا﴾ .

وما بين الاسمية الدالة على الدوام والاستمرار منها: ﴿هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ، و ﴿هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ، و ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ، و ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، و ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ ، و ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ، و ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ، وقد تعلّقت بها تراكيب غير إسنادية للتوضيح والبيان أكثر .

ب - لما كانت التراكيب الإسنادية الفعلية تنبض بالحياة والحركة والتجدّد والتغيّر، فإنّها تناسبت مع محتويات الآيات الواردة فيها وفي كلا السورتين :

1- في سورة المؤمنون :

- المقطع الخاص بأطوار خلق الإنسان من النطفة إلى جعله إنساناً سوياً مثل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ ، ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ ، ﴿وَفَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ ، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ .

- المقطع الخاص بخلق السموات السبع وإنزال الماء وتأثيره في إنبات النبات وخلق الحيوان مثل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ ، ﴿وَنُسْقِیْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ ، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ .

2 - في سورة الأحزاب :

- المقطع الخاص بالخطاب الموجه إلى النبي (ص) والمراد به العموم ، وهو عبارة عن تكاليف أمر أن يقوم بها ، فيها نوع من الجهد من أقوال وأفعال وأعمال مثل: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ، ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ .

- المقطع الخاص بغزوة الأحزاب المليء بالأحداث والوقائع التي فيها حركة وجهد مثل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ ، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾ ، ﴿وَزَاغَتْ الْأَبْصَارُ﴾ ، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ ، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ، ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ .

وفي المقابل هناك تراكيب اسمية توافقت هي الأخرى مع الآيات الواردة فيها وفي

كلا السورتين :

1 - في سورة "المؤمنون":

تجد ذلك مثلاً في المقطع الخاص بتعداد الصفات الثابتة للمؤمنين الذين سيُخلّدون الفردوس، في: ﴿هُمْ لَأَمْسَّتْهُمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، ﴿هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.

2 - في سورة الأحزاب :

وتعلّق هذا على سبيل المثال بولاية النبي(ص) على المؤمنين وأزواجه وذوي الأرحام، في: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

ج - تعليق المفردات بعضها ببعض داخل التركيب الواحد، ثم ربط التراكيب فيما بينها عبر علاقات نحوية من إسناد وتخصيص وإضافة واتباع هو انعكاس للترابط والتداخل والتناسق والانسجام والتناسب.

د - البناء المحكم في نظم السورتين تمثل في ذلك التشابك المعنوي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتشابك النظمي العاكس لتوخي معاني النحو وأحكامه وفروقه فيما بين معاني الكلم.

فهذا البحث هو انطلاقة وبداية لبحوث أخرى، لأنّ مظاهر التوازن في نظم السورتين واسعة، فقد ركّز البحث على جوانب معينة، فعلى المستوى الصوتي اقتصر على الحرف الأخير للفواصل القرآنية، بينما على المستوى الإفرادي والتركيبى فقد أخذ نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر لتبيان مدى توازن كلّ ذلك مع محتوى السورة وآياتها، لذلك أقترح مواصلة البحث لاكتشاف مظاهر أخرى للتوازن ثمّ توسيع المجال إلى باقي السور:

1- دراسة أصوات المفردات والتراكيب والأساليب لمعرفة مدى انسجامها وتناغمها وتناسقها.

2- دراسة كلّ مفردات السورتين لتبيان مدى دقّة انتقائها صوتاً وهيئة وموضعاً.

3- دراسة كلّ التراكيب الخاصة بالسورتين لمعرفة مدى وجود التداخل والتناسق والتلاحم والتناسب.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿فَمَا رَیَحْتَ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	16	109
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	60	31
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾	93	29
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	143	30
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	265	87
سورة آل عمران		
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	26	112
﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	27	112
﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾	117	85
سورة النساء		
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	82	37
سورة الأنعام		
﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾	95	110
سورة الأعراف		
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	31	30
﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾	116	240

114	179	﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلَٰئِعِمْ بَلْ هُمْ أَصْلُ ﴾
سورة الأنفال		
112	33	﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾
سورة يونس		
257	04	﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾
85	22	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ رِيحٌ طَبِئَةً وَقَرْحُوا بِهَا جَانِبًا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۚ ﴾
32	101	﴿ قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
سورة هود		
37	111	﴿ وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ ﴾
78	44	﴿ وَقِيلَ يَتَّزِضْ آبِلَىٰ مَاءِكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَىٰ وَغِيضَ آلمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
سورة الرعد		
33	02	﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ لِّأَجَلٍ مُّسَبًّى ۚ ﴾
سورة ابراهيم		
ج	34	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ ﴾
سورة الحجر		
أ	16	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴾
26 و 25	19	﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾
سورة الإسراء		
30	29	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾
سورة الكهف		

109	18	﴿ وَكَلْبُهُمْ بَسِطُ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾
25	105	﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾
سورة مريم		
76	04	﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾
سورة الأنبياء		
253	46	﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾
سورة الحج		
117	05	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ﴾
33	65	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾
117	77	﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
سورة المؤمنون		
303 و 135 و 117	01	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
303 و 135 و 117	02	﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
303 و 136	03	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾
304 و 136	04	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾
304 و 137	05	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾
304 و 137	06	﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾
304 و 137	07	﴿ فَمَنْ أَتَىٰ ذُنْبًا فَلْيَلْزِمْنَا لَقَدْ لَبِثْنَا لَكُمْ فَاعِدُونَ ﴾
305 و 138	08	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾
305 و 138	09	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ حَافِظُونَ ﴾
305 و 138	10	﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾

117 و 138 و 306 و 313	11	﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
139 و 306	12	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾
117 و 139 و 306 و 317	13	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾
139 و 306	14	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾
139 و 307	15	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾
140 و 307	16	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾
140 و 307	17	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴾
140 و 308 و 320 و 322	18	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾
141 و 308 و 320 و 322	19	﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
141 و 309 و 323	20	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْكَالِينَ ﴾
141 و 309 و 320	21	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
141 و 309	22	﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾
142	23	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
142	24	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَلَكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾
142	25	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

142	26	﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾
143	27	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۖ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تَخْطِبْتَنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾
143	28	﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
143	29	﴿ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾
144	30	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾
144	31	﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ ﴾
144	32	﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
144	33	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾
145	34	﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾
145	35	﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾
146	36	﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾
146 و 233 و 250	37	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾
146	38	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
147	39	﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾
147	40	﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾

147	41	﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
148	42	﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴾
148	43	﴿ مَا تَسْقِي مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴾
148	44	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُوهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
149	45	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾
149	46	﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾
149	47	﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾
150 و 235	48	﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْأُمُهَلَكِينَ ﴾
150	49	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾
150	50	﴿ وَجَعَلْنَا آدَمَ وَمَرْيَمَ وَأُمَّهُ عَائِدَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾
150	51	﴿ يَنَاقِيهِ الرُّسُلُ كُلُّو مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
151	52	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾
151	53	﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾
151 و 237	54	﴿ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾
152	55	﴿ اتَّخَسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾
152	56	﴿ اتَّخَسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾
152	57	﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
153	58	﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾

153	59	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾
153	60	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾
154	61	﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَيَقُونَ ﴾
154	62	﴿ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا مِكْتَبٌ بِالنَّاطِقِ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
154	63	﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾
155	64	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ تَجْرُونَ ﴾
155	65	﴿ لَا تَجْعُرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴾
155	66	﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَكْبُحُونَ ﴾
156	67	﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾
156	68	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾
156	69	﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾
156	70	﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾
156	71	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾
157	72	﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾
157	73	﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
158	74	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسْكَبُونَ ﴾
158	75	﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلْجُودِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾
158	76	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّيْبِ وَمَا يَنْصَرِعُونَ ﴾

158	77	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾
159	78	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
159	79	﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾
159	80	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
160	81	﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾
160	82	﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾
160	83	﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾
160	84	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
161	85	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
161	86	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾
161	87	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
161	88	﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
241 و 162	89	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾
162	90	﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾
162	91	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾
163	92	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
163	93	﴿ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾

163	94	﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
164	95	﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾
164	96	﴿ أَذْفَعُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۖ خُنُّ أَكَلَمَ بِمَا يَصِفُونَ ﴾
164	97	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾
164	98	﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونِ ﴾
164	99	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾
165	100	﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
165	101	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾
165	102	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
165	103	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾
245 و 166	104	﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾
166	105	﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴾
166	106	﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾
243 و 167	107	﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾
167	108	﴿ قَالَ أَحْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾
167	109	﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾

167	110	﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾
247 و 168	111	﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾
168	112	﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾
168	113	﴿ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾
168	114	﴿ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
169	115	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
169	116	﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾
170	117	﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾
170	118	﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
سورة المنور		
285	40	﴿ أَوْ كَظُلُمْتُمْ فِي تَحْرِ لُجِّي ﴾
سورة المفرقان		
30	67	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾
سورة المروم		
23	12	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾
أ	21	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
أ	22	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

أ	23	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾
171	30	﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
87	46	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
سورة لقمان		
48	19	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ ۖ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ﴿١٩﴾
سورة السجدة		
118	30	﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾
سورة الأحزاب		
326 و 194 و 334	01	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
326 و 195 و 335	02	﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿٢﴾
255 و 195 و 327	03	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٣﴾
257 و 196 و 327 و 328 و 345	04	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ﴿٤﴾

196 و 257 و 296 و 328 و 329 و 339 و 345 و	05	﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَاَحْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾
196 و 329 و 340 و 341 و 342 و 346 و	06	﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾
197 و 330 و 342 و 343 و 346 و	07	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾
197 و 330 و 343 و	08	﴿ لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنِ صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾
198 و 262 و 331 و 347 و 351 و	09	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾
197 و 264 و 331 و 349 و 350 و 352 و	10	﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾
199 و 332 و 349 و 352 و	11	﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾
199 و 229 و 332 و 350 و 352 و	12	﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْصَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾
199 و	13	﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾
200 و 230 و	14	﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾
200 و	15	﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

200	16	﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٦﴾
229 - 201	17	﴿ وَلَا تَحْدُودَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿١٧﴾
201	18	﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٨﴾
202	19	﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿١٩﴾
266 - 202	20	﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٢٠﴾
202	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٢١﴾
203	22	﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢٢﴾
231 - 203	23	﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ﴿٢٣﴾
203	24	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٤﴾
204	25	﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ﴿٢٥﴾
204	26	﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ ﴿٢٦﴾
205	27	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ﴿٢٧﴾
205	28	﴿ يَتَأَيَّأُ الْيَتَى قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسَرِّحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ ﴿٢٨﴾
206	29	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٢٩﴾
206	30	﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿٣٠﴾
268 - 206	31	﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾
274 و 207	32	﴿ وَقُلْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ﴿٣٢﴾
270 و 207	33	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣٣﴾

208	34	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ ﴿١٥﴾
209 - 267	35	﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٦﴾
208	36	﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾
209 و 276 و 297	37	﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ﴿١٧﴾
209 و 276 و 278 و 297	38	﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ ﴿١٨﴾
210.	39	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾
210.	40	﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
210.	41	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾
210.	42	﴿ وَسَيُحْمِلُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿١٩﴾
211	43	﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٠﴾
211	44	﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٢١﴾
211	45	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٢٢﴾
212 و 271 و 272	46	﴿ وَذَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ﴿٢٣﴾
212	47	﴿ وَنَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٢٤﴾
212	48	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿٢٥﴾
213	49	﴿ وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ ﴿٢٦﴾
213	50	﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٧﴾
213	51	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ ﴿٢٨﴾
214 - 280	52	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ ﴿٢٩﴾
214	53	﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ﴿٣٠﴾
214 - 282	54	﴿ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَلِإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾

214	55	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿٥٥﴾
215	56	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾
215	57	﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ﴿٥٧﴾
215 و 284	58	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿٥٨﴾
216	59	﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٥٩﴾
216	60	﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾
216	61	﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ ﴿٦١﴾
216	62	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾
217	63	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾
217	64	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾
217	65	﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٦٥﴾
217 و 270	66	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٦٦﴾
218	67	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٦٧﴾
218	68	﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٨﴾
218	69	﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿٦٩﴾
219	70	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾
219	71	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾
219	72	﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾

288 و 220	73	﴿ لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٧٣﴾
سورة فاطر		
109	03	﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾ ﴿٣﴾
33	41	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُوهمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾
278	43	﴿ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ ﴿٤٣﴾
سورة يس		
32	38	﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿٣٨﴾
32	40	﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾
سورة الزمر		
37	28 و 27	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾
سورة غافر		
283	19	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿١٩﴾
سورة فصلت		
31	53	﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٥٣﴾
سورة الشورى		
28	15	﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ﴿١٥﴾
أ و 44	17	﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ﴿١٧﴾
سورة الدخان		

321	39و38	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾
سورة محمد		
37	24	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾
سورة ق		
32	8و7	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾
سورة الذاريات		
320	22	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
249	56و57و58	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾
سورة النجم		
84	22	﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ ﴾
سورة الرحمن		
25	09	﴿ وَأَقِيمُوا الزُّرُوعَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَحْسِرُوا الْمَيْرَانَ ﴿٩﴾ ﴾
62	66	﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾
سورة الحديد		
44و28	25	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾ ﴾
29	27	﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿٢٧﴾ ﴾
سورة الملك		
242	04	﴿ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾
سورة الحاقة		
85	06	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾

سورة الجن		
256	15	﴿ وَأَمَّا الْفَنِسْطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ ﴿١٥﴾
سورة المطففين		
24	03	﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ﴿٣﴾
سورة الغاشية		
27	16 و 15	﴿ وَمَنَاقِبُ مَصْفُوفَةً ﴾ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
32	17 و 18 و 19 و 20	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾
سورة الغاشية		
110	02	﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ﴿٢﴾

قائمة المصادر والمراجع

أ - المصادر :

1. الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، المجلد (1) ، 1419هـ / 1998.
2. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)، ج (9 و 11)، 1415 هـ .
3. أبو شهبه محمد بن محمد: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ط(8) ، ج(1) ، 1427 هـ.
4. الإشبيلي بن عصفور: شرح الزجاجي، تحقق: صاحب أبو جناح، ج(1)، (د.ت).
5. ابن الأثير: المثل السائر في آداب الكاتب والشعائر، تحقق: أحمد الحوفي، دار النهضة، مصدر المجلد (1)، (د، ت).
6. ابن أحمد الفراهيدي الخليل: العين، تحقق: إبراهيم السامرائي، سلسلة العلوم والفهارس، ج (1)، (د.ت).
7. ابن الحاجب: الكافية في علم النحو الشافية في علم التصريف والخط، تحقق: صالح عبد العظيم، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ت)
8. ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج (1)، ط(3)، 1433هـ/2012م.
9. ابن جني: اللمع في العربية، نحق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د ، ت).
10. ابن جني: الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ج (1)، ط(1)، 1421هـ/2001م.

11. ابن سينا: رسالة أسباب الحروف، تحقق: محمد حسان طيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1430هـ/1982م.
12. ابن عقيل: شرح ابن عقيل على الفئدة ابن مالك، تحقق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط(20)، المجلد(1)، (د ، ت).
13. ابن عقيل: شرح ابن عقيل، دار التراث، القاهرة، ط (20)، ج (1)، 1400هـ/1980.
14. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار الحديث ،القاهرة ، ج(2) ، 1423هـ.
15. ابن مصطفى إسماعيل حقي: روح البيان ، دار الفكر ، بيروت ، ج(6 و7)، (د. ت) .
16. ابن هشام: شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ج(1)، (د ، ت) 1422 هـ /2001.
17. ابن هشام: مغني اللبيب عند كتب الأعراب، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج (2)، 1434هـ/2012م.
18. ابن هشام عبد الملك: السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط(2) ، ج(1)، 1375هـ/1955م.
19. ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ط(1)، ج(1) ، 1422 هـ \2001م.
20. الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، (د. ت).
21. البخاري: صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط(1)، ج(7)، 1422هـ.
22. البيسوسي علي: القول المؤلف في صفات الحروف، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، (د. ط) ، (د ، ت).

23. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(7)، ج(1)، 1417هـ/1998م.
24. الجاحظ: البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، ج(1)، (د ، ت).
25. الجرجاني عبد القاهر: الجمل، تحقق: علي حيدر، دمشق، 1392هـ/1972م.
26. الجرجاني عبد القاهر: الجمل في النحو، تحقق: علي حيدر، دمشق، 1392هـ/1972م.
27. الجرجاني عبد القاهر: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ج(1)، 1982م.
28. الجزولي بن عبد العزيز: المقدمة الجزولية في النحو، تحقق: شعبان عبد الوهاب محمد، (د ، ت).
29. الخفاجي بن سنان: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1402هـ/1982م.
25. الرضي الإستراباذي محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب ، تحقق: محمد نور الحسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج(1) ، 1395هـ -2001م.
- 26 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط(1)، ج(4.1)، 1376هـ/1957م.
27. الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3)، 1407هـ، ج(1.3.4).
28. الزمخشري: أساس البلاغة، تحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (2)، ج (2)، 1419هـ/1998.
29. الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، (د، ت) 2005م.

- 30- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، ج19 و20، 1420 هـ، 2000 م
- 31- السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج(1)، 1413 هـ/ 1992 م.
- 32- السيوطي جلال الدين: تناسق الدور في تناسب السور، تحقق: عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب، بيروت، ط (2)، 1408 هـ/ 1987 م.
- 33- الشلوبيني بن علي: التوطئة، تحقق: يوسف أحمد المطوع، 1401 هـ/ 1981 م
- 34- الصيرفي حسن كامل: ديوان البحري ، دار المعارف ، القاهرة، ط(3)، المجلد(2)، (د.ت).
- 35 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب، العربي، بيروت، ج(4) 11. 12. (14. 12)، (د ، ت).
- 36 - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: تحقق: عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت ط (3)، ج(1)، (د ، ت).
- 37- المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي ،دار بيروت ، بيروت ، 1403 هـ/ 1983 م
- 38- المصطاوي عبد الرحمن: ديوان امرئ القيس ، دار المعرفة لبنان، ط(2)، 1425 هـ - 2004 م .
- 39 - النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط (1)، ج (2)، 1419 هـ/ 1998 م.
- 40- بكار يوسف حسين: شعر زياد الأعجم ، دار المسيرة، ط(1) 1403 هـ/ 1983 م،
- 41- سيبويه: الكتاب، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط(3) ، ج (1. 4) ، 1408 هـ / 1988 م.

42. فاعور علي: ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط(1)، 1407هـ/1987م.

ب - المراجع :

- 1 - أبو المكارم على: مقومات الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، (د ، ت) .
- 2 - أبو شهبه محمد بن محمد: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ط(8) ، ج(1) ، 1427هـ.
- 3 - أبو لحية نور الدين: محمد صل الله عليه وسلم والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، دار الكتاب، الجزائر، (د، ت).
- 4 - ابن إسماعيل إبراهيم: الموسوعة القرآنية ، مؤسسة سجل العرب ، ج(10) ، 1405هـ .
- 5 - ابن دومي خالد قاسم: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن ، 2006م.
- 6 - ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، ج (21.18)، 1984م.
- 7 - ابن مصطفى الزحيلي وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط(2) ، ج (21و18)، 1418 هـ.
- 11 - ابن مصطفى العبيدان موسى: دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين الأوائل، دمشق، ط (1)، 2002م.
- 12 - البدرابي زهران: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، ط(2)، 1993م.

- 13 - البيومي محمد رجب: البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط(2)، 1426 هـ / 2005 م .
- 14 - الحجازي محمد محمود: التفسير الواضح ، دار الجيل ، بيروت، ط(10)، ج(2)، 1414 هـ، ص617.
- 15 - الحساوي محمد: الفاصلة في القرآن، عمان، دار عماد، ط (2)، 1421 هـ / 2000 م.
- 16 - الحمصي نعيم: فكرة الإعجاز القرآني، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(2) ، 1400 هـ / 1980 م.
- 17 - الخولي محمد علي: قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح، الأردن، 1999 م.
- 18 - الدجني عبد الفتاح: الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط(1)، 140 هـ / 1984 م.
- 19 - الدرويش محي الدين: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، بيروت، ط(11)، المجلد (5. 6)، 1432/2011 م.
- 20 - الراجحي عبده: فقه اللغة في كتب العربية. ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993 م.
- 21 - الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، مكتبة المعارف، الرياض، ط(1)، 1420/1999 م.
- 22 - مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423 هـ / 2003 م.

- 23 - الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت 2003/ 1423هـ.
- 24 - السامرائي فاضل صالح: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، ط (2) 1427هـ/ 2007م.
- 25- السيد شفيع: البحث البلاغي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط (2)، 1416هـ/ 1991م.
- 26 - السعدي داود سلمان: أسرار الكون في القرآن، دار الحرف العربي، بيروت، ط(2)، 1420هـ/ 1999م.
- 27 - السعران محمود: علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط(2)، 1997م.
- 28 - السعران محمود: علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ت).
- 29 - السامرائي فاضل صالح: معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1) ج (1)، 1428هـ ، 2007م.
- 30 - الشعراوي محمد متولي : تفسير الشعراوي - الخواطر - ، (د.ط) ، ج(16) ، 1997م.
- 31 - الصابوني محمد علي: صفوة التفسير، دار الفكر، بيروت، المجلد (2)، (د ، ت).
- 32 - الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط(5)، 1973م.
- 33 - الصديق محمد الصالح: من روائع الإعجاز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م.

- 34 - الصعيدي عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، ج (1) ، (د ، ت) .
- 35 - الطباطبائي محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (د،ط)، المجلد (9. 10)، (د،ت) .
- 36 - العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله : إعراب لامية الشنفرى ، تحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط(1)، ج(1)، 1404هـ / 1984م .
- 37 - الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(4)، ج(1)، 1424هـ - 2003م .
- 38 - القرضاوي يوسف: الإيمان والحياة، دار الشهاب، الجزائر، (د.ت) .
- 39 - المبارك محمد : فقه اللغة - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية - مطبعة جامعة دمشق ، 1379هـ - 1960م .
- 40 - المراغي أحمد مصطفى: تفسير المراغي ، دار الفكر ، ط(3)، المجلد (6. 7. 9. 10)، ج(18.21.22)، 1394هـ - 1974م .
- 41 - المرعشلي يوسف: والله الأسماء الحسنى، دار المعرفة، بيروت، ط (2)، 1427م . 2006م .
- 42 - الملوخ حسن خميس: رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، دار الشروق ، عمان ، ط(1)، 2007م .
- 43 - النجار زغلول: تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط (1)، 1429هـ / 2008م .

- 44 - بشر كمال: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 1420هـ/2000م.
- 45 - بشر كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، 2005م.
- 46 - بليق عز الدين: منهاج الصالحين، دار الفتح، بيروت، ط(3)، 1400هـ/1984م.
- 47 - بناني محمد الصغير: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2001م.
- 48 - حريز سامي محمد هشام : نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، عمان ، ط(1) ، 2006م.
- 49 - حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.
- 50 - حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994م.
- 51 - حسن عباس: النحو الوافي، دار المعارف ، القاهرة ، ط(6) ، ج(1)، (د.ت.).
- 52 - حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م.
- 53 - حميد البياتي سناء: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل ، عمان، ط (1)، 2003م.
- 54 - دك الباب جعفر: النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996م.
- 55 - دك الباب جعفر: نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، (د ، ت).
- 56 - زرقة أحمد: أسرار الحروف، دار الحصاد، ط (1)، 1993م.

- 57 - زكريا ميشال: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، ط (2)، 1406هـ / 1986م.
- 58 - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط (17)، ج (1.4)، 1412هـ.
- 59 - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط (25)، المجلد (4)، 1417 هـ / 1996م.
- 60 - سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ج(5)، 1417هـ/1996م.
- 61 - شحاتة عبد الله: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (4)، 1998 م.
- 62 - شامية أحمد: في اللغة، دار البلاغ، الجزائر، ط (1)، 1423هـ/2002م.
- 63- شيخ أمين بكري: التعبير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار العلم للملايين، ط (1)، 1994م.
- 64 - عبادة محمد إبراهيم: الجملة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ، ت).
- 65- عباس حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
- 66- عبد التواب رمضان: مدخل إلى علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ت).
- 67- عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط (1)، 1418هـ/1989م.

- 68- عبد الرحيم صافي محمود: الجدول في الإعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق، ط (4)، ج (21.18)، 1418هـ .
- 69- علي الصغير محمد حسن: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط(1) 1420هـ/2000م.
- 70- علي الصغير محمد حسن: نظرية النقد العربي - رؤية قرآنية معاصرة - ، دار المؤرخ، بيروت ط (1)، 1420هـ/1999م.
- 71- عبيدي نوار: التركيب في المثل العربي القديم، مطبعة المعارف، ط (1)، 2005م.
- 72- عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/1997م.
- 73 - طالب الإبراهيمي خولة: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، ط(2)، 2006م.
- 74 - طبانة بدوي: معجم البلاغة العربية - نقد ونقض -، دار المنارة، جدة، ط(3)، 1408هـ / 1988م.
- 75 - طبانة بدوي :البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط(2) ، 1377هـ ، 1958م.
- 76 - متولي أحمد مصطفى: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة ط(1) ، 1426هـ/2005م.
- 77 - محمد حسان فدوى: أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.

- 78 - مراد وليد محمد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر، دمشق، ط(1) ، 1403هـ/1983م.
- 79 - مطلوب أحمد: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط (1) 1393م / 1973م.
- 80 - مغالسة محمود حسني: النحو الشافي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(3) ، 1418هـ ، 1997م.
- 81 - مسلم مصطفى: مباحث في إعجاز القرآن، دار المنارة، جدة، ط(1)، 408هـ/1988م.
- 82 - فؤال العكاوي إنعام: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (2) ، 1417هـ-1996م.
- 83 - فياض سليمان: استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، 1998م.
- 84 - هاني نصر الدين: اللغة العربية، دار العربية، دار الكندي، الأردن، ط(1)، 1999م .
- 85 - ياسوف أحمد: جماليات المفردة القرنية، دار المكتبي، سورية، ط(1)، 1415هـ/1994م.
- 86 - يعقوب إميل بديع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1411 هـ / 1991م.
- 87 - يوسف هندأوي عبد الحميد أحمد : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط(1) ، 1422هـ - 2001م.
- ت - المعاجم العربية:

1. أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقق: عدنان درويش، دار الرسالة، بيروت (د ، ت).
2. الأصفهاني الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (4)، 1434 هـ - 2013 م.
3. ابن فارس أحمد: مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج (2. 4.3. 6)، 1399 هـ / 1979 م.
4. ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط (3)، 1414 هـ، ج (2.1. 6.5. 7. 8. 10. 12. 13. 14)، 1414 هـ .
5. الجرجاني الشريف: معجم العريقات، تح: محمد صديق المنشادي، دار الفضيلة، القاهرة ، (د ، ت).
6. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط (4)، ج (1 و 3 و 4 و 5 و 6)، 1407 هـ / 1987 م.
7. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (8)، 1426 هـ.
8. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق العربية، القاهرة، ط (4)، 1426 هـ / 2005 م.
9. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، (د ، ت)، باب الهمزة و الجيم و الحاء و الخاء و الدال و الذال والزاي و السين و الضاد و الطاء و العين و الغين و الهاء و الواو.
10. مسعود جبران: الرائد - معجم لغوي عصري ، دار للملايين، بيروت ، ط (7)، 1992 م.

ث - المعاجم الأجنبية :

.Gregory Trauth and kerstin kazzazi : Routledge dictionary of Language and linguistics, Newuork, 1996.

ج - الرسائل الجامعية :

1. ابن تريدي أنيسة: بناء الجملة الخبرية البسيطة في العربية والأمازيغية (رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه)، جامعة سعد دحلب، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2012م.
2. النجار صبا يوسف: الإعجاز اللغوي في القرآن بين الجرجاني والزمخشري (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2006م.
3. عوجان عائشة: أوليات علم الدلالة في الفكر اللغوي العربي القديم (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية، وآدابها، 1999/1998م.
4. فالح مقابلة محمد علي: الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة (رسالة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2006م.
5. نهمار فاطمة الزهراء: من خصائص الخطاب القرآني في ضوء نظرية عبد القاهر الجرجاني (مذكرة أعدت لنيل شهادة الماجستير)، جامعة البليدة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2008/2007م.
6. وافي نجم إقبال: التناسب ودوره في الإعجاز القرآني (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الفقه، 1430هـ/ 2009م.

7. يوسف الحاج علي جمال رفيق : النظم القرآني في سورة يوسف عليه السلام
(رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير)، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات
العليا ، قسم اللغة العربية وآدابها ، 2000م.

ح - المجلات والدوريات :

1. رتيمة محمد العيد: (النظرية البنوية الوظيفية وتصنيفاتها في الدرس اللغوي)،
مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد (8)، 1996م.
2. ساسي عمار: (التحليل الصوتي لخطاب القصص القرآني، قصة آدم نموذجاً)،
جامعة جرش الأهلية ، (الأردن)، 2007م.

فهرس المحتويات

شكر الرحمن

تقدير وعرفان

إهداء

ملخص باللغة العربية

ملخص باللغة الأجنبية

مقدمة

تمهيد 17

الباب الأول: التوازن والمستويات اللغوية

توطئة..... 22

الفصل الأول : مفهوم التوازن ودقته

المبحث الأول: مفهوم التوازن لغة واصطلاحاً..... 26

المطلب الأول: تعريفه اللغوي..... 26

المطلب الثاني: تعريفه الاصطلاحي..... 30

الفرع الأول: التوازن من الجانب التعبدي الروحي..... 31

الفرع الثاني: التوازن من الجانب الكوني المادي..... 33

36.....	الفرع الثالث: التوازن في النظم القرآني
40.....	المبحث الثاني: الفروق بين التوازن والمصطلحات المتقاربة
40.....	المطلب الأول: المصطلحات المتقاربة
45.....	المطلب الثاني: دقة مصطلح التوازن
الفصل الثاني: التوازن في المستويات اللغوية	
49.....	المبحث الأول: في المستوى الصوتي
49.....	المطلب الأول: تعريف الصوت وتقريبه عن الحرف
49.....	الفرع الأول: تعريف الصوت لغة واصطلاحاً
53.....	الفرع الثاني: التفريق بين الصوت والحرف
54.....	المطلب الثاني: مخارج الحروف وصفاتها
54.....	الفرع الأول: مخارج الحروف
60.....	الفرع الثاني: صفاتها
61.....	المطلب الثالث: القيمة البيانية للحرف
68.....	المبحث الثاني: في المستوى الإفرادي
68.....	المطلب الأول: تعريف الكلمة
73.....	المطلب الثاني: فصاحتها وبلاغتها
81.....	المطلب الثالث: أهميتها داخل التركيب

المبحث الثالث: في المستوى التركيبي.....	89
المطلب الأول: حدّ التركيب.....	89
المطلب الثاني: أركان التركيب وأنواعه.....	97
الفرع الأول : أركانه	97
الفرع الثاني : أنواعه	100
المطلب الثالث: وظيفة التركيب الإسنادي وغير الإسنادي	107
الباب الثاني: دراسة تطبيقية على سورتي "المؤمنون والأحزاب"	
مدخل.....	119
الفصل الأول :التوازن الصوتي في السورتين	
المبحث الأول: في سورة "المؤمنين".....	128
المطلب الأول: خواتم الفواصل القرآنية.....	128
المطلب الثاني: وظيفة الحرف الأخير للفاصلة القرآنية.....	136
الفرع الأول: على مستوى الآيات.....	138
الفرع الثاني :على مستوى السورة.....	172
المبحث الثاني: في سورة الأحزاب	174
المطلب الأول: خواتم الفواصل القرآنية.....	174
المطلب الثاني: وظيفة الحرف الأخير للفاصلة القرآنية.....	195

الفرع الأول: على مستوى الآيات.....196

الفرع الثاني : على مستوى السورة.....222

الفصل الثاني : التوازن الإفرادي في السورتين

المبحث الأول: التوازن الإفرادي في سورة "المؤمنون"226

المطلب الأول: نماذج من الكلمات ومفهومها اللغوي والاصطلاحي.....226

المطلب الثاني: مدى توازنها مع الآيات والسورة.....249

المبحث الثاني: التوازن الإفرادي في سورة الأحزاب.....256

المطلب الأول: نماذج من الكلمات ومفهومها اللغوي والاصطلاحي.....256

المطلب الثاني: مدى توازنها مع الآيات والسورة.....293

الفصل الثالث : التوازن التركيبي في السورتين

المبحث الأول: التوازن التركيبي في سورة "المؤمنون".....305

المطلب الأول: التحليل النحوي لبعض التراكيب القرآنية305

المطلب الثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة.....312

المبحث الثاني: التوازن التركيبي في سورة الأحزاب328

المطلب الأول: التحليل النحوي لبعض التراكيب.....328

المطلب الثاني: مدى توازنها مع معاني الآيات ومقصد السورة.....335

خاتمة.....357

368.....	فهرس الآيات القرآنية.....
386.....	قائمة المصادر والمراجع.....
401.....	فهرس المحتويات